المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة والإحتساب

أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة

رسالة دكتوراه

إعداد المحاضر
حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمّار

إشراف فضيلة الدكتور
سعود بن محمد البشر
عميد كلية الدعوة والإعلام سابقاً
ووكيل المعهد العالي للقضاء

الرياض ١٤١٣ - ١٤١٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ

أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ... ﴾

(١٩ النمـل)

المقدمـــــــــــــــة

﴿شهد الله أنّه لاإله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لاإله إلاّ هو العزيز الحكيم﴾ [1]

لقد كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتعاقبون كالسرج المضيئة فيمن قبلنا - لاسيما في أمة بني إسرائيل- يدعونهم إلى الله تعالى، ويقوّمون حياتهم، ويوجّهونهم إلى مافيه سعادتهم، لكنّ الله سبحانه قد جعل سياسة هذه الأمة في أيدي علمائها الأبرار فقد قام هولاء العلماء منذ ذلك الجيل الفريد، جيل الصحابة العظام رضي الله عنهم بواجب الدعوة، تلاهم بعد ذلك تابعوهم بإحسان وإلى عصرنا الحاضر، ولقد كان أولئك العلماء الأتقياء ملاحقين لجحافل الشرك والوثنيّة، والذنوب، يقدّمون لها الدعوة في أرقى حُللها، وفي أعزّ ثيابها.

وكانوا يقومون بعلاج أمراض القلوب من الشبهات والشهوات، وكان دعاة الشرّ بجوارهم يتفنّون بمقدار ماكان نشاط هؤلاء العلماء الدعاة يزداد.

وفي عصرنا الحاضر تلوّنت السيئة، وأخذت أشكالاً متعدّدة، ترجع كلّها إلى ماصار إليه كثير من الناس، من البعد عن منهج الله، والإيغال في شهوات النفس ورغباتها واتباع الهوى.

لقد وصل بعضٌ من الناس في عصرنا الحاضر إلى انتكاس في فطرهم السليمة حتى كثر الملاحدة الذين لايقرّون بوجود خالق لهذا الكون العظيم، فضلاً عن استحقاقه لشئ من العبادة ولقد تأثّر بهؤلاء الملاحدة مجموعة من أبناء المسلمين، فقد شربوا من كأس الحضارة الملحدة السيئة، ولعلّي أوفّق من خلال هذه الرسالة العلميّة في إيضاح بعض أساليب الدعوة الاسلاميّة المعاصرة، والمناسبة لجذب هذين الصنفين: الملاحدة، والمتأثّرين بهم من أبناء المسلمين واستمالتهم لنداء الله سبحانه.

---

(١) سورة آل عمران / الآية ١٨.

فإنّ ممّا ينبغي أن يعلم أنّ هذه الصنفين ربّما لم تنفع فيهم الدعوة النصّية الاستدلاليّة من القرآن والسنة مباشرة، لكنّهم ربّما تأثّروا بغيرهما من المؤثرات العقليّة والعلميّة وغيرها من خلال بعض القضايا والمشاهدات ومن خلال تفجير بعض القضايا الذهنيّة لديهم، ومن خلال عرض بعض المؤثرات الحسيّة والعاطفيّة وغيرها ، فإنّه ينبغي أن يخاطب الناس بما يعرفون، وعلى قدر عقولهم.

فلا يلزم الملحد بالقرآن الكريم في بداية تقديم الدعوة له، لعدم إيمانه بالله فضلاً عن الإيمان بكتابه.

وسأسعى - إن شاء الله - جاهداً على إثبات أصول الديانة، من إثبات وجود الله وصدق النبوّة، وصحّة الرسالة لهؤلاء المدعوّين، فإنّه إذا آمن المدعو بهذه القضايا الأصليّة والرئيسة سهل كل شئ، فإنّه حينذاك سيسلم وجهه لله، وسيكون من المحسنين.

أهمّية الموضوع وأسباب اختياره:

الحديث عن الأساليب المعاصرة للدعوة الاسلامية حديثٌ مهمّ جداً، ولا سيّما إذا ركّز هذا الحديث وكان مجالاً بحثياً أكاديمياً، كيف لا، وقد بات في عداد الأمور المعلومة أنّ قبول أيّ دعوة متوقّف - غالبا - على حسن عرضها وأدائها بأفضل الطرق وأحسن الأساليب.

ومما دعاني إلى اختيار هذا الموضوع أمور عديدة وأسباب كثيرة، جاء في مقدّمتها :

١ - النظر إلى مايبذله أعداء الاسلام من تفنّن في عرض عقائدهم الباطلة، وأخلاقهم الفاسدة في قوالب حديثة مقبولة عبر وسائل فنيّة إعلاميّة بأفضل الطرق وأعلاها.

٢ - ومع قيام الصحوة الاسلامية المباركة إلاّ أنّ سواداً كبيراً من عالمنا المعاصر لايزال يعيش وهو في أمسّ الحاجة إلى أن ينقذ من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلالة إلى الهدى، وأن يُبلغوا دعوة الله بالأسلوب الحسن والطريقة المثلى.

٣ - وجود النقص الكبير عند كثير من دعاة الاسلام في الوقت الحاضر، -المتقدّم علميّا - في معرفة الأساليب المناسبة لعرض الدعوة، وحاجة الدعاة إلى معرفتها والإلمام بها كيف لا، وربّما كانت هي: الخيط الرفيع والمؤثر في استجابة المدعو، والجسر الرابط بين الداعية والمدعو.

٤ - أنّ هذا الموضوع لم يدرس دراسة متخصّصة تجمع متفرّقه، وتلمّ أشتاته وجزئياته، وتعنى به وصفاً وتشخيصاً.

منهج البحث :

استخدمت في هذه الرسالة : المنهج التاريخي .

فقد صغت محتويات هذه الرسالة في الجملة على أساس هذا المنهج والذي يتضمن:

توفير البيانات والمعلومات اللازمة عن مشروع البحث وهو :

« **أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة** » ومحاولة التعرّف عليها، وفهمها، وتطبيقاتها مع أصناف المدعوين، ومدى حاجتنا إليها في وقتنا الراهن، وأثرها في نجاح الدعوة إلى الله.

فالمنهج التاريخي: ليس سرداً فحسب ، بل هو :

محاولة للتفسير في الحاضر والمستقبل .[1]

وقد عنيت في هذا البحث ببعض الأمور المهمّة، والتي منها:

١ - عزو الآيات القرآنيّة الكريمة إلى سورها وأرقامها.

٢ - تخريج الأحاديث النبويّة الشريفة من كتب التخريج، والحكم عليها من خلال ماذكره المتخصّصون من المحدّثين السابقين أو المحدَثين، **فقد جاءت أكثر أحاديث الرسالة من الكتب الآتية :**

أ - أحاديث صحيح البخاري، فقد اعتمدت كتاب فتح الباري لابن حجر العسقلاني لكون هذا الكتاب خُدم من حيث تحقيق بعض أجزائه لفضيلة الشيخ: عبد العزيز بن باز، ومن حيث أنّ جميع أجزاء الكتاب قام بترقيم أحاديثها الأستاذ : محمد فؤاد عبد الباقي.

ب- أحاديث صحيح مسلم، وقد اعتمدت النسخة التي خدمها الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، حيث أنه قام بتحقيقها وترقيمها، وذكر رقمه في صحيح البخاري إن كان من المتفق عليه، كل ذلك جاء في الجزء الخاص بالفهارس.

---

(١) انظر: البحث العلمي « مفهومه - أدواته - أساليبه » - د. ذوقان عبيدات ، وآخرون، ص١٧٣، ط، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان بالأردن ١٩٨٤م، أصول البحث العلمي ومناهجه - أحمد بدر، ٣٦٣ وما بعدها، ط٥ ، وكالة المطبوعات، الكويت: ١٩٧٩م.

جـ- الموطأ للامام مالك بن أنس، وقد اعتمدت النسخة التي خدمها الأستاذ: محمد فؤاد عبد الباقي حيث قام بتصحيحها وترقيمها والتعليق عليها.

د - المسند للإمام أحمد بن حنبل، وقد اعتمدت النسخة الأصل، وحرصت أن أذكر درجة الحديث وحكمه من خلال حكم الأستاذ: أحمد محمد شاكر له، ومالم يحكم عليه، فإنّي أجتهد في ذكر حكم غيره عليه وخاصّة إذا كان من غير مرويات الامام أحمد بن حنبل.

هـ- سنن أبي داود.

و - سنن الترمذي .

ز - سنن النسائي .

ح - سنن ابن ماجة .

وقد اعتمدت في هذه الكتب الأربعة الأخيرة، صحيح سنن أبي داود، وصحيح سنن الترمذي، وصحيح سنن النسائي، وصحيح سنن ابن ماجة للمحدّث: محمد ناصر الدين الألباني.

حيث أنّ الألباني قام بالحكم على أحاديث هذه السنن الأربعة وتمييز صحيحها من ضعيفها، فما كان منها صحيحاً أخذته من الصحيح، وماكان منها ضعيفاً ذكرته في الضعيف وأشرت إليه، ويمتاز جهد الألباني بالترقيم.

ط- ورد في البحث بعض الأحاديث و ليست كثيرة من سنن الدرامي، وسنن الدار قطني والمستدرك على الصحيحين للحاكم، وقد تكلمت عليها في مواضعها.

٣ - العناية بتوثيق المعلومة أياً كانت،وسواء كانت من المراجع القديمة أم من المراجع الحديثة، والحرص على تعدّد المصادر في المعلومة الواحدة ماأمكن ذلك.

٤ - العناية بشرح بعض الألفاظ الغريبة، أو المصطلحات الواردة في البحث .

٥ - ترجمة بعض الأعلام الواردة في ثنايا البحث.

٦ - عمل فهارس للرسالة تشتمل على : فهرس عام، وفهرس للآيات القرآنية الكريمة ، وفهرس للأحاديث النبوية الشريفة والآثار، وفهرس للأبيات الشعريّة، وفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

□ **خطة الباحث :**

وضعت خطة للكتابة في هذا الموضوع فجعلته في مقدّمة، وتمهيد وأربعة أبواب ، وخاتمة، وذلك كما يلي :

(أساليبُ الدعوةِ الإسلامية المعاصرةُ)

خطّة البحث

المقدّمـــــة

تمهيد ويشتمل على :

١ - التعريف بالدعوة .

٢ - التعريف بالأسلوب.

٣ - تعريف المعاصرة.

البـاب الأول : استخدام الأدلة العقليّة والعلميّة .

الفصـل الأول: الأدلة العقليّة.

المبحث الأول : الأدلة العقليّة على وجود الخالق.

المبحث الثاني: الأدلة العقلية على صدق النبوة.

المبحث الثالث: الأدلة العقليّة على صحّة الرسالة.

الفصل الثاني : الأدلة العلميّة.

المبـحث الأول : الأدلة العلميّة على وجود الخالق.

المبحث الثاني: الأدلة العلمية على أسرار الخلق « فترة الجنين » .

المبـحث الثالث: الأدلة العلميّة على مناسبة أحكام الشريعة للبشر.

شكر وتقدير

إنّ من أبجديّات تعاليم ديننا الاسلامي الحنيف: احترام الصغير للكبير، وتقديره له وخاصة إن كان عالماً، وحنان الكبير على الصغير.

وإنّ من وصايا الإسلام العظيمة: شكر المحسن على إحسانه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:(لايشكر الله من لايشكر الناس)[1]

وعن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(إنّ أشكر الناس لله - عز وجل - أشكرهم للناس)[2]

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ على هذه الأعواد أو على هذا المنبر: (من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير،ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدّث بنعمة الله شكر وتركها كفر)[3]

وإنّي بهذه المناسبة أقدّم شكري لجامعتي المعطاء - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ممثلة في كلية الدعوة والاعلام على ماتوليه من جهود طيبة ومباركة لخدمة العلم وأهله ، فقد تفضلت الكليّة واختارتني معيداً في عام ١٤٠٥هـ، ثم فتحت المجال أمامي للدراسة في مرحلة الماجستير، وقد يسّرت لي السبل، وقد وفّقني الله تعالى للحصول على شهادة الماجستير في عام ١٤٠٨هـ، ثم فتحت المجال أمامي للشروع في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٩٥/٢ رقم ٧٩٢٦، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ٨٣/١٥ رقم ٧٩٢٦، وأخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف، صحيح سنن أبي داود - الألباني ٩١٣/٣ رقم ٤٠٢٦، وأخرجه الترمذي في أبواب: البرّ والصّلة، باب: ماجاء في الشكر لمن أحسن إليك، صحيح سنن الترمذي - الألباني ١٨٥/٢ رقم ١٥٩٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢١٢/٥ رقم ٢١٨٩٥.

(٣) أخرجه الامام أحمد في المسند ٢٧٧/٤-٢٧٨ رقم ١٨٤٧٣.

إعداد رسالة الدكتوراه، وهاهو اليوم الذي أخطّ فيه- بفضل الله تعالى- مقدّمة رسالتي للدكتوراه، فلله الحمد أولاً، ولكلّيتي الشكر، ولقسم الدعوة والاحتساب منّي الشكر أيضاً، كما أنني أسجّل خالص شكري وأوفاه لفضيلة شيخي المشرف على هذه الرسالة د. سعود بن محمد البشر، الاستاذ المشارك، وعميد الكلية السابق، ووكيل المعهد العالي للقضاء حالياً على مالاقيته منه منذ التحاقي بالكليّة، وعلى تفضّله بإشرافه على بحثي هذا، وأشكره على مالاقيته منه من عناية فائقة، وتوجيه سديد، ورأي رشيد، كل ذلك كان بتواضع جمّ، وصدر رحب، وقد كانت لكلماته النافعة، واستدراكاته القيّمة، وإرشاداته اللطيفة أثرٌ كبير عليّ في هذا البحث، ولا أجد في مثل هذا الموقف مسعفاً إلاّ ذلك الحديث النبوي الكريم الذي يرويه أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: (من صنع إليه معروفٌ فقال لفاعله : جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء).[1]

فأسأل الله جلّت قدرته أن يجزي مشرفي خير الجزاء، وأن يجزل له يوم القيامة العطاء.

كما أشكر فضيلة عميد الكليّة د. زيد بن عبد الكريم الزيد على حسن تشجيعه، ودعمه، ورغبته الصادقة في تحصيلي، التحصيل العلمي والاستفادة المثلى من فضيلة مُشرفي ،

وكما أشكر فضيلة د. جعفر شيخ إدريس عضو هيئة التدريس بالكليّة سابقاً، ومدير مركز البحوث في معهد العلوم العربية والإسلامية في أمريكا، والذي فتح أمامي آفاقاً حسنة في مرحلة تسجيل الموضوع، وأهدى إليّ عصارة فكره وحسن تجربته.

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: البرّ والصّلة ، باب: ماجاء في الثناء بالمعروف، صحيح سنن الترمذي - الألباني ٢/ ٢٠٠ رقم ١٦٥٧.

وكما أشكر فضيلة د. يوسف بن محي الدين أبو هلاله الذي فتح لنظري مكتبته، ولقلمي شيئاً من مشورته.

كما أشكر أصحاب الفضيلة أساتذتي الكرام، أعضاء هيئة التدريس في قسم الدعوة على ماقدّموا لي من دعم وعون واستشارة وتوجيه تجاه هذا البحث.

والله أسأل أن يجعلنا ممّن يقصدون الخير ويعملون به، وممّن يدعون إلى الله على علم وهدى وبصيرة، بلسان العصر، انطلاقاً من توجيهات القرآن الكريم وهدي سيد المرسلين وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد ويشتمل على :

١ - التعريف بالدعوة.

٢- التعريف بالأسلوب.

٣ - تعريف المعاصرة.

١- التعريف بالدعوة.

أ- المعنى اللغوي للدعوة:

لكلمة الدعوة معانٍ متعددة، كلّها تدور حول:

الطلب، والسؤال، والنداء، والتجمّع، والدعاء، والاستمالة.

فالدعوة: مصدر للفعل الثلاثي: دعا يدعو، دعوة

وبعض العرب يؤنث الدعوة بالألف فيقول «الدعوى» وتأتي بمعنى الدعاء ، ومنه قوله تعالى: ﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهمّ وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾[1]

والدعوة بفتح الدال: الدعاء إلى الشيء.

وبكسر الدال: الدِّعوة في النسب.

والدعيُّ : من تبنّيته، ومنه قوله تعالى: ﴿ وماجعل أدعياءكم أبناءكم ﴾[2]

ودعاه: صاح به، ومنه الدعاء والأدعية. [3]

ودعوت الله: أدعوه، دعاءً أي ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير ومنه قوله تعالى: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ماتدعو فله الأسماء الحسنى ﴾[4]

---

(١) سورة يونس /الآية ١٠، أنظر: تهذيب اللغة - ابو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: د. عبد الحليم النجار ٣/١٢٢ط مطابع سجل العرب بدون سنة طبع، الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، تاج العروس من جواهر القاموس - محمد مرتضى الزبيدي. ١/١٢٦ - ١٢٨، ط دار مكتبة الحياة ،بيروت: بدون سنة طبع.

(٢) سورة الأحزاب/ الآية ٤.

(٣) انظر: الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربيّة»- اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ٦/٢٣٣٦ - ٢٣٣٨ ط٢ دار العلم للملايين بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ٢٠٥ - ٢٠٦ ط١ دار الكتاب العربي: بيروت ١٩٦٧م.

(٤) سورة الإسراء/الآية ١١٠.

ومنه: النبيّ فهو داعي الخلق إلى التوحيد، والجمع منه : دعاة وداعون ، مثل : قاض وقضاة وقاضون.[1]

والدعوة هي : الطلب، يقال : دعابالشيء: طلبت إحضاره،.

ودعا إلى الشيء: حثّه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب: حثّه على اعتقاده وساقه إليه.[2]

والدعاء كالنداء إلاّ أنّ النداء قد يقال: بيا، أو أيا، أو نحو ذلك من غير أن يضمّ إليه الاسم. والدعاء لايكاد يقال إلاّ إذا كان معه الاسم نحو: يافلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر مثل قوله تعالى: ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع إلاّ دعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لايعقلون ﴾[3]

وتطلق الدعوة على الدعاء إلى أيّ قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها سواء كانت حقاً أم باطلاً فمن الباطل: حكاية القرآن عن يوسف عليه السلام في قوله: ﴿ قال : ربِّ

---

(١) انظر: القاموس المحيط - فيروز آبادي ٣٢٩/٤ط المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت: بدون سنة طبع، الناشر: دار الجيل، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - أحمد بن محمد المقرّي الفيّومي، ٢٣١/١ - ٢٣٢ ، ط دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٢) انظر: المعجم الوسيط: إعداد : مجمع اللغة بالقاهرة ٢٨٦/١ ط٢ دار إحياء التراث العربي بيروت بدون سنة طبع.

(٣) سورة البقرة /الآية ١٧١، انظر، المفردات في غريب القرآن - الاصفهاني، تحقيق:محمد سيد كيلاني ١٦٩ -١٧٠ ط دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت بدون سنة طبع، أساس البلاغة - الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود ١٣١ط دار المعرفة بيروت ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

وقد ثاب معه ناسٌ من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجلٌ لَعّابٌ فكسَعَ أنصاريّاً، فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا، وقال الأنصاريّ: ياللأنصار، وقال المهاجريّ: ياللمهاجرين. فخرج النبي ﷺ فقال: مابال دعوى أهل الجاهلية؟ ثمّ قال: ماشأنهم فأخبر بكسعة المهاجريِّ الأنصاريَّ، قال فقال النبي ﷺ: دعوها فإنها خبيثة ....)[٢]

ومن الحقّ قوله تعالى: ﴿ له دعوة الحق ﴾[٣]، وقوله: ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾[٤]

وفي كتابه ﷺ إلى هرقل: من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أمّا بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنّ عليك إثم الأريسيين ﴾[٥]

فدعاية الإسلام هي: دعوة الإسلام وهي كلمة الشهادة، واتباع منهج الله، ولذلك

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: ماينهى من دعوى الجاهلية ٥٤٦/٨ رقم ٣٥١٨، وفي كتاب: التفسير، باب: قوله ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، لن يغفر الله لهم، إنّ الله لايهدي القوم الفاسقين ﴾ ٦ المنافقون، ٦٤٨/٦ رقم ٤٩٠٥، وفي كتاب: التفسير، باب: ﴿ يقولون رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لايعلمون ﴾ ٨ المنافقون، ٦٥٢/٨. رقم ٤٩٠٧.

(٣) سورة الرعد/ الآية ١٤.

(٤) سورة يونس/ الآية ٢٥.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحي، باب: حديث أبي سفيان عند هرقل ٣١/١-٣٣ رقم ٧.

وأخرجه مسلم في كتاب: الجهاد، باب: كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام. ١٣٩٣/٣ - ١٣٩٧ رقم ١٧٧٤.

فدعاية الإسلام هي: دعوة الإسلام وهي كلمة الشهادة ، واتباع منهج الله، ولذلك قال مؤمن آل فرعون: ﴿ وياقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النّار ﴾[1]

ويطلق لفظ الدعوة على الأذان، فعن جابر بن عبد الله أنّ رسول الله ﷺ قال: (من قال حين يسمع النداء: اللهّم ربّ هذه الدعوة التامّة، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلّت له شفاعتي يوم القيامة)[2] وتطلق الدعوة على الطلب إلى الطعام.

فعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب ، فإن شاء طعم وإن شاء ترك)[3]

والأصل في مفهوم الدعوة أنه يعتمد على البيان والكلام، كما ذكر ذلك صاحب المقاييس إذ قال: الدعوة : أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك.[4]

ولفظ الدعوة يستعمل في الخير والشر، كما في قوله تعالى عن المشركين: ﴿ أولئك يدعون إلى النّار والله يدعو إلى الجنّة والمغفرة بإذنه ﴾[5]

---

(١) سورة غافر الآية ٤١، وللإستزادة انظر: تاج العروس من جواهر القاموس -محمد مرتضى الزبيدي ١٢٦/١٠ - ١٢٨، لسان العرب - ابن منظور ٢٥٨/١٤ ط دار صادر بيروت بدون سنة طبع، المعجم الوسيط إعداد مجمع اللغة العربية ٢٨٦/١ ومابعدها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان، باب: الدعاء عند الأذان ٩٤/٢ رقم ٦١٤، وفي كتاب: التفسير، باب: ﴿ عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً ﴾ ٧٩ الاسراء، ٣٩٩/٨ رقم ٤٧١٩.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: النكاح، باب: الأمر باجابة الداعي إلى دعوة ١٠٥٤/٢ رقم ١٤٣٠، انظر: لسان العرب - ابن منظور ٢٦٠/١٤، تهذيب اللغة - الأزهري ، تحقيق : د. عبد الحليم النجار ١٢٠/٣.

(٤) معجم مقاييس اللغة - ابن فارس تحقيق : عبد السلام محمد هارون ٢٧٩/٢ ط١ دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ١٣٦٦هـ.

(٥) سورة البقرة/ الآية ٢٢١.

ومنه حديث المصطفى الكريم ﷺ حيثما قال لعمّار بن ياسر رضي الله عنهما: (ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، عمّار يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النّار)[1]

ب- المعنى الإصطلاحي للدعوة:

كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام أو الرسالة، وعلى عمليّة نشره وتبليغه وبيانه للنّاس، وسياق إيرادها هو الذي يحدّد المعنى المراد.

ومن المعلوم أنّ الدعوة بمعنى النشر والبلاغ صارت علماً مستقلاً له موضوعه، وخصائصه، وأهدافه وأساليبه ووسائله وهو بذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية، يفيدها ويستفيد منها، ويشاركها في إفادة الإسلام برسم طريق منهجي يكفل له الإنتشار والذيوع.

ومن المعلوم كذلك أنّ الدعوة بمعنى الدين إذا أطلقت لايراد منها إلاّ الإسلام بتعاليمه.

وبذلك فإنّ التعريف الاصطلاحي للدعوة بمعناها الأوّل يغاير تعريف الدعوة بالمعنى الثاني ولهذا يحسن ذكر التعريف الإصطلاحي لكلا المعنيين من خلال ماذكره العلماء قديماً وحديثاً .[2]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله ٦/ ٣٠ رقم ٢٨١٢ وللإستزادة انظر: مدخل إلى علم الدعوة - د. عبد الرب نواب الدين ٧-٨ ط دار العاصمة الرياض ١٤١٣هـ.

(٢) انظر: فقه الدعوة والإعلام د. عمارة نجيب ١٩ط شركة سعيد رأفت للطباعة ١٩٨٧م الناشر: مكتبة المعارف الرياض، الدعوة الإسلامية «أصولها ووسائلها»- د. أحمد أحمد غلوش ١٠ ط دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٧م.، على هامش فقه الدعوة - د. علي جريشه ١٣ ط١ دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية طنطا ١٤١١ هـ ١٩٩١م.

أولاً: الدعوة بمعنى النشر والبلاغ:

قيل إنّ الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، وذلك يتضمّن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشرّه، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنّه يراه.[(١)]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: هي إنقاذ الناس من ضلالة، أو شرّ واقع بهم ، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه.[(٢)]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل .[(٣)]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: نقل أمة من محيط إلى محيط.[(٤)]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: جمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.[(٥)]

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ١٥/١٥٧ -١٥٨ ط إدارة المساحة العسكرية القاهرة ١٤٠٤هـ، تنفيذ: مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة توزيع: الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين.

(٢) الدعوة إلى الإصلاح - محمد الخضر حسين ١٧ط المطبعه السلفيّة، القاهرة ١٣٤٦هـ.

(٣) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة - علي محفوظ ١٧ ط٤ دار الإعتصام بدون سنة طبع.

(٤) تذكرة الدعاة - البهي الخولي ٣٥ ط ٥ دار العلم دمشق ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

(٥) أسس الدعوة وآداب الدعاة - محمد السيد الوكيل ط مطابع أخبار اليوم، القاهرة بدون سنة طبع الناشر: دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة.

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: صرف أنظار الناس وعقولهم إلى فكرة، أو عقيدة، وحثّهم عليها.[١]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: الحثّ على فعل الخير، واجتناب الشرّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة والتنفير من الرذيلة، واتباع الحق ونبذ الباطل.[٢]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: عمليّة إحياء لنظام ما، لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط.[٣]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: هدم وبناء ، هدم جاهلية بكل صورها وأشكالها، سواء كانت جاهليّة أفكار ، أم جاهلية أخلاق، أم جاهلية نظم وشرائع، ومن ثمّ بناء المجتمع المسلم على قواعد الإسلام في شكله ومحتواه، في مظهره وجوهره، في نظام حكمه، وأسلوب عيشه، في تطلعه العقدي للكون وللإنسان والحياة .[٤]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله : تبليغ الاسلام للناس، وتعليمه إيّاهم، وتطبيقه في واقع الحياة.[٥]

---

(١) تاريخ الدعوة الإسلامية من الأسس إلى اليوم – آدم عبد الله الألوري ١٧ مطبعة منيمنة الحديثة بدون سنة طبع الناشر: دار مكتبة الحياة بيروت.

(٢) مرشد الدعاة – محمد نمر الخطيب ٢٤ ط١ دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

(٣) الدعوة الإسلامية في عهدها المكيّ «مناهجها وغاياتها»- د. رؤوف شلبي ٣٢ ط٣ دار القلم، الكويت ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٤) الإسلام «فكرة ، حركة، انقلاب» – فتحي يكن ٣٩ط١١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١١هـ ١٩٩١م.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة – د . محمد ابو الفتح البيانوني ١٧ط١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٢هـ. ١٩٩١م.

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: الدعوة إلى توحيد الله ، والإقرار بالشهادتين، وتنفيذ منهج الله في الأرض قولاً وعملاً، كما جاء في القرآن الكريم والسنّة المطهرة ليكون الدين كلهّ لله.[١]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنّية المتعددة إلى تبليغ الناس بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق.[٢]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: فنّ يبحث في الكيفيّات المناسبة التي نجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يحافظ على دينهم بواسطتها.[٣]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: قيام من له أهليّة بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر رسول الله ﷺ والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكا.[٤]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: قيام المسلمين المؤهلين، دولة ، وأمّة، وأفراداً، بتبليغ الناس كافّة، وحثهّم على اتباع الإسلام، إيماناً وعملاً ومنهاج حياة، بطرق مشروعة مخصوصة.[٥]

---

(١) الدعوة إلى الله «الرسالة - الوسيلة - الهدف» - د. توفيق الواعي ١٩ط١ مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

(٢) الدعوة الإسلامية «أصولها ووسائلها» - د. أحمد أحمد غلوش ١٠، الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان - محمد سعيد البارودي ٢٤ ط ادار الوفاء للنشر والتوزيع جدّة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٣) الدعوة والإنسان - د.عبد الله الشاذلي ٣٩ ط١ المكتبة القوميّة الحديثة طنطا بدون سنة طبع .

(٤) الدعوة إلى الله في سورة ابراهيم الخليل - محمد بن سيدي بن الحبيب ٢٧ ط١ دار الوفاء للنشر والتوزيع جدّة ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.

(٥) الإحكام بين مراحل العمل في دعوة النبي ﷺ د. يوسف محي الدين أبوهلاله ١٣ ط١ دار العاصمة، الرياض بدون سنة طبع..

وقيل إنّ الدعـوة الى الله: إبلاغ الناس دعـوة الإسـلام في كل زمـان ومكان بالأسـاليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين.[١]

وهذه التـعاريف لامنافـاة بينهـا فليست من بـاب اختـلاف التـضـادّ، لكنّهـا من باب اختلاف التنّوع، فكل تعريف للدعوة من هذه التعاريف عني بجانب من جوانب الدعـوة وركّز عليهـا، وفيـما أرى أنّ من أفضل التعاريف للدعوة الواردة ماعرفهـا به الدكتـور. محمد أبو الفتح البيانوني حيث قال إنّ الدعوة إلى الله: (تبليغ الإسلام للنّاس، وتعليمه إيّاهم، وتطبيقه في واقع الحياة)[٢]، فيعتبر هذا التعريف جامعاً مانعاً.

وقد جاء معنى الدعوة في هذا البحث على هذا المعنى وعلى أنّ المقصود بالدعـوة: النشر والبلاغ..

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر - على بن صالح المرشد ٢١ ط١ مكتبة لينة دمنهور بمصر ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة - د.محمد أبو الفتح البيانوني، ١٧ط مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

ثانيا: الدعوة بمعنى الدين أو الرسالة:

قيل إنّ الدعوة إلى الله: دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً، تجددّ على يد محمد ﷺ خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصلاح الدين والآخرة.[١]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: دين الله الذين ارتضاه للعالمين، تمكيناً لخلافتهم ، وتيسيراً لضرورتهم، ووفاءً بحقوقهم، ورعاية لشئونهم، وحماية لوحدتهم، وتكريماً لإنسانيتهم ، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم .[٢]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني، وتقرير الحقوق والواجبات.[٣]

وقيل إنّ الدعوة الى الله: هي الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلاقيد ولاشرط.

وقيل : هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزله تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ، وحفظها القرآن الكريم والسنّة النبويّة.

وقيل : هي النظام العام، والقانون الشامل لأمور الحياة، ومناهج السلوك للإنسان ، التي جاء بها محمد ﷺ من ربّه، وأمره بتبليغها إلى النّاس، ومايترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة.

وهذه التعاريف الثلاثة الأخيرة ليست متعارضة، بل إنّها تتعاون في إعطاء صورة الإسلام الذي هو الدعوة.[٤]

---

(١) الدعوة الإسلامية «دعوة عالمية» - محمد الراوي ٣٩ط٣ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١١هـ ١٩٩١م.

(٢) المرجع السابق ص ٤٠.

(٣) المرجع السابق ص٤٠.

(٤) الدعوة الإسلامية «أصولها ووسائلها» - د. أحمد أحمد غلوش ١٢ -١٣، الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان - محمد سعيد الباوردي ٢٥.

وقيل إنّ الدعوة إلى الله : برنامج كامل يضمّ في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين."[1]

وقيل إنّ الدعوة إلى الله: نداء الحق للخلق ، ليوحّدوا المعبود ، ويعبدوا الواحد، حنفاء لله غير مشركين به، متبّعين غير مبتدعين. "[2]

وهذه التعاريف للدعوة إلى الله في الإصطلاح بمعنييها ليست من باب الحدود ، وإنّما هي رسوم لها، وهي تختلف شمولاً وقصوراً حسب نظر المعرِّف لها ."[3]

والعلاقة بين المعنيين واضحة، فبالإضافة إلى وحدة المصدر، ووحدة الهدف، فالدعوة إلى الله هدف، وإبلاغها للآخرين وسيلة ، وبذلك يتحقّق اندماج الهدف بالوسيلة."[4]

ولفظ الدعوة إذا أطلق ينصرف عرفاً إلى المعنى الأول الذي عرفناها به وهو الدعوة إلى الإسلام بمعنى النشر والبلاغ، وهو المعنى الذي تواردت عليه معظم الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة"[5]

---

(١) مع الله «دراسات في الدعوة والدعاة» - محمد الغزالي ١٧ط٥ مطبعة حسّان، القاهرة ١٤٠١هـ ١٩٨١ الناشر: دار الكتب الإسلام، القاهرة.

(٢) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته -د.محمد الأحمدي ابو النور ط١ دار التوفيق النموذجيّة للطباعة ، القاهرة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة.

(٣) (أدع إلى سبيل ربك) - د.مصلح سيّد بيومي ١٤ط٤ دار القلم، الكويت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

(٤) الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان - محمد سعيد البارودي ٢٦.

(٥) المدخل الى علم الدعوة - د.محمد أبو الفتح البيانوني ١٨.

٢- التعريف بالأسلوب.

أ- المعنى اللغوي للأسلوب:

الأسلوب كلمة جاءت من الفعل الثلاثي: سلب، وهو من باب نصر وقتل.

والاستلاب : الاختلاس، والسَّلْبُ: بفتح السين هو السير الخفيف السريع، وأسلب الشجر: أي ذهب حملها، وسقط ورقها.

والأسلوب بضم الهمزة: هو الطريق ، وهو الفنّ، وعُنُق الأسد، والشمُوخ في الأنف، ولذا يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم.

وانسلب: أي أسرع في السير جداً.[1]

والسَّلب: هو نزع الشيء من الغير على القهر قال تعالى: ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه..﴾[2]

والسليب: هو الرجل المسلوب، والناقة التي سلب ولدها.

والأساليب: هي الفنون المختلفة.[3]

وكل شيء على الإنسان من اللباس فهو سلب، والفعل: سلبته أسلُبه سلباً، إذا أخذت سلَبهَ، ومنه حديث أبي قتادة رضي الله عنه في غزوة حنين قال قال رسول الله ﷺ: (من قتل قتيلاً له عليه بينّة فله سلبه).[4]

ويقال للسطر من النخيل : أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب

والأسلوب هو : الطريق والوجه والمذهب والفنّ، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه، وإنّ أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبراً.

---

(١) مختار الصحاح - الرازي ٣٨٠، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - أحمد الفيومي ٣٣٥/١، القاموس المحيط - فيروز آبادي ٨٦/١.

(٢) سورة الحج/الآية ٧٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن - الأصفهاني ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٢٣٨.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: استحقاق القاتل سلب القتيل ١٣٧٠/٣- ١٣٧١ رقم ١٧٥١.

والأسلوبة: لعبة للأعراب، أو فعلة يفعلونها بينهم [١]

يقال : سلكت أسلوب فلان أي طريقته وكلامه على أساليب حسنة. [٢]

والسِّلاب: بكسر السين ثوب أسود تلبسه المرأة في الحداد والحزن

والأسلوب: هو الطريق، يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا : أي طريقته ومذهبه.

وهو الفنّ يقال: أخذنا في أساليب من القول: أي في فنون متنوّعة.

والسالب في اللغة والطبيعة: اتجاه مضاد للاتّجاه الموجب.

وفي البصريّات: إشارة للدوران إلى جهة اليسار.

وفي التصوير : مايقع ظلّه وضوؤه في وضع عكس لظلّ الشيء الأصلي وضوئه.

ويقال: كهربّية سالبة: إذا كان عدد الإلكترونات على سطح المادة أكثر من عدد البروتونات.

وفي البكتيريا: الذي لايؤكد وجود الميكروبات وهي سالبة . [٣]

---

(١) لسان العرب - ابن منظور ١/٤٧١ - ٤٧٤.

(٢) أساس البلاغة - الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود ٢١٧.

(٣) المعجم الوسيط - إعداد: مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١/ ٤٤٠ - ٤٤١.

ب- المعنى الاصطلاحي للأسلوب:

اختلفت التعاريف الإصطلاحيّة للأسلوب اختلاف تنوع في اللفظ، لااختلاف تضاد فممّا قيل في تعريف الأسلوب مايلي:

الأسلوب : هو طريقة التعبير، أو طريقة الكتابة ، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه .[١]

وقيل هو: الصورة اللفظيّة التي يعبرّ بها عن المعاني، أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال.

وقيل هو: العبارات اللفظيّة المنسّقة لأداء المعاني.[٢]

وقيل إنّ الأسلوب: اختيار أو انتقاء يقوم به المنشيء لسمات لغويّة معيّنة لغرض التعبير عن موقف معيّن.[٣]

وقيل إنّ الأسلوب: هو اختيار الألفاظ وترتيبها في شكل له أثره وطابعه في اللغة المستعملة.[٤]

وقيل إنّ الأسلوب: هو الطريقة الكلاميّة التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.

أو هو: المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلمّ في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه.

---

(١) الأسلوب «دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب الأدبيّة» - أحمد الشايب ٤٤ ط٧ مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م. الناشر: مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

(٢) المرجع السابق ٤٦.

(٣) الأسلوب «دراسة لغويّة إحصائيّة » د. سعد مصلوح ٣٧ -٣٨ط ٣ عالم الكتب ، القاهرة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

(٤) الأسلوب - د. محمد كامل أحمد جمعة ٦٣ ط٢ مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٣م الزرقاني ١٩٩/٢ ط دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه بدون سنة طبع.

أو هو: طابع الكلام وفنّه الذي انفرد به المتكلم كذلك .[١]

وقيل إنّ الأسلوب: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلمّ في تأليف كلامه واختيار مفرداته.[٢]

وقيل إنّ الأسلوب: عرض مايراد عرضه من معان وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم، ومايجب لكل مقام من المقال.[٣]

والأسلوب الحسن: هو أن يكون الحديث ملائماً لأفهام الناس ومداركهم، فتكون الفكرة واضحة، والكلمة فصيحة، والعبارة متناسقة، والتركيب قويّاً، ويكون هناك انسجام بين اللغة والمعنى، وسلاسة وإبداع في الأسلوب ممّا يحدث أثراً جماليّاً في النفس، وكذلك هي أساليب الدعوة في القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿ الله نّزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهّم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، ومن يضلل الله فما له من هاد﴾[٤]

إنّ هنالك عوامل تساعد الداعية على إنجاح دعوته إلى حدٍّ كبير في مجالات الدعوة، وتحقّق له الخصْب والإثمار، وتمنحه القدرة على التأثير والتفاعل والإيغال بأفكاره في كل وسط وعلى كل صعيد. والأسلوب

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني ١٩٩/٢، ط دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بدون سنة طبع.

(٢) خصائص القرآن الكريم - د. فهد بن عبد الرحمن الرّومي ١٨ط٤ بدون ذكر الدار الطابعة ١٤٠٩هـ.

(٣) المرأة المسلمة المعاصرة - د. أحمد بن محمد أباطين ٥٢٣ ط٢ دار عالم الكتب للنشر والتوزع، الرياض ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

(٤) سورة الزمر/الآية ٢٣.

الحسن هو أحد العوامل الحساسة التي توفّر على الداعية الوقت والجهد، وتصل به إلى الغاية المطلوبة بأقل التكاليف وأيسرها."[1]

ينبغي أن لايفهم أنّ الطريق لدعوة الناس إلى الإسلام، ولفتهم إليه، واحد لاثاني له وهو طريق الإقناع العقيدي الذي يبدأ بإثبات وجود الله، وينتهي بإثبات أنّ الإسلام منهج حياة.

بدهي جداً أنّ الناس اليوم بحاجة إلى مايلفتهم إلى الإسلام أولاً، يشعرهم بوجوده كمنهج حياة، كإمامة ،وكقيادة،وكريادة، وسط التيارات والقوى العالمية المتصارعة وبدهي أيضاً أنّ عملية اللفة هذه خطوة تمهيديّة تسبق عملية الإقناع بل هي أشبه بخطوة أوليّة لتحضير عقول الناس ونفوسهم للتلقي والإنفعال."[2]

لقد كان حصر الأساليب الدعويّة صعباً، نظراً لتنوعها وكثرتها، وقد نصّ القرآن الكريم على بعضها نصاً صريحاً مباشراً، كما أشار إلى بعضها إشارة، وعلى هذا النسق جاءت السنة النبوية المطهرة، فمن أساليب الدعوة الرئيسة والتي نصّ عليها القرآن الكريم:

* أسلوب الدعوة بالحكمة.
* أسلوب الدعوة بالموعظة الحسنة
* أسلوب الدعوة بالمجادلة بالحسنى.

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية والوسائل والأساليب» - محمد خير رمضان يوسف ٦٧ط١ مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، مشكلات الدعوة والداعية - فتحي يكن ١١٨ ومابعدها ط٣ مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

(٢) كيف ندعو إلى الإسلام - فتحي يكن ٢٧ - ٢٨ ط٣ مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

كما قال تعالى: ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن...﴾[1]

ومن الأساليب التي ينبغي أن يراعيها الدعاة إلى الله في دعوتهم مايلي:

- أسلوب البساطة والوضوح.

ينبغي على الداعية أن يتعلم كيف يوصل الفكرة إلى العقول في بساطة ووضوح وسهولة، فالعصر اليوم عصر يميل إلى هذا اللون ، حتى يكون لفكرة الداعية تأثير على العواطف وشداً للأنتباه

- أسلوب استغلال الفرص واقتناص المناسبات:

فقد كان الرسول ﷺ ينتهز فرصة اجتماع الناس في أسواق العرب، وكذلك فرصة أجتماع الحجيج في مكة - ليبلّغ دعوته وينشر رسالة ربه.

- أسلوب جسّ النبض، وعدم مفأجاة الشعوب بالتغيير دفعة واحدة:

وقد استعمل هذا الأسلوب القرآن كثيراً من تغيير عادات الجاهلية، كتغيير عادة شرب الخمر وغيرها.

وهذا الأسلوب يقي الداعية خطر المفاجآت والإحراجات والأزمات، ويمهّد كثيراً لأفكاره ويوفّر عليه جهداً كبيراً ووقتاً عظيماً.[2]

---

(١) سورة النحل/ الآية ١٢٥، وللإستزادة انظر: المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد ابو الفتح البيانوني ٢٤٢ ومابعدها، والدعوة الإسلامية في عهدها المكي «مناهجها وغايتها» د. رؤوف شلبي ٣٤١ ومابعدها، فقه الدعوة والاعلام - د. عمارة نجيب ٤١ ومابعدها. .

(٢) الدعوة الى الله «الرسالة ، الوسيلة ، الهدف» - د. توفيق الداعي ٤٣٤ ومابعدها.

❑ أسلوب حسن العرض ومخاطبة الناس على قدر عقولهم:

فيصاغ الأسلوب صياغة توافق الأحوال النفسية للمخاطبين بالدعوة

﴿ وماأرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبين لهم ﴾ [١]

﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ [٢]

ومن الأساليب التي اعتمدها القرآن الكريم مراراً وتكراراً لفت المشركين إلى آياته البيّنات - وقد كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم لدى سماعها - تصديره فواتح السور بحروف متقطعة كان لها أكبر الأثر في إثارة حفيظة المشركين، واستدراجهم للإنصات والتلقي.[٣]

وتقوم أساليب الدعوة الناجحة على تشخيص الداء في المدعوين، ومعرفة الدواء لذلك، وإزالة الشبهات التي تمنع المدعوين من رؤية الداء والإحساس به، وترغيبهم في استعمال الدواء، وترهيبهم من تركه، ثم تعهدّ المستجيبين منهم بالتربية والتعليم لتحصل لهم المناعة ضدّ دائهم القديم.[٤]

وتختلف أساليب الدعوة باختلاف المدعوين، فإن كانوا حكاماً أو أمراء، كان المناسب في حقّهم دعوتهم باللين، قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام في سبيل دعوتها لفرعون: ﴿ إذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو

---

(١) سورة ابراهيم/ الآية ٤.

(٢) سورة القمر/ الآيات ١٧، و٢٢و ٣٢ و ٤٠، وللإستزادة انظر: المرجع السابق ٤٣٦ ، ركائز الدعوة في القرآن- د. محمد ابراهيم شقرة ٣٣ ط١ المكتبة الإسلامية عمّان بالإردن ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، نحو أسلوب أمثل للدعوة الاسلامية - د. محمود عمارة ٢٧٣ ط٢ دار التراث العربي ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

(٣) كيف ندعو إلى الإسلام - فتحي يكن ٢٨.

(٤) أصول الدعوة - د. عبد الكريم زيدان ٤٠٤ ط مكتبة المنار الإسلامية ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

يخشى ﴾ [1]، وإن كانوا من العلماء النابهين تكون الدعوة بالدلائل القطعية المتبادلة بينهم، وإن كانوا من أهل الكتاب فتكون ببيان محاسن الإسلام، وبيان شدّة حاجة الناس إليه في كل زمان ومكان .. وهكذا [2]

(١) سورة طه/الآية ٤٣ -٤٤.

(٢) انظر: « أدع إلى سبيل ربك » - د.مصلح سيد بيومي ٣٩ ومابعدها، الدعوة الإسلامية «مفهومها وحاجة المجتمعات إليها» - محمد خير رمضان يوسف ٢١ ومابعدها ط١ مطابع الفرزدق التجاريّة، الرياض ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٣ - تعريف المعاصرة.

أ- المعنى اللغوي للمعاصرة:

المعاصرة لغة: مفاعلة من عاصر، يعاصر.

يقـــال : عاصر فلانٌ فلاناً إذا عاش معه في عصر واحد.[1]

وأصلها: الفعل الثلاثي : عصر، العين والصاد والراء أصول ثلاثة صحيحة

فـالأول: دهر وحين

والثاني: ضغط الشيء حتى يتحلّب.

والثالث: تعلّق بشيء وامتساك به.

فمن الأصل الأول :وهو الدهر قوله تعالى: ﴿ والعصر إنّ الإنسان لفي خسر ﴾[2]

وربّما قالوا: عُصُر ، قال امرؤ القيس:

ألا أنعِمْ صباحاً أيّها الطّلَلُ البالي ∴ وهل يَنْعمِنْ من كان في العُصُر الخالي

وقال الخليل بن أحمد: العصران هما: الليل والنهار ثم قال:

ولن يلبث العصران يومٌ وليلة ∴ إذا اختلفا أن يُدركا ماتَيَمّماً.

قالوا، وبه سميت صلاة العصر، لأنّها تُعْصرَ أي تؤخر عن الظهر.

والغداة والعشي يسميّان العصرين.

قال الخليل بن أحمد وغيره: الجارية إذا رأت في نفسها زيادة الشباب فقد أعصرت وهي معصرٌ، أي بلغت عصر شبابها وإداركها ، قال ابو ليلى : منصوربن مرثد الأسدي: إذا بلغت الجارية وَمرُّت من حيضها فهي معصر، وأنشد:

جـارية بسـَفَوان دارُهـا ∴ قد أعَصَرتْ أوقدْ دنا إعصارُها

---

(١) المعجم الوسيط : إعداد مجمع اللغة العربية ، القاهرة ٢/ ٦١٠.

(٢) سورة العصر/ الآية ١-٢.

والأصل الثاني: العصارة وهو : ماتحلّبَ من شيء تعصره، وهو العصير.

قال الأعشى:

العود يعصر ماؤه ∴ ولكل عيدان عُصَاره.

والعرب تجعل العصارة والمعتصَر مثلاً للخير والعطاء ، ولذا يقال: إنّه لكريم العصارة وكريم المعتصر. ومن الباب: المعُصرات وهي سحائب تجيء بالمطر .

قال تعالى : ﴿ وأنزلنا من المعصرات ماء ثجّاجاً ﴾[١]

والإعصار: هو الغبار الذي يسطع مستديراً، والجمع : والأعاصير.

والأصل الثالث: العصر وهو الملجأ

يقال: اعتصَر بالمكان إذا التجأ إليه.[٢]

والعصر: مصدر عصرت، وجمعه: عصور، والمعصور: هو الشيء العصير

والعصارة: نفاية مايعصر. قال تعالى: ﴿ إنّي أراني أعصر خمراً ﴾[٣]

وقال تعالى : ﴿ وفيه يعصرون ﴾[٤] أي يستنبطون منه الخير[٥]

والعصر: اسم الصلاة، والعصارة بالضم: ماسال عن العصر ومنه وقيل: اعتصرت مال فلان إذا استخرجت منه.[٦]

والعصر : مثلثّة وبضمتين، والعصر هو الدهر

---

(١) سورة النبأ/ الآية ١٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة – ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ٤/ ٣٤٠ - ٣٤٥

(٣) سورة يوسف/ الآية ٣٦.

(٤) سورة يوسف/ الآية ٤٩.

(٥) المفردات في غريب القرآن – الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٣٣٦.

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي – أحمد المقرّي ٢/ ٤٩٢ - ٤٩٣.

أعصار، وعُصُور، وأعصُر، وعُصُر، والعصر: اليوم والليلة، والعشيُّ إلى احمرار الشمس.

ويقال: أعصر: إذا دخل في العصر، والمرأة بلغت شبابها وأدركت، أو دخلت في الحيض، أو راهقت العشرين، أوولدت.

والإعصار هو: الريح تثير السحاب، أو التي فيها نار، كما قال تعالى: ﴿ فأصابها إعصار فيه نارٌ فاحترقت ﴾[١]، أو التي تهبّ من الأرض.

كالعمود نحو السماء، أو التي فيها العصار وهو الغبار الشديد.[٢]

وتعصّر الرجل: إذا بكى. قال جرير:

إذا ذَكَرتْ ليلى جبُيراً تعصّرَتْ ∴ وليس بشاف داءها أن تعصّرا[٣]

---

(١) سورة البقرة/ الآية ٢٦٦، أنظر: لسان العرب ابن منظور ٥٧٨/٤.

(٢) القاموس المحيط - فيروز آبادي ٩٣/٢-٩٤.

(٣) أساس البلاغة - الزمخشري، تحقيق : عبد الرحمن محمود ٣٠٣.

ب- المعنى الاصطلاحي للمعاصرة :

العصر يطلق على الزمان، وهو العصر الذي نعيش فيه الآن.[1]

ومعاصرة الدعوة هي: (تكافؤ الدعوة مع العصر الذي تعيش فيه، بحيث تعالج واقعه وتلبيّ متطلباته)

فالدعوة المعاصرة لعصر ما هي: (الدعوة التي تعالج واقع ذلك العصر، وتلبّي متطلباته، وذلك من حيث حسن التخطيط، وتخيّر الأساليب، ومناسبة الوسائل وما إلى ذلك ..)

ووصف الدعوة بالمعاصرة صالح لكل زمان ومكان إذا تحققّت فيها هذه المواصفات ، وليس وصفاً خاصاً بالعصر الحديث كما يتوهَم.

فدعوة الناس بلسانهم ولغتهم معاصرة.

واختيار الأسلوب الدعوي المناسب لموقف من المواقف معاصرة.

واستخدام الوسائل المتوفّرة في عصر من العصور لنشر الدعوة معاصرة . وهكذا ...[2]

والمعاصرة: (هي أن يعيش المرء في عصره، عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه بأصالته، آخذاً بمقتضيات عصره)

إنّ المعاصرة : هي وجود المسلم بأصالته الإسلاميّة في وسط ركام من التيارات، والأفكار ، والعلوم التجريبيّة يتفاعل منه، فلا يقصّر في الأخذ بما يقتضيه عصره من تقدّم ماديّ، حتى لايكون تابعاً لغيره فيما

---

(١) الغلوفي الدين في حياة المسلمين المعاصرة - عبد الرحمن بن معلاً اللويحق، ٢١ ط ١ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مقال للدكتور:محمد أبو الفتح البيانوني، العدد الأول رجب ١٤٠٩هـ، فبراير ١٩٨٩م ص ٨٧.

يتعلقّ بشؤون حياته، فالتبعيّة لاتنسجم مع أصالة المسلم.

والمعاصرة: انطلاق بالأصالة والبناء الذاتي لمحاورة الأفكار المعاصرة، فإن وجد منها ماينفع أخذه وجعله منه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (الحكمة ضالّة المؤمن فحيث وجدها فهو أحقّ بها). [١]

إنّه يأخذها إليه لتكون منه لاليكون منها.[٢]

(١) أخرجه الترمذي في أبواب: العلم، باب: في فضل الفقة في العبادة ، ضعيف سنن الترمذي - الألباني ص ٣٢٠ رقم ٥٠٦.

وأخرجه ابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: الحكمة، ضعيف سنن ابن ماجة - الألباني ص ٣٤٣ رقم ٩١٢.

(٢) الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي - د.محمد رأفت سعيد ٩ ط دار العلم للطباعة والنشر، جدّة: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

أساليبُ الدعوةِ الإسلاميةِ المعاصرةُ

الباب الأول

(استخدام الأدلّة العقلية والعلميّة)

الفصل الأول

(الأدلّة العقليّة)

المبحث الأول

(الأدلة العقلية على وجود الخالق)

إنّ قضية وجود الخالق سبحانه من القضايا البدهيّة، والتي لايحتاج في إثباتها إلى أدلة، لا سيما عند أصحاب الفطرة السليمة.

فإن أول شعور يشرق في أعماق الإنسان إذا تأمّل في نفسه وفي الكون من حوله، ليشعر بوجود قوة كبرى مهيمنة على الكون تمنحه التنظيم والبقاء والفناء والتغيّر والحركة والسكون سواء استطاع أن يقيم الدليل البرهاني على صدق هذا الشعور أو لم يستطع، فدليل الفطرة، ودليل البداهة شاهد حق يسبق الشواهد النظرية، وقد يكون أدقّ منها وأصدق.

إنّ كثيراً من علومنا ومعارفنا ليس لها دليل في أنفسنا غير شعورنا الفطري بها ومن أمثلة ذلك :

انسياق الرضيع إلى ثدي أمّه بفطرته الأولى دون أن يتعلّم ذلك من معلّم ودون أن يدركه بدليل عقلي أو حسّي ظاهر.

ونشعر بوجود روح تسري فينا، فندافع عنها، ونحرص على بقائها دون أن نحسّ بها بإحدى حواسنا الظاهرة، ونشعر بالعواطف داخلنا سواء كانت عواطف آمال أو آلام. فما الدليل على وجودها فينا وهي متغلغلة في داخلنا ؟!.

وأمّا المنكرون والجاحدون لوجود الله فإنهم في قرارة أنفسهم يقرّون ويشهدون بوجود خالق عظيم، أوجد هذا الكون العجيب، وإذا ماألمت بأحدهم ضائقة أو مصيبة لجأ إلى خالقه، مفرج الكربات، بل إنّ إنكارهم لهذه القضية البدهيّة - والتي تقرّ بها الفطر السليمة والعقول النيّرة الصافية - لايعدو إنكاراً نظريًا محضا، ولا بأس أن أسوق بعض الأدلة والبراهين العقلية على وجود الخالق وقد اقتصرت على الأدلة العقلية لكثير من قضايا البحث، وذلك لأنّ عالم اليوم المعاصر عالم ملحد في الفكر والنظر، وقد لايقتنع بالاستدلالات الشرعية لسبب وآخر.

أولاً : دليل السببيّة :

قبل أن أبدأ في ذكر دليل السببية لابدّ من الإشارة إلى حقائق يدركها كل متأمل في هذا الكون إدراكاً لايحتاج إلى برهان، حتى صارت من المسلّمات التي لايختلف عليها اثنان:

١-أنّ كل مافي هذا الكون في حركة دائبة تطرأ عليها تغيّرات مستمرّة فكل إنسان يلاحظ تحوّل الأغذية من نباتات ولحوم إلى دم، ثمّ إلى طاقة حراريّة أو إلى مواد تبني نسيج جسم الإنسان، أو تساعد في تكوين الحيوانات المنويّة التي تتحول - إذا ماقدّر لها- إلى أحياء أخرى لها وجودها المستقل(١) وكل إنسان يلاحظ المطر ينهمر من السحاب، والثمر يحصل من الشجر، والشجر ينبت من الماء والتراب، وأنّ الماء ينشأ من عنصري: (الأوكسجين) و (الهيدروجين)(٢) ولا مجال للشك - بعد التأمّل في معطيات العلم الحديث - في أنّ كل شئ في هذا الكون في حركة دائمة وتغيّر مستمر.

٢ -أنّ كلّ تغيّر يحدث في الوجود لابدّ له من سبب يحدثه سواء أظهر لنا ذلك السبب أم لم يظهر(٣). كما أنّه ليس هناك شيء من الممكنات (لايحدث بنفسه من غير شيء) لأنّه لايحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده (ولا يستقل بإحداث شئ) ولأنه لايستطيع أن يمنح غيره شيئا لايملكه هو. كما أنّ الصفر لايمكن أن يتولّد عنه عدد إيجابي، فلا بدّ له في وجوده وفي تأثيره من سبب خارجي(٤). فقد استنتج الانسان

---

(١) انظر : الإيمان بالله- محمد حسن الحمصي، ١٥ - ١٧.

(٢) الوجود الحق- د.حسن هويدي، ١٧.

(٣) وجود الله والنبوة - خالد الرفاعي، ٣٠.

(٤) الدين - د. محمد عبد الله دراز، ١٠٤-١٠٥

من ملاحظته لحوادث الكون التي يراها كل يوم هذه الحقيقة فلم ير إنسان منذ وجد الإنسان على ظهر البسيطة، أنّ حادثاً حدث من غير سبب أو أنّ شيئا وجد من غير موجد.

٣ - إنّ إعمال النظر في الحقيقتين السالفتين لابدّ أن يقود إلى حقيقة أخرى تكون نتيجة لهما ذلك أنّنا إذا سلّمنا أنّ أجزاء الكون في حركة دائبة وتحوّل مستمرّ. وسلمنا أنّ كل تحوّل أو حركة تحدث في الكون لابدّ لها من سبب، اذاً فالنتيجة التي تقودنا إليها هاتان الحقيقتان : هي أنّ هناك أسباباً أخرى، متعاقبة، بعضها ناشئ عن بعض أدّت جميعها إلى تلك الحركة والتغيّر المستمرين.

وهناك سبب أصيل نشأت عنه كل تلك الأسباب العارضة والمؤثرة. وهو سبب الأسباب.

وسبب الأسباب لابدّ له من أن يكون كامل القدرة إذ صدرت عنه القوى الكونية وأن يكون كامل الحياة إذ دبت عنه صورة الحياة في الأجساد والنباتات، وأن يكون كامل العلم والحكمة وهذا السبب الحقيقي واجب الوجود، كامل الصفات هو «الله سبحانه وتعالى»

هذا وقد اعتمد أعرابي بدوي على هذا الدليل في إثباته وجود الله سبحانه عندما قال جريا على الفطرة البدويّة الصافية :

«البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج أفلا تدل على الصانع الخبير[1] »؟!

وكما كان دليل السببيّة في إيمان أعرابي بدوي تأمّل الكون، كذلك فإن دليل السببيّة

---

(١) انظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب - السيد أحمد الهاشمي، ١٩/٢، من خطبة قسّ بن ساعدة، ط دار الفكر، بدون سنة طبع، البيان والتبيين - أبو عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، ١٦٣/١، ط الشركة اللبنانيّة للكتاب، بيروت: بدون سنة طبع.

نفسه كان ولا يزال دافعاً إلى العديد من كبار العلماء المتخصصين في الشؤون العلمية.

فأستاذ الطبيعة الحيويّة الدكتور/ بول كلارنس ايرسولد يقول في مقال له بعنوان: الأدلة على وجود الله:

« إن الأمر الذي نستطيع أن نثق به كل الثقة هو أنّ الانسان، وهذا الوجود من حوله، لم ينشأ هكذا نشأة ذاتية من العدم المطلق، بل إن لهما بداية، ولا بد لكل بداية من مبدئ... وإنّ معجزة الحياة ذاتها لها بداية، كما أنّ وراءها توجيهاً وتدبيراً خارج دائرة الانسان، إنها بداية مقدسة، وتوجيه مقدس، وتدبير إلهي محكم[١] ».

وقد جرت مناظرة ومجادلة بين أبي حنيفة رحمه الله وبعض الملحدين في أن يقيم لهم الدليل على وجود الله، فذكر لهم موعداً يأتيهم فيه للمناظرة.

ولما حان الموعد تأخر عنهم وهم ينتظرون، فضجّوا وتصوّروا أنّه تهرّب من لقائهم ومناظرتهم، ثمّ قدم عليهم يسرع الخطى، فعاتبوه في التأخر، فذكر لهم عذراً اصطنعه، وهو أنه لم يجد صاحب زورق ينقله إلى مكان الموعد من الشاطئ الثاني للنهر، ولما يئس وهمّ بالرجوع إلى منزله، رأى ألواحاً من الخشب قادمة بنفسها، ثمّ صارت تنضمّ على أنفسها حتى صارت زورقاً، فعجب لها، ولما رآها زورقاً متقن الصنع ركبه وقدم إليهم.

فقالوا له: أتهزأ بنا، كيف يصنع زورق نفسه بنفسه؟! فقال لهم: هذا ما اجتمعتم لتجادلوني به، إنكم لم تصدقوا أن زورقاً يصنع نفسه بنفسه، وتؤمنون بأنّ هذا الكون العظيم قد صنع نفسه بنفسه. فبهتوا، وآمن من آمن منهم[٢].

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم، أشرف على التحرير: جون كلوفر مونسما، ص٣٨.

(٢) براهين وأدلة إيمانية - عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ١٦١، وتساق هذا القصة بغير هذا الأسلوب، انظر: شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي، ٨٤ - ٨٥، تاريخ المذاهب الإسلامية - محمد أبو زهرة، ٣٥٥ - ٣٥٦.

وكتب «أندور كونواي إيفي» من علماء الفسيولوجيا في أمريكا قائلاً: إنّ أحداً لايستطيع أن يثبت خطأ قانون السببيّة، فبدونه تنعدم جميع الأشياء الحيّة. والعقل البشري لايستطيع أن يعمل إلاّ على أساس السببيّة.

إنّني أسلّم أنّ لقانون السببيّة وجوداً حقيقياً[١]».

فكما يستحيل وجود بناء من غير بان، وكتابة من غير كاتب وصناعة من غير صانع فكذلك يستحيل وجود العالم من الأفلاك، والعناصر والأجسام، والأعراض، والجواهر من غير موجد. فإنّ الفلك الدوار ليس بأقلّ من الفُلك السيّار وكما أنّ انتظام الفلك باعوجاجها من غير نجار لها، وجريها في البحر من غير مُجرٍ لايجوز، فكذلك جري الفلك الدوار من غير مجرٍ؟

ولو جاز ذلك لجاز أن يختلط الماء بنفسه بالتراب فيصير طيناً ثم يدخل بنفسه في القالب فيصير لبنا، ثم يدخل بنفسه في النار فيصير آجرا، ثم يرتفع بنفسه بعضه فوق بعض فيصير جداراً، وداراً من غير بان ولا صانع، ولجاز أن تصير الشجرة بنفسها ألواحاً، وينتظم بعضها إلى بعض، فتصير بنفسها سفينة ومركبا من غير صانع، ولا خفاء في أنّ من ادعى وجود ذلك استهزئ بعقله وتعجب من غباوته وجهله وأخرج من جملة العقلاء وأدخل في جملة الجهلاء[٢]».

فكل متحرك لابدّ له من محرّك. وهذا المحرّك لابدّ له من حركة يستمدّها من غيره... وهكذا إلى أن يقف العقل عند محرك واحد لاتجوز عليه الحركة[٣] لأنّه قائم بنفسه، وهذا هو الله تعالى[٤]».

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم، أشرف على التحرير: جون كلوفر مونسما، ١٥٢.

(٢) انظر: كتاب الداعي إلى الإسلام- الأنباري، ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٣) أي لاتؤثر فيه أيّ حركة من حركات الكون، بل يفعل مايشاء ويختار، فالله غني عن جميع المخلوقات - سبحانه وتعالى - .

(٤) الله جلّ جلاله - عباس محمود العقاد، ٢١٥.

وقد أثبت العالم الإنجليزي "نيوتن" بطريقة فذّة أنه لابدّ لكل سبب من مسبِّب، وذلك بأن صنع على يدي ميكانيكي حاذق مصغراً للنظام الشمسي، وقد ظهرت فيه كواكب ممثلة بكرات تحركها يد يسيّرها نظام معقّد يقوم على مسننات وأحزمة. واتفق أن زار نيوتن أحد أصدقائه من العلماء - وكان ملحداً- وقد روي مادار بينهما: ففي يوم من الأيام بينما كان نيوتن جالساً في مكتبه يقرأ ومصغر النظام الشمسي على طاولة إلى جانبه، إذ دخل عليه أحد أصدقائه الملحدين - وكان الرجل عالماً - فتعرّف فوراً على الأجرام السماوية تتحرك في محاورها وكلها تجري بمقدار، فتراجع قليلاً وقال: ماأعجب هذه الآلة الميكانيكيّة! فمن الذي صنعها ؟

فردّ عليه نيوتن من غير أن يتحرك من مقعده قائلاً : لاأحد.

فالتفت الملحد إلى نيوتن وقال: إنك ولا شك لم تفهم سؤالي، فقد سألتك من صنعها ؟ فرفع نيوتن هذه المرة رأسه إلى صديقه وقال له مؤكداً بكل صراحة ورصانة: إنّ عناصر هذه الآلة قد اجتمعت من نفسها على هذه الصورة العجيبة. فاستغرب الملحد هذا القول. وقال لنيوتن: أتظنني أحمق حتى أقبل هذا القول؟ إنها ولا شك من صنع إنسان لابل إنسان عبقري وأودّ أن أعرف اسمه.

وضع نيوتن الكتاب الذي كان يقرأه، ومدّ يديه ونهض واقفاً ووضع يده على كتف صديقه وقال: ليست هذه الآلة إلاّ تقليداً لنظام أعظم تعرف أنت قوانينه. فإذا كنت لاأستطيع أن أقنعك بأنّ هذه الآلة ظهرت من غير صانع فكيف تزعم أن ليس للنظام الشمسي الحقيقي خالق بينما لم يفعل صانع هذه الآلة إلاّ أنه قلّد الأصل. فقل لي بربك بأي

منطق وصلت إلى قناعتك[1]؟

وقد علم بضرورة العقل أنّه لابدّ من وجود موجد قديم، غني عمّا سواه إذ نحن نشاهد حدوث المحدثات: كالحيوان والمعدن والنبات.

والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممتنع، وقد علم بالإضطرار أنّ المحدَث لابدّ له من محدِث والممكن لابدّ له من موجد. كما قال تعالى:

﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾[2]؟

فإذا لم يكونوا خلقوا من غير خالق، ولا هم الخالقون لأنفسهم تعيّن أنّ لهم خالقاً خلقهم، وهو الله تعالى[3].

وقد أشار القرآن إلى دليل السببيّة الموجب لوجود الله في مواضع كثيرة ولئن عبّرنا بلفظ السبب ومعنى السببيّة، فإنّ القرآن الكريم قد جاء التعبير فيه عن سبب الأسباب كلها، باللفظ الدقيق الذي يتناسب مع ربوبيّته سبحانه وتعالى وهو لفظ الخلق ومشتقاته، ذلك لأن السببيّة متى انتهت إلى العليم الحكيم المريد كانت خلقاً، قال تعالى: ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً، وما تحمل من أنثى ولا تضع إلاّ بعلمه، وما يعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره إلاّ في كتاب. إنّ ذلك على الله يسير[4]﴾ وقال تعالى: ﴿ ألم تر أنّ الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من

---

(١) خلق لاتطوّر، تأليف: فريق من العلماء، تعريب، د.إحسان حقي، ٤٦-٤٧ .

(٢) سورة الطور آية/ ١١.

(٣) انظر: التحفة المهديّة شرح الرسالة التدمّرية - فالح بن مهدي آل مهدي، تصحيح وتعليق عبد الرحمن صالح المحمود، ٥٦ط٢، مكتبة الحرمين، الرياض، ١٤٠٥هـ، شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي، تخريج محمد ناصر الدين الألباني١١٢، ط٩، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

(٤) سورة فاطر/الآية ١١.

خلاله وينزّل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار. يقلّب الله الليل والنهار إنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار. والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله مايشاء. إنّ الله على كل شيء قدير﴾[١-٢].

ثانياً : دليل الإتقان :

إنّ الناظر بعين فاحصة إلى ماحوله وقد علاه شيء من الترتيب والتنسيق والإتقان والدقة ليجعله يحكم بدقة وإتقان من صنعه، فإذا مارأى الإنسان منزلاً مصمماً على طراز حديث مناسب، مجزأ إلى مكان خاص بالضيوف وآخر لتناول الطعام، وغيره للنوم، لجزم بأنّ هذا الترتيب وهذه الهندسة لم تتم وحدها بل كان وراءها من خطّط لها، ومن أشرف على بنائها وغيرها حتى وصلت إلى هذا المستوى الجيد والمناسب.

وإذا رأينا كتاباً قد أحسن في إخراجه، وصفّت حروفه وجمعت أوراقه ورتبت وطبعت بشكل جميل حكمنا بأن وراء الإنجاز وهذا العمل والشكل الأنيق المتقن من أوجده وأتقنه.

يقول الأستاذ : الحمصي

فلو نظرنا نظرة شاملة إلى الكون الفسيح بأرضه وشمسه ونجومه وكواكبه، هذا الكون الذي أتقن صنعه إتقاناً ليس بعده إتقان، وأحكم تكوينه إحكاماً يجعل العقول العظيمة تقف عاجزة أمام تقصي دقة صنعه وإحكام نظامه.

والأرض والشمس والنجوم التي تملأ السماء ماهي إلاّ كواكب تسير سابحة في هذا

(١-٢) سورة النور/ الآية ٤٣ - ٤٥ .

- انظر: براهين وأدلة إيمانية - عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني، ١٦٢.

الكون العظيم الفسيح وفق مخطط دقيق مرسوم، لاتحيد عنه مطلقاً، ولو أن نجماً منها غيّر سرعته، زيادة أو نقصانا، أو غيّر مساره قليلاً لأدى ذلك إلى اختلال نظام التجاذب القائم بين الكواكب، وبالتالي فإنه يؤدي إلى اصطدام بعضها ببعض ودمارها، غير أنه قد أحكم تكوينها في دقة متناهية بحيث تقف سابحة في الفضاء الفسيح[1] فهذه الكواكب السيّارة التي تلتزم مداراً واحداً، لاتنحرف عنه يميناً ولا يساراً وتلتزم سرعة واحدة لاتبطئ فيها ولا تعجل، ثم نرتقبها في موعدها المحسوب فلا تخالف عنه أبداً.

﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لاالشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار. وكل في فلك يسبحون﴾[2].

إنّ الناظر إلى الهيمنة على نظامها والإشراف على مدارها والإمساك بأجرامها الهائلة ودفعها بهذه القوة الفائقة ليجعلنا نقرّ بعقولنا الصافية أنّ وراء هذه العملية قادرا عليماً. سبحانه وتعالى .

إنّها لاترتكز في علوّها إلاّ على دعائم القدرة، ولا تطير إلاّ بأجنحة أعارها لها ربها ﴿ إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنّه كان حليماً غفوراً ﴾[3].

أمّا كلمة الجاذبية وماتحمله من معان علمية فإنها ترمز لقوانين تصرخ باسم: الله[4] وإنّ من أبرز مظاهر الإتقان والإبداع في الخلق ماأشار إليه القرآن الكريم :

﴿ ماترى في خلق الرحمن من تفاوت .. [5]﴾

---

(١) الايمان بالله- محمد حسن الحمصي، ٢٧.

(٢) سورة يس/ الآية ٣٨ - ٤٠.

(٣) سورة فاطر/ الآية ٤١.

(٤) عقيدة المسلم - محمد الغزالي ١٥.

(٥) سورة الملك / الآية ٣.

فإن الألكترون في الذرة التي يتألف منها الوجود، وهي أصغر شيء فيه، يدور على عكس عقارب الساعة، والأرض تدور على عكس عقارب الساعة، وكذلك الشمس والكواكب السيارة والقمر وكل الأقمار والمجموعة الشمسيّة.

والعجيب أنّ النسبة بين النواة وإلكترونها كالنسبة بين الشمس وكواكبها السيارة فسبحان من خلق كل شيء وقدّره تقديراً.

إنّ ذرّات الوجود كلّها تقوم على الزوجيّة، كهرباء سالبة وكهرباء موجبة فإذا ارتقينا إلى النبات وجدنا عناصرالزوجية وكذلك في الحيوان والإنسان.

ففي هذا الكون قوة ومنابع قدرة، وتحكمه قوانين، إلهيّة وإننا لنجد أدق معاني التناسق والوحدة بين هذه القوى والقوانين، فهذا الهواء الذي نستنشقه مركب من عدة عناصر منها جزءان هامان، جزء صالح لتنفس الانسان يسمى الأكسوجين، وجزء ضار به يسمى الكربون. فمن دقائق الارتباط بين وحدات هذا الوجود المعجز وإتقانه أن هذا الجزء الضار بالإنسان يتنفّسه النبات وهو نافع له. ففي الوقت الذي يكون الإنسان فيه يستنشق الأوكسجين ويطرد الكربون، يكون النبات يعمل عكس هذه العملية.

ويتمّم البحر عمليّة إيجاد التوازن بين الصادر والوارد من غاز الفحم، فإنّه يمتصّ كل زيادة موجودة في الجوّ إذا بلغت هذه الزيادة فوق الحدّ المناسب[1] وإنّ الجمال والاتقان ليبدوان ملازمين لكل شيء في الكون: السحب ، قوس قزح، السماء الزرقاء، النجوم ذات الألوان وانتشارها وهندستها، القمر ساعة طلوعه عندما يكون بدراً أو هلالاً أو ساعة توسّطه قبة الفلك، الشمس في غروبها وشروقها، الفجر والأصيل، كل ذلك آثار إبداع وإتقان عظيمين.

---

(١) التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان - عثمان جمعة ضميرية، ٣٦ - ٣٨، بتصرف.

كل ورقة من أوراق الشجر منظمة أبدع نظام، مخططة أجمل تخطيط، وكل زهرة من الأزهار برشاقتها الفاتنة وتصميماتها الرائعة وألوانها الموزعة بشكل يحافظ كل زهر معه سمات جماله وتناسق ألوانه لتدل على ذلك الإتقان العظيم[١] وعقولنا متى لاحظت أيّ مركّب على وجه من الإتقان والأحكام فإنها ولا شك تفرض بداهة أنّ متقناً حياً عليماً قد أتقن ترتيبها وإحكامها، وهي ترفض رفضاً قطعياً أن يكون ترتيبها جاء بالمصادفة لأن المصادفة في المركّبات ذات الأعداد والأحجام الكبيرة من المستحيلات فضلاً عن وجود المصادفة في المتقنات من المركبات الصغيرة والمعقّدة في التركيب والايجاد.

وقد نبّه القرآن الكريم على دليل الإتقان بطريقة عقليـّة في آيات متعددة منها : قوله تعالى : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه . وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه. وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون [٢]﴾

وقوله تعالى : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب . صنع الله الذي أتقن كل شيء إنّه خبير بما تفعلون﴾ [٣].

قال سيد قطب حول هذه الآية :

سبحانه ! يتجلى إتقان صنعته في كل شيء في الوجود. فلا فلتة ولا مصادفة، ولا ثغرة ولانقص، ولا تفاوت ولا نسيان. ويتدبّر المتدبر كل آثار هذه الصنعة المعجزة، فلا يعثر على خلة واحدة متروكة بلا تقدير ولا حساب. في الصغير والكبير، والجليل والحقير. فكل

---

(١) الله جلّ جلاله - سعيد حوى، ٨٦ - ٨٨، بتصرف.

(٢) سورة السجدة / الآية ٧ - ٩.

(٣) سورة النمل / الآية ٨٨.

شيء بتدبير وتقدير"[1].

وقد شهد غير المسلمين بهذه الحقيقة الناصعة- الإتقان في الخلق والإيجاد-التي تدل على أنّ وراء هذه المخلوقات المتقنة من أتقنها وأحسن إيجادها.

فهذا الأستاذ: كريسي موريسون يقول:

ومما يدعو إلى الدهشة أن يكون تنظيم الطبيعة على هذا الشكل، بالغاً هذه الدقة الفائقة. لأنّه لو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي بمقدار بضعة أقدام، لامتصّ ثاني إكسيد الكربون الأوكسجين، ولما أمكن وجود حياة النبات.

ولو كان الهواء أرفع كثيراً مما هو، فإنّ بعض الشهب التي تحترق الآن بالملايين في الهواء الخارجي كانت تضرب جميع أجزاء الكرة الأرضية، وهي تسير بسرعة تتراوح بين ستة أميال وأربعين ميلاً في الثانية. وكان في إمكانها أن تشعل كل شيء قابل للاحتراق، ولو كانت تسير ببطء رصاصة البندقيّة لارتطمت كلها بالأرض، ولكانت العاقبة مروّعة"[2].

وقد هدت ظاهرة الإتقان في خلق هذا الكون، صغيرة وكبيرة، كثيراً من العلماء الباحثين في هذا الكون وصفاته وحقائقه وخصائص عناصره ومركباته إلى الإيمان بالربّ الخالق المبدع الذي أتقن كل شيء فقدّره تقديراً، فكل ذرة في هذا الكون تشهد بوجوده وحكمته وكمال صفاته عز وجل، وقدّم كثيرٌ منهم شهادته بأنه لاإله إلاّ الله، ومن ذلك ماكتبه: الدكتور "جورج إيرل دافيز"[3].

وخلاصة قوله: كلّما تقدّم ركب العلم وتضاءلت الخرافات القديمة ازداد تقدير الانسان لمزايا الدين والدراسات الدينيّة.

---

(١) في ظلال القرآن- سيد قطب، ٢٦٦٩/٥.

(٢) في ظلال القرآن- سيد قطب، ٢٥٤٨/٥-٢٥٤٩، نقلاً عن ترجمة محمود صالح الفلكي، بعنوان :"العلم يدعو إلى الإيمان" ، لكتاب أ. كريسي موريسون في كتاب بعنوان " الإنسان لايقوم وحده".. ص ٦٥- ٦٦

(٣) عالم الطبيعة ورئيس قسم البحوث الذريّة بالبحرية الأمريكية في مقال له بعنوان: "الكشوف العلميّة تثبت وجود الله" .

وليس معنى ذلك أننا ننكر وجود الإلحاد والملحدين بين المشتغلين بدراسة العلوم إلاّ أنّ الاعتقاد الشائع بأنّ الإلحاد منتشر بين رجال العلم أكثر من انتشاره بين غيرهم، لايقوم على صحته دليل، بل إنّه يتعارض مع مانلاحظه فعلاً من شيوع الإيمان بين المشتغلين بالعلوم.

ولقد أتيح لي بفضل اشتغالي بدراسة الطبيعة أن أدرس التركيب المعقّد إلى درجة لايتصورها العقل لبعض مكوّنات هذا الكون لاتقلّ فيه روعة التذبذبات الداخليّة لأصغر ذرّاته، وما دون ذرّاته عن النشاط المذهل لأكبر النجوم السابحة في أفلاكها، والذي يسير فيه كل شعاع من الضوء، وكل تفاعل كيميائي أو طبيعي، وكل خاصيّة من خواص كل كائن حي وفق قوانين ثابتة لاتتغيّر ولا تتبدّل.

تلك هي الصورة التي تقدّمها لنا العلوم، والتي كلّما تأمّلها الإنسان اكتشف من بالغ دقتها وروائع جمالها مالم يكن قد اكتشفه من قبل.

ولا يمكننا أن نثبت وجود الله عن طريق الإلتجاء إلى الطرق الماديّة وحدها، ولكننا نستطيع أن نتحقّق من وجود الله باستخدام العقل والاستنباط مما نتعلّمه ونراه فمن المنطق الذي لايتطرق إليه الشك : هو أنه ليس هنالك شيء ماديّ يستطيع أن يخلق نفسه.

فكلّما ارتقى وتقدّم تطوّر المخلوقات، كان أشدّ دلالة على وجود خالق مدبّر وراء هذا الكون، إنّ التطوّر الإتقان الذي تكشف عنه العلوم في هذا الكون هو ذاته شاهد على وجود الله[1] .

ومن النصوص القرآنية التي تظهر دلالة الإتقان في الخلق وفي نظام هذا الكون قوله تعالى : ﴿ ياأيها الإنسان ماغرك بربّك الكريم . الذي خلقك فسوّاك فعدلك . في أيّ صورة ماشاء ركّبك ﴾[2]

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم- جون كلوڤر مونسما، ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، ٣٩ - ٤١، بتصرف.

(٢) سورة الانفطار / الآية ٦ - ٨.

ثالثاً : الفطرة السليمة :

إنّ من أبرز الأدلة على وجود الله جلّ جلاله ليس شيئاً خارجاً عن كيان الإنسان، إنّه الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

إنّه ذلك الشعور الطبيعي بأنّ فوق الكائنات المحدودة المتناهية كائناً غير محدود ولا متناه، يهيمن على كل شيء، ويدبر كل أمر، يرجى ويخشى ويعظّم ويقصد، شعور ينبع من أعماق الإنسان، ويستمد من كيانه كله لامن عقله وحده، ولا من وجدانه بمفرده، شعور يجده الإنسان في نفسه بغير تعلّم ولا تلقين ولا اكتساب.

إنّ الذي علّم الانسان أولى البدهيّات مثل أنّ ١ + ١ = ٢ دون برهان ولا مقدّمات منطقية هو الذي علمه أنّ له إلهاً لايستغنى عنه، بدون حاجة إلى استدلال، ولا انتقال من معلوم إلى مجهول، ومن مقوّمات إلى نتائج[١] وكثير من علومنا ومعارفنا ليس لها دليل في أنفسنا غير شعورنا الفطري بها، ومهما تقدّمت العلوم والمكتشفات فإنّها لاتزيدنا عنها شيئا غير ماتوصلنا إليه بفطرتنا. ومن الأمثلة على ذلك :

- انسياق الطفل حديث الولادة بفطرته الأولى إلى ارتضاع ثدي أمّه دون أن يتعلّم ذلك من معلّم، ودون أن يدركه بدليل عقليّ، أو دليل حسّي ظاهر.
- والأمّ تشعر بعاطفة الأمومة، فتقوم على رعاية وليدها وحمايته وتربيته، سواء أعلمت أن السرّ في ذلك حفظه بالرعاية والتربية حتى يغدو قادراً على الاستقلال بنفسه أم لم تعلم، مع مافي ذلك من تأسيس أولى الروابط الاجتماعية التي تقوم عليها المجتمعات الإنسانية . وكل كائن حي في هذا الكون مسوق بإحساس فطرته التي فطره الله عليه إلى تلبية مطالب عيشه، وحاجات غرائزه، ولو لم يدرك الغرض من وراء ذلك، وهو المحافظة على الحياة، والمحافظة على استمرار بقاء النوع، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

(١) وجود الله - د. يوسف القرضاوي، ١٩ - ٢١ ، بتصرف، الناشر، مكتبة وهبة، القاهرة : بدون سنة طبع.

نحسُّ بالجوع فنأكل، سواء أعلمنا أنّ الأكل وسيلة من وسائل حياتنا أم لم نعلم ونحسّ بالبرد، فنتخذ الوقاية منه، سواء أعرفنا أنّ البرد من عوامل الهدم في بناء أجسادنا أم لم نعرف.

ونشعر بوجود روح فينا هي سرّ حياتنا، فندافع عنها، ونحرص على بقائها دون أن نحسّ بها بإحدى حواسنا الظاهرة، وربما لايستطيع الكثير من الناس أن يقيم البرهان على وجودها، لكنّه يشعر بها ويعتقد وجودها.

ونشعر في داخلنا بالعواطف والوجدانيات كالحب والبغض والرغبة، ولانستطيع إقامة الدليل على وجودها فينا مع أنها متغلغلة في داخلنا ولانستطيع أن نقيم دليلاً أكثر من أننا نشعر بها وهي حق لاشك فيه.

ونشعر بالشهوة، والألم واللذّة، ولانستطيع أن نثبت ذلك بأكثر من أننا نشعر به فالشعور بالشيء دليل على وجوده، ويقوى هذا الدليل جداً حينما يشترك الناس في الإحساس بمثل ذلك الشعور، ويظهر أنه لم يأت من الوهم في إحساس خاصٍّ بصاحبه[١]، ولقد كشفت الدراسات الدينية الحديثة عن أمور كثيرة جديرة بإمعان النظر وهي:

أنّ التديّن صفة عامة لجميع البشر قديمهم وحديثهم[٢] فلم يعثر على أمة لادين لها وقد ذهب كثير من العلماء إلى أنّ فكرة: الله أو الدين على العموم إنّما هي فكرة فطريّة وجدت في عقل الانسان، ولكن أوجدها فينا موجد أعلى وهو الله سبحانه[٣]

والفطرة السليمة تدعو المرء إلى الاتجاه إلى الخالق، لكن الانسان تحيط به مؤثرات

---

(١) براهين وأدلة إيمانية - عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني - ١٤١- ١٤٤ بتصرف.

(٢) حتى الشيوعيين (اليوم) الذين أرادوا أن يتحرروا من عبادة الآلهه بزعمهم، يعبدون مؤسس المذهب فتراهم يمرّون أمام جثته المحنطة في الميدان الأحمر في ذكرى وفاته، خاضعين حانين رؤسهم لقد جعلوه إلهاً، وبدلاً من أن يعبدوا خالق البشر، عبدوا ميّتا من البشر، فبعداً لهم.

(٣) روح الدين الاسلامي - عفيف عبد الفتاح طبارة، ص ٨٠ بتصرف.

كثيرة تجعله ينحرف حينما يتجه إلى المعبود الحق فيما قد يغرس الآباء في نفوس الأبناء، وما قد يلقيه الكتاب والمعلمون والباحثون في أفكار الناشئة وماتبثه وسائل الإعلام وماتحويه البيئة والمجتمع، تؤثر في هذه الفطرة، وقد تقذرها وتلقي عليها غشاوة فلا تتجه إلي الحقيقة الصحيحة، بل تتبدل وتتغير[1] والله سبحانه وتعالى خلق عباده على الفطرة وعلى سنن الحنيفيّة، وقد تفسد الفطرة وتتغيّر بدخول الأضداد والأغيار عليها، فالأضداد والأغيار يخرج بعض المخلوقات عن سنن الإتقان والحكمة، ولولا تلك الأضداد والأغيار لكانت في مرتبتها كالمولود في فطرته. ولذلك أمثلة:

المثال الأول:

أنّ الماء خلقه الله طاهراً مطهراً، فلو ترك على حالته التي خُلق عليها ولم يخالطه مايزيل طهارته لم يكن إلاّ طاهراً، ولكن بمخالطة أضداده من الأنجاس والأقذار تغيّرت أوصافه وخرج عن الخلقة التي خلق عليها، فكانت النجاسات والقاذورات بمعنى أن أبوي الطفل وكافليه هما الذين يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أويشركانه، كما أنّ الماء إذا فسد بمخالطة الأنجاس والقاذورات لم يصلح للطهارة فكذلك القلوب إذا فسدت فطرها بالأغيار لم تصلح لحظيرة القدس.

المثال الثاني:

الشراب المعتصر من العنب فإنه طيب يصلح دواء وغذاءً إذا ترك على حاله، ولكن إذا غُيِّر فسدت هيأته واتخذ مسكراً فخرج بذلك عن هيئته وخلقته التي خلق عليها من الطهارة والطيب فصار أخبث شيء وأنجس، فلو انقلب خلاً أو زال تغيّر الماء كان بمنزلة رجوع

---

(١) انظر: العقيدة في الله - د.عمر سليمان الاشقر، ٦٥-٦٦.

الكافر إلى فطرته الأولى فإنّ الحكم إذا ثبت لعلّة زال بزوالها[1].

والقرآن الكريم قرّر هذه الحقيقة، حقيقة فطر الناس على الحنفية السمحة وهي الاعتراف بالله سبحانه المستحق للعبادة والإجلال.

فقرر القرآن الكريم أن الدين فطرة في الإنسان وأن أساسه الاعتقاد بخالق الكون وأنه واحد لاشريك له، فإذا انفرد المرء بنفسه حكم بأنّه مخلوق لإله قادر حكيم خلقه وأنعم عليه.

ولم يطل القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الله تعالى لأنها قضية فطريّة فطرت النفوس السليمة على الاعتراف بوجود الخالق قال تعالى:

﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيمّ. ولكن أكثر الناس لايعلمون[2] ﴾

وقال تعالى: ﴿ وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم. ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين[3] ﴾

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (مامن مولود يولد إلاّ على الفطرة فأبواه يهوّدانه أوينصّرانه أويمجّسانه..............[4]) ولم يقل يسلمانه لأن

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين - ابن القيم - ١٨٠-١٨١.

(٢) سورة الروم/ الآية ٣٠.

(٣) سورة الاعراف/ الآية ١٧٢.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز ٢٤١/١ رقم ٥٢، وأخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب ماقيل في أولاد المشركين، ٢٤٥/٣ رقم ١٣٥٨، وفي كتاب التفسير باب تفسير سورة الروم ٥١٢/٨ رقم ٤٧٧٥، وأخرجه مسلم في كتاب القدر باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٢٠٤٧/٤ رقم ٢٦٥٨.

الاسلام موافق للفطرة ولقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذا الحديث فأجاب: إنّ الفطرة التي فطر المولود عليها هي فطرة الإسلام وهي : السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة[1] وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال : قال ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل :"إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمّت عليهم ماأحللت عليهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا"[2]

وهذا الشعور المغروس في النفس الإنسانية بوجوده سبحانه وتعالى-وهو الشعور الفطري وهو مايعبر عنه بالغريزة الدينيّة - هو المميز للانسان عن الحيوان فإن معرفة الانسان لله تختلف عن معرفة الحيوان لخالقه وفاطره وقد يغفو هذا الشعور الفطري لسبب من الأسباب أو لعارض من العوارض أو لأثر من المؤثرات الخارجّية، فلا يستيقظ إلاّ بمثير يبعث على يقظته من ألم ينزل أو ضُرٌ يحيط، وإلى هذا تشير النصوص القرآنيّة :

﴿ وإذا مسّ الإنسان الضرُّ ، دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضرّه مّر كأن لم يدعنا إلى ضرٍّ مسّه .... "[3]﴾

﴿ هو الذي يسيّركم في البّر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبّة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله

---

(١) أنظر : مجموع فتاوى ابن تيمية - عبد الرحمن بن قاسم ٤/ ٢٤٥، مجموعة الرسائل الكبرى - احمد ابن تيمية ٢/٣٣٣ ومابعدها ط دار إحياء التراث العربي، بيروت : بدون سنه طبع.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ٤/٢١٩٧-٢١٩٨ رقم ٢٨٦٥.

(٣) سورة يونس / الآية ١٢.

مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونّن من الشاكرين .... [(١)]﴾

وقوله تعالى:

﴿وإذا مسّ الناس ضرٌّ دعوا ربهم منيبين إليه .... [(٢)]﴾

وقوله تعالى:

﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين .... [(٣)]﴾

سأل رجل الامام جعفر الصادق - رحمه الله - عن (الله)

فقال الامام للسائل : ألم تركب البحر؟

قال : بلى.

قال : فهل هاجت بكم الريح عاصفة ؟

قال : نعم.

قال : وانقطع أملك حينئذ من الملاحين ووسائل النجاة؟

قال : نعم.

قال : فهل خطر ببالك وانقدح في نفسك أنّ هناك من يستطيع أن ينقذك إن شاء؟

قال : نعم.

قال : الإمام : فذلك هو : (الله)[(٤)].

---

(١) سورة يونس / الآية ٢٢.

(٢) سورة الروم / الآية ٣٣.

(٣) سورة لقمان / الآية ٣٣.

(٤) الله في العقيدة الاسلامية - حسن البنا ص١٨.

رابعاً : الآيات الكونية:

الكون في التصوّر الاسلامي هو هذا الوجود الخارجي الذي يدركه الانسان ويوجه إليه عقله وقلبه، هو هذه السموات والأرض، وهذه النجوم والكواكب والأفلاك والمجرآت، وهذه الكائنات الحيّة، والظواهر الكونيّة المتناسقة الجميلة، وهو هذا الليل والنهار، هو هذا الذي نشاهده وهو هذا الذي قد نجده غيباً محجوباً، وهو بشموله، واتساعه وارتباط حوادثه ببعضها وفق سنة الله التي فطره عليها.

وحين يوجّه الإسلام الإدراك الإنساني إلى هذا الكون كدليل على وجود الله ووحدانيته وقدرته وإرادته وهيمنتة وتقديره .... فإنه يثير فيه حسّه وضميره وعقله إلى ضرورة لفت الأنظار إلى مثل هذه الآيات التي تدل على وجود خالقها وهو الله، فإنّ هذه الآيات المضروبه مثلاً تعقلها العقول النزيهة الصافية، وصدق الله إذ يقول: ﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمّن يمشي سوياً على صراط مستقيم[1] ﴾

وقد قامت الأدلة السمعيّة والعقلية والحسيّة على أنّ خالق هذا الكون: هو الله سبحانه فليست المصادفة ولا الطبيعة هي الخالقة[2].

بل إنّ النظام ملموس ومشاهد في الكون جميعه من أصغر جرم فيه وهو الذرّة كدوران الكترونها بنظام حول النواة إلى أكبر المجرآت في الفلك وسباحتها فيه مع كواكبها بانتظام ودقة فائقتين. فانتظام الكون ووجود القوانين الطبيعيّة هما أساس العلم الحديث، ولولا انتظام الكون لما كان هنالك مكان لمعجزة من المعجزات لأنّ هذه المعجزات خروج على قوانين الطبيعة ولايمكن تقديرها وتذوق قيمتها الحقيقيّة إلاّ إذا وجد كون منظم يسير وفق سنن مرسومة،

---

(١) سورة الملك آية ٢٢.

(٢) انظر : التصور الاسلامي للكون والحياة والانسان - عثمان جمعة ضميرية ١٩ ومابعدها.

وهذا مانلمسه في هذا الكون، فلو كان الكون قائماً على الفوضى، أولو أنهّ كان أمراً حتمياً لاسبيل إلى تعديله لماكان للصلاة والدعاء والإعجاز فائدة.

فإذا آمنّا بأنّ هذا الكون يقع تحت سيطرة إله حكيم - لامجرد مدير لجهاز آلي- فإنّا نستطيع أن نسأله، وندعوه، ونصلي له، لكي يلطف بنا فيما جرت به المقادير ، لالنغيّر سنن الكون العظمى[1]

فالمؤمنون: هم الذين يستدلون بخلق هذا الكون على وجود الله تعالى[2]

فالأرض ليست إلاّ فرداً من أفراد الأسرة الشمسيّة، والأسرة الشمسيّة ليست إلاّ فرداً من أفراد المجموعة المجريّة، والمجموعة المجريّة ليست إلاّ فرداً من مجموعة المدن النجوميّة التي في الفضاء[3]يقول الدكتور : ميريت ستانلي كونجدن:

إن جميع مافي الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدلّ على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر الكون ودراستها، حتى باستخدام الطريقة الاستدلاليةّ، فإننّا لانفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته[4].

إنّ آيات الله الكونيّة، وكلهّا تدلّ دلالة عقلية قطعيّة على إثبات وجود الله سبحانه، وفيما يلي سأذكر بعض آيات الله الكونية ودلالتها العقلية على إثبات وجود الله.

١- السماء :

إنّ الفضاء الكوني فسيح جداً، تتحرك فيه كواكب لا حصر لها، بسرعة خارقة، فبعضها يواصل رحلته وحده،ومنها أزواج تسير مثنى مثنى ، ومنها مايتحرك في شكل مجموعات.

---

(١) آيات الله تعالى - محمد وفا الأميري ٢/٢٨٤ - ٢٨٥.

(٢) كما قال تعالى : ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق إنّ في ذلك لآية للمؤمنين﴾ ٤٤ العنكبوت.

(٣) روح الدين الاسلامي - عفيف عبد الفتاح طبارة ٦٨.

(٤) الله يتجلى في عصر العلم - جون كلوفر مونسما ٢٠.

إنّ الملاحظة الأوليّة لضوء الشمس النافذ مع شباك الغرفة يحمل ذرات كثيرة من الغبار، تتحرك وتسير في الهواء، إنّ عدد هذه الذرات يتجاوز الآلاف بل الملايين لاسيما إذا كانت منفذ ذلك الضوء كبيراً، وكذلك الكواكب في الفضاء فإنه لاعدّ لها ولاحصر كما هو الحال في عدد ذرات تلك الأتربة أو الغبار الساقطة مع ذلك الضوء لكن يوجد هناك فرق بين هذه الذرات وبين الكواكب السيارة في الكون، فإنّ الكواكب مع كثرتها وسباحها في الفضاء لاتتصادم بل لكل كوكب، ولكل مجموعة طريق مرسوم يتجّه فيه، ويقوم بدوره الذي أنيط به [١]

وقد أثبت الدكتور/جامو[٢] أنّ الكون في بدء نشأته كان مملوءاً بغاز موزع توزيعاً منتظماً .... إنه غاز يبلغ من الكثافة ودرجة الحرارة حداً لايمكن تصوّره، وفي هذا الغاز حدثت عمليّات التحوّل النووي في مختلف العناصر، وتحت تأثير الضغط الهائل لهذا الغاز الساخن المضغوط بدأ الكون ينبسط ويتمدد، وأخذت كثافة المادة ودرجة حرارتها تهبطان في بطء، وفي مرحلة معينة من مراحل التمدد تكثف الغاز المنتشر إلى سحب مفردة غير منتظمة في شكلها ولامتساوية في أحجامها مكونّة نجوماً مفردة ....[٣]"

بل يضيف بعض العلماء من خلال ماتوصلوا إليه من أبحاثهم ومشاهداتهم لمظاهر الكون إلى أنّ المادة كانت جامدة وساكنة في أول الأمر وكانت في صورة غاز ساخن كثيف متماسك، وقد حدث انفجار شديد في هذه المادة قبل خمسة ملايين سنة على الأقل فبدأت المادّة تتمدد وتتباعد أطرافها، ونتيجة لهذا أصبح تحرك المادة أمراً حتمياً لابدّ من استمراره

---

(١) انظر : الإسلام يتحدى - وحيد الدين خان ٥٧.

(٢) أستاذ الطبيعة النظريّة بجامعة واشنطن.

(٣) انظر روح الدين الاسلامي - عفيف طبارة ، ص ٥١ ، إعجاز القران العلمي - محمود مهدي الاستانبولي ٨٢ ومابعدها ، وقد لفت القرآن الكريم الأنظار إلى هذا الدليل، وذكر أن السماء كانت في بدء خلق الكون دخاناً، وهذه التسمية هي التي يعرفها العرب آنذاك، قال تعالى ﴿ .. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض : إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا : أتينا طائعين ﴾ ١١ فصلت .

طبقاً لقوانين الطبيعة[1]

وقد أثبت الشرع أنّ عدد السموات سبع، وأنّ السماء الأولى - الدنيا - محيطة بهذا الفلك وأجرامه فهي كالقبة المضروبة أو كالسقف.

ومن تأمل خلق السماء وأرجع البصر فيها كرّة بعد كرّة رأى أنّها من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها، بحيث لاتصعد علوا كالنار ولا تهبط نازلة كالأجسام الثقيلة بل هي محكمة الصنع وهي جرم خلقت على استواء واعتدال فلا صدع فيها ولا فطر ولاشقّ ولا أمت ولاعوج.

فهذه السماء من أعظم آيات الله المعروضة للنظر فيها نظر بصيرة واعتبار، بل لقد ازدانت بهذه الألوان التي وضعت عليها فألوانها من أحسن الألوان وأشدّها موافقة للبصر[2].

قال العلامة سيكنا: لايستطيع المرء أن يرفع بصره نحو السموات العلى إلاّ ويغضي إجلالاً ووقاراً، إذ يرى ملايين من النجوم الزاهرة الساطعة، ويراقب سيرها في أفلاكها وتنقلها في أبراجها.

---

(١) الاسلام يتحدى - وحيد الدين خان ١٤٥.

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة - ابن القيم ٢٠٧/١ ، منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان - د.علي الفقيهي ٤٧ ويأمر القرآن بضرورة النظر إلى بعض المخلوقات ومنها: النظر إلى خلق السموات كما قال تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت﴾ ١٧-٢٠ الغاشية.

السماء بنهارها الواضح الباهر الجاهر، والسماء بأصيلها الفاتن الرائق الساحر، والسماء بغروبها البديع الفريد الموحي، والسماء بليلها المترامي ونجومها المتلألئة وحديثها الفاتر، والسماء بشروقها الجميل الحي السافر. أفلا ينظرون إلى السماء كيف رفعت؟ أمن ذا رفعها بلاعمد؟ ونثر فيها النجوم بلاعدد ؟ وجعل فيها هذه البهجة وهذا الجمال وهذا الإيحاء؟ إنهّم لم يرفعوها وهي لم ترفع نفسها، فلابد لها من مبدع، لا يحتاج الأمر إلى علم ولا إلى كدّ ذهن، فالنظرة الواعية وحدها تكفي.. انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب ٣٨٩٨/٦.

فكل نجم وأي كوكب، إنّما هو دنيا قائمة بذاتها أكبر من الأرض ومافيها ومـــا عليها وماحـــولها [١].

▢ قانون الجاذبيّة والضغط الجوي:

هذه الأجرام السماويّة المتعلقة في الفضاء على عظمها وكبر حجمها وسعتها لتبدو في ذهن الناظر نظراً أولياً إليها أنها تحتاج إلى عمد قوية تقوم عليها كما هو الحال في أي بنيان فإنه يحتاج إلى عمد يقوم عليها، وتزداد الحاجة إلى هذه العمد اذا كان ذلك البنيان كبيراً بل إنّه ليتشدد في أن تكون تلك العمد قوية متينة ومبنية على طراز هندسي قوي يكفل هذا البنيان السلامة من التصدع والوقوع فكيف الحال بالسماء، فإنهّا تحتاج إلى أعمدة عظيمة كبيرة طويلة قوية تتناسب مع حجمها، ولكن هل ستكون الأرض قاعدة لهذه الأعمدة التي ستحمل هذه السماء، واسعة الأطراف.

فهل بإمكان أيّ أحد أن يحمل هذه السموات العلا، إنّ الله سبحانه هو الذي رفع السموات وأمسكها مع الأرض حتى لاتزولا ويخرب نظامها [٢]

إنّ العين المجردة لاتنظر إلى أعمدة حسيّة تحمل هذه السموات، ومع ذلك هي محمولة بدون سواري أو أعمدة وقد أثبت العلم الحديث أنّ الأعمدة التي تحمل هذه السموات وهي غير مرئية تتمثل في قانون الجاذبية وهي التي تساعد كل هذه الأجرام السماويّة على البقاء في أمكنتها المحدّدة.

فإنّ العلم الحديث أثبت أنّ هذا الإمساك يحصل بقوة الجاذبية التي شاهد العلماء

---

(١) الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٢٩ ط دار الشروق القاهرة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

(٢) كما قال تعالى ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ..﴾ ٢ الرعد.

وقال سبحانه ﴿إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ...﴾ ٤١ فاطر.

آثارها وأحصوا أطوارها، ومسّوا سطوحها، ولم يسبروا أغوارها، وعرفوا بعض قوانينها ولم يعرفوا بعدُ أسرارها، وكل هذا قد حصل من تعليم الله وفتحه لبعض أهل العلم من فضله وكرمه سبحانه.

فلو لم يكن قانون الجاذبية موجوداً لاختلّ بعض من النظام الكوني، من حيث سباحة الكواكب في الفضاء، ومن حيث تعلّق الكائنات الحيّة من إنسان وحيوان ونبات بالأرض، فسبحان من خلق وهو اللطيف الخبير[1].

ويضيف البروفيسور ا.ي .مانديز:

بضرب مثال قائلاً : إننا نرى أنّ الطير عندما يموت يقع على الأرض، ونعرف أنّ رفع الحجر على الظهر أصعب ويتطلب جهداً، ونلاحظ أنّ القمر يدور في الفلك، ونعلم أنّ الصعود إلى الجبل أشق من النزول منه ونلاحظ حقائق كثيرة كل يوم لاعلاقة لإحداها بالأخرى ظاهراً، ثم نتعرف على حقيقة استنباطية هي "قانون الجاذبية" وهنا ترتبط جميع هذه الحقائق، ونعرف للمرة الأولى أنها كلها مرتبطة إحداها بالأخرى، ارتباطاً كاملاً داخل النظام.

إنّ قانون الجاذبية لايمكن ملاحظته قطعاً، وكل ماشاهده العلماء لايمثل في ذاته قانون الجاذبية وإنّما هي أشياء أخرى، اضطروا لأجلها - منطقياً - أن يؤمنوا بوجود هذا القانون.

ولعلّ من أبرز ماسيضطر العالم اليوم أن يؤمن بوجود الخالق لوجود تلك الآيات العظيمة ومنها هذا الكون العجيب الذي يشهد بلسان حاله ومقاله أنّ هناك خالقاً يستحق إفراده بالعباده ؟!

ويلقى اليوم هذا القانون قبولاً عظيماً، وهذا الذي كشف عنه نيوتن لأول مرة في

---

(١) قال تعالى : ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ ١٤ الملك.

القرن السابع عشر الميلادي يقول نيوتن: إنه لأمر غير مفهوم أن نجد مادة لاحياة فيها ولاإحساس وهي تؤثر على مادة أخرى مع أنه لاتوجد أية علاقة بينهما "[١] فقانون الجذب من أعظم نعم الله تعالى، به استقرت وحدات الوجود، وبه تم كمالها، فهو رباط قديم لايشاهد، وممسك متين لايرى.

وفيما مضى من الزمان كان الناس يعتقدون أنّ الضغط على سطح الأرض والهواء يمتدان إلى أعلى حتى يصلا إلى القمر أو إلى غيره، ولكن بعدما تمكنّ رواد الفضاء من الصعود والخروج عن الغلاف الجوي للأرض، لاحظوا أنّ أجسامهم تخفّ شيئاً فشيئاً كلما صعدوا إلى أعلى حتى فقدت تماماً وزنها. وهذا الضغط الجوي يضغط دائماً وباستمرار على الأجسام بنسبة معينة لاتزيد ولاتنقص، وقد خلق الله أجسام المخلوقات على وجه الأرض تتحمل هذا الضغط، بل هو سرّ وجودها على الإرض، وبدونه لايمكن لها العيش والاستقرار فكلّما ارتفع إلى أعلى حس بالضيق، والاختناق المستمرين"[٢]

❑ نجوم السماء:

يقدرّ علماء الفلك أنّ هذا الكون يتألفّ من خمسمائة مليون من مجاميع النجوم، مضروبا في (٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) من الملايين، وفي كل مجموعة منها يوجد (مائة مليار) من النجوم أو أكثر أو أقلّ، ويقدرّون أنّ أقرب مجموعة من النجوم وهي التي

---

(١) انظر : الإسلام يتحدى وحيد الدين خان ٤٧ ومابعدها

وللاستزادة انظر : معالم القران في عوالم الأكوان - أحمد محي الدين العجوز -١٤٩-١٥٣.

(٢) وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، قال تعالى:

﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجاً كأنما يصعدّ في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون﴾ ١٢٥ الانعام .

وللاستزادة انظر: العلم الحديث حجة للانسان أم عليه - د. عبد الله عبد الرحيم العبّادي ٩٠ ومابعدها.

ط١، دار الثقافة، الدوحة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

نراها في الليل كخيوط بيضاء دقيقة تضمّ حيزاً مداه مائة ألف سنة ضوئية ونحن - سكان الأرض - نبعد عن مركز هذه المجموعة بمقدار ثلاثين ألف سنة ضوئية وهذه المجموعة جزء من مجموعة كبيرة تتألف من سبع عشرة مجموعة، وقطر هذه المجموعة الكبيرة (ذات السبع عشرة) مليونان من السنين الضوئية(١).

وأما عدد النجوم في مجرّتنا وهو مايطلق عليه " درب التبانة" وهي التي تنتسب إليها شمسنا وكواكبنا إليها.

فإذا نظرنا بالعين المجردة إلى هذه النجوم فإنه لاتظهر أكثر من ستة آلاف . بخلاف ماأثبتته المناظير القوية . فإن العالم الفلكي: كابتين يقدر عددها بـ ٤٠.٠٠٠ مليون نجم وترقى في تقدير شابيلي إلى ١٠٠.٠٠٠ مليون نجم.

وقدّر عدد المجرات بما يزيد على ١٠٠مليون مجرّه. كل مجرة تحتوي على ملايين النجوم المشتعلة(٢).

وأما نجوم سمائنا الدنيا فعددها كثير لايحصيها إلاّ الذي خلقها.

وإنّ الناظر البدائي إلى السماء يظنّ أن النجوم قريبة، وأنه إذا علا إلى رأس الجبل ربما لمس النجوم، غير أن التقدم العلمي أبان أبعادها وهذه النجوم على كثرتها وعجيب خلقها، وجمالها فقد خلقت لحكم كثيرة لعلّ من أبرزها أنّها زينة للسماء وأدلة يهتدي بها في طرق البرّ والبحر ويستفاد من ضوئها ونورها بالإضافة إلى نور القمر لاسيما بعض الحيوانات التي لاتستطيع أن تجمع قوتها، أولخوفها من الحيوانات التي هي أكبر منها فلا تستطيع أن تخرج إلاّ في الليل، فهي تسير مسخرة بإذن ربها ولعلّ من أبرز فوائد النجوم أنها

---

(١) الإسلام يتحدى - وحيد الدين خان ٥٨.

(٢) روح الدين الاسلامي - عفيف طبارة ٦٨.

رجوم للشياطين "[1].

٢- القمر

إن من أبرز آيات الله الكونية الشاخصة للأبصار ذلك الفلك الدوار " القمر" فإنّ التعرف عليه وعلى نظامه الدقيق الذي يعيش فيه ليدلنا دلالة قوية وقاطعة على إثبات وجود خالقه وصانعه " وهو الله تعالى"

فالقمر :جرم فضائي بارد ، يكتسب نوره من الشمس، ويضيء الأرض ليلاً فهو من مظاهر قدرة الله خالقه، الذي أحكم نظامه في حركته، ودورته في فلكه، ومنازله في لياليه، فهو من آيات الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، لاتسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون[2]﴾

فالقمر : أثبت العلم الحديث أنّه أقرب الأجرام السماوية للأرض، وأقل حجماً منها بمقدار (٤٩)مرّة.

ويبعد عنها (٢٤٠.٠٠٠) مائتين وأربعين ألف ميل وبالكيلو مترات (٣٨٤.٠٠٠)

---

(١) وقد أوضح القرآن الكريم ثلاثاً من فوائد النجوم ، قال تعالى : ﴿وعلامات وبالنجوم هم يهتدون﴾ ١٦ النحل
وقال تعالى:﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين. وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ ٥ الملك .
وقال تعالى: ﴿إنّا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب. وحفظاً من كل شيطان مارد. لايسمّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب. دحوراً ولهم عذاب واصب. إلاّ من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب.﴾ ٦-١٠ الصافات.

(٢) سورة فصلت/ الآية ٣٧.

ثلاثمائة وأربعة وثمانين ألف كيلو متراً[١]

ويقدّر العلم الحديث أنّ حجم القمر :١/٤٩ من حجم الارض.

وأنّ كثافة القمر : ٣.٢٣ من كثافة الماء

وأنّ نصف قطر القمر : ١٧٤٠كيلو متر

وأنّ سرعة القمر حول الأرض : ٢٢٧٨ ميلاً في الساعة

أو : ٣٣٥٠ قدماً في الثانية

أو : ٦٠ كيلو متر في الدقيقة

وأنّ نور القمر أضعف من نور الشمس بـ : (٤٣٧,٠٠٠) مرّة[٢]

وهذا القمر ذو إضاءة في ظلمة الليل، والحكمة في ذلك والله أعلم هوأنّ الله اقتضت حكمته خلق الظلمة ليهدأ الحيوان وليبرد الهواء على الأبدان والنبات فتعادل حرارة الشمس فيقوم النبات والحيوان، فلما كان ذلك مقتضى حكمته شاب الليل بشيء من الأنوار ولم يجعله ظلمة داجية لاضوء فيه، فإنّ الحيوان قد يحتاج في الليل إلى حركة ومسير وعمل لايتهيأ له بالنهّار لضيق النهار أو لشدة الحرّ أو لخوفه بالنهار كحال كثير من الحيوان ولذا جعل الله سبحانه في الليل من أضواء الكواكب وضوء القمر مايتأتى معه أعمال كثيرة كالسفر والحرث وغير ذلك، فسبحان من أتقن ماصنع وأحسن كل شيء خلقه[٣].

---

(١) انظر : معالم القران في عوالم الأكوان - أحمد محي الدين العجوز - ٩٢ ، الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٣٢.

(٢) الانسان بين العلم والدين - شوقي ابو خليل ١١٣.

(٣) مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ١/ ٢١٠.

▢ دوران القمر:

يدور القمر حول الأرض بوجه واحد لايتغيرّ، ولذلك فهو يرى بصورة واحدة ثابتة دائماً.

ويتمّ دورته في (٢٩) يوماً و (١٢) ساعة و (٤٤دقيقة)[١] وهذا يعني أنّه عندما يدور القمر حول الأرض بهذا البطء الذي لايفوق الجزء الواحد من الثلاثين من مداره، يراه كل إنسان يستطيع أن يرى القمر كل مرة طيلة نصف يوم تقريباً. فإنّه عندما يدور القمر حول الأرض تراه الإنسانية على السواء.

فالقمر أحسن ساعة عالمية في الفلك للبشرية جمعاء، لأن كل إنسان يستطيع أن يراها ويقيسها بنفس المقياس، أي نفس بداية الزمن، ونفس مدته بلا أي عامل اصطلاحي أو اصطناعي[٢].

▢ أسماء القمر

يسمى القمر هلالاً في الليلتين الأوليين من أول الشهر وفي الليلتين الأخريين منه وذلك عندما يدير الله تبارك وتعالى القمر نحو $\frac{١}{٨}$ مداره فيكون على شكل هلال، ويسمى بدراً في ليلة النصف من الشهر وهي ليلة الخامس عشر منه، وفي هذه الليلة تقع الأرض بين الشمس والقمر، ويظهر كل الجزء المضيء من القمر.

---

(١) معالم القران في عوالم الأكوان -أحمد محي الدين العجوز ٩٢

(٢) لله العلم - بشير التركي ١٤٦-١٤٧ط١ بدون ذكر الدار الطابعة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

ويسمى قمراً في بقية ليالي الشهر[1]

❑ منازل القمر

قدّر الله سبحانه أن يكون للقمر منازل ينزلها كل ليلة كما قال تعالى ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾[2] فللقمر ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل كل ليلة بواحد منها، من أول ولادته إلى نهاية الثامن والعشرين من الشهر، ثم يستتر حتى لايرى منه شيء، ويسمى هذا الاستتار محاقاً.

فإن كان الشهر تسعاً وعشرين، استتر ليلة ثمان وعشرين، وإن كان الشهر ثلاثين استتر ليلة تسع وعشرين، ويسمى هذا الاستتار سراراً.

وبهذا الدوران للقمر وبهذه المنازل التي ينزلها القمر كل ليلة عرف النّاس عدد السّنين والحساب وكان من رحمة الله تعالى بالبشر أن أعلمهم ذلك وأن هيأ لهم ذلك كما قال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً، وقدرّه منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك إلاّ بالحق يفصّل الآيات لقوم يعلمون﴾[3]

ولم تشاهد حتى الآن آثار لوجود حياة من أيّ نوع كانت أو أحياء على وجه القمر إلاّ أنه في عام ١٩٦٣م أعلن العلماء أنّ الأقمار الصناعيّة قد أثبتت وجود غاز بالقمر لابدّ أنه نتيجة مواد عضويّة. فهل هي بقايا حياة كانت في القمر ثم اندثرت؟

---

(١) المرجع السابق ٩٥-٩٦ ، رحلة القلب السليم في آثار رحمة الله – محمد بن صفوك العلي ٢٧.

(٢) سورة يس/ الآية ٣٩.

(٣) سورة يونس الآية ٥. وللإستزاده أنظر: معالم القرآن في عوالم الأكوان – أحمد محي الدين العجوز ٩٦.

وبعد أن نزل الإنسان على القمر وجد مايجعل سرّ القمر يزداد غموضاً ﴿وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا﴾[1] فتربته هشه جدّاً ولامعة كأنها لتجيد عكس نور الشمس للإنسان [2].

افتراضات

لو كانت المسافة بين القمر والأرض أقلّ ممّا هي أو أكثر، أوكان حجمه أكبر ممّا هو أو أصغر أو كانت دورته أطول أو أقصر لاختل هذا النظام كلّه، بل ربّما زال القمر كلّه، لأنّه لو قرب من الأرض لزاد جذبه فأصبح المدّ على الأرض طاغياً يغمر اليابسة ولحدثت كوارث وبلايا، فيغمر الماء الموانىء ويكتسح المدن، وتلتقي البحار بعضها ببعض، فلا ينجو من البشر أحد، ولو تغيّر بعد القمر عنّا إلى مسافة أكبر، لتغيرّ سرعة دوران الأرض، وبالتالي اختلال الليل والنهار فتضطرب الحياة، ولو بعد القمر عن الأرض لتعطّل المدّ والجزر بقلة الجذب، وإن زاد البعد جذب القمر كوكب آخر إليه وحرمنا من نعمه. ولو كبر حجمه لزادت قوة جذبه ولو صغر قلتّ!!؟؟

فهل كل هذا النظام والإحكام الذي خصّ به القمر في حركاته المحسوبة ودورته المكتوبة، ومنازله المقدّرة وأقداره المسخرّة، وأنواره المكتسبة، وأطواره المرتقبة، أثر من آثار المصادفة العمياء؟ إنّ العلم الحديث يرفض المصادفات قطعاً.

يقول: أديسون المخترع الشهير: «كما أنّ اختراعاتي ليست مصادفة، كذلك الكون يسوده النظام دون مصادفة»[3].

---

(١) سورة الاسراء /الآية ٨٥.

(٢) للاستزادة انظر: الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٣٢، الإنسان بين العلم والدين - شوقي أبو خليل ١١٦.

(٣) انظر: قصة الإيمان - نديم الجسر ٣٢٩، الإنسان بين العلم والدين -شوقي أبو خليل ١١٩ ومابعدها.

٣- الشمس:

الشمس جرم فضائي كروي ناريّ وهاّج، ونورها ضياء لأنّه منبعث بحرارة شديدة بسبب اشتعالها، قال تعالى ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً ...﴾ [(١)].

وهذا الجرم الفلكي يحتوي على معلومات هائلة وعجيبة لدى العقول وهي:

يتركز في الشمس نحو ٨٦ . ٩٩٪ من مجموع المجموعة الشمسيّة والنسبة الباقية موزعة على بقية الكواكب، الشمس كرة غازية وليست صلبة كالأرض.

قطرها: ٠٠٠ . ٣٨٥ . ١ كيلو متر، أو : ٠٠٠ . ٨٦٥ ميل

مساحة سطحها أكبر من مساحة الأرض بـ: ٠٠٠ . ١٢ مرّة

حجمها أكبر من حجم أرضنا بـ: ٠٠٠ . ٣٠٥ . ١مرّة

بعدها عن الأرض: ١٥٠ مليون كيلومتر أو ٩٣مليون ميل يستغرق الضوء لقطع المسافة بيننا وبين الشمس: مدة ٨ دقائق

درجة حرارتها: ٦٠٠٠ درجة مئويّة عند السطح، تزداد كلما أخذ في الارتفاع وزاد العمق حتى تصل عند المركز إلى مالا يقل عن ١٤ مليون درجة مئوية، وقد تبلغ ٢٠ مليون درجة مئويّة يبلغ محيطها مثل محيط الأرض: ٣٢٥ مرّة، ويبلغ ثقلها :٣٣٢ ألف ضعف ثقل الأرض[(٢)]

(١) سورة يونس الآيه ٥، انظر معالم القرآن في عوالم الأكوان- أحمد محي الدين العجوز ٧٢.

(٢) انظر: الإنسان بين العلم والدين- شوقي أبو خليل ٥٩ ، هكذا عرفت الله - محمد أحمد السباعي ص٩٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م ، الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٣٣.

إنّ هذه الشمس هي الوحيدة بين آلاف النجوم التي تصلح لجعل الحياة على الأرض ممكنة، لإحكام الصنعة ودقّة الخلق وضبط النسب فيما يتعلق بحجم الشمس وكثافتها ودرجة حرارتها وطبيعة أشعتها ودرجة بعدها عنّا، قال تعالى ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾[1]

وهذا الجرم الفلكي يجري ويتحرك كما قال تعالى : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها، ذلك تقدير العزيز العليم﴾[2]

وقد أثبت العلم الحديث ذلك، عن طريق السبر والتجربة، فسبحان من خلق وقدّر، ﴿ومن أصدق من الله قيلاً﴾[3]

فوائد الطاقة الحراريّة في الشعاع الشمسي:

إنّ الطاقة الحراريّة في الشعاع الشمسي هي النقطة الأساسيّة التي جعلها الله مبعث الحياة العامّة ومثار النمو والنشاط والترعرع لكل من الإنسان والحيوان والنبات، ولولاها لما كان ذلك ولعمّت البرودة، وجمدت البحار والمحيطات وانتفت الحياة كليّة، ولما كان صيف ولا خريف ولاشتاء ولاربيع.

فبالشعاع الشمسي وحرارته تتبخر الأرض، وكثير من مياه العيون والأنهار والبحار والمحيطات، وتزول العفونات، وترتفع تلك الأبخرة في الفضاء لخفتّها، فتشكل السحب والغيوم الكثيرة، وتسوقها الرياح في الطبق الهوائي إلى كثير من جهات الأرض ونواحيها، لسقيها حسب مشيئة الله تعالى لتنبت الأرض ماشاء الله من نبات شتى، ينعم به الإنسان

---

(١) سورة الرعد/ الآية ٨.

(٢) سورة يس/ الآية ٣٨ .

(٣) سورة النساء/ الآية ١٢٢.

والحيوان، وتزدهر الحياة قال الله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات. كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾(١) والشعاع سبب رئيس لوجود النهار، وبدونه ينتفي النهّار، ويبقى الليل دائماً سرمداً قال تعالى: ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إلهٌ غير الله يأتيكم بضياء. أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إلهٌ غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾(٢).

إنّ الشمس والقمر لتطلعان وتغربان لإقامة دولتي الليل والنهار، ولولا طلوعهما لعطل أمر العالم فكيف يسعى الناس في معائشهم ويتصرفون في أمورهم والدنيامظلمة عليهم، وكيف كانوا يتهنّون بالعيش مع فقد النور، ولولم تغربا لما كان للناس هدوء ولاقرار مع فرط الحاجة إلى السبات والراحة بالنوم، ولولا الغروب لحميت الأرض بدوام شروق الشمس واتصال طلوعها حتى يحترق كل ماعليها من حيوان ونبات، فصارت تطلع وقتاً مثل السراج ثم تغيب، وصار ضياء النهار مع ظلام الليل، وحّر هذا مع برد هذا مع تضادّهما متعاونين متظاهرين بهما تمام مصالح العالم(٣)

ولعلّ من أبرز مافي النظام الشمسي من فوائد: تلك القوة الجاذبية بها، فإنها تجذب الأرض والقمر والكواكب حولها، فينطلق كل حولها بفلكه الخاص. فالأرض تدور حول الشمس دورة سنوية بفعل جاذبيتها لها ومن فوائد انتظام الشعاع الشمسي في حدوده المرسومة له ونسبته المقررة له صلاح أحوال الحياة وعدم اضطرابها. فلو زاد الشعاع خمسين

---

(١) سورة الاعراف/ الآية ٥٧.

(٢) سورة القصص / الآية ٧١ - ٧٢.

(٣) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ٢٠٧/١.

في المائة لتبخرت المياة كلها بأنواعها واحترق كل شيء قابل للاحتراق ولو نقص الشعاع خمسين في المائة لضعفت الحرارة واشتدت البرودة وتجمدّت المحيطات وانشلت الحياة"[١].

حدوث الظل:

والشمس هي السبب الأول في حدوث الظل، وتحرك الظل على سطح الأرض دليل، الشمس الظاهريّة من الشرق إلى الغرب، وأنّ الله سبحانه وتعالى يقبض الظلّ قبضاً بطيئاً يتساوى مع بسط النور في الجانب الآخر من الأرض، وهذا دليل إلهى، وإعجاز مابعده إعجاز ﴿ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً ثمّ جعلنا الشمس عليه دليلاً ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ﴾[٢]

وقد قدّر العزيز العليم طلوع الشمس على العالم بحكمة، فإنّها لو كانت تطلع في موضع من السماء فتقف فيه ولاتعدوه لما وصل شعاعها إلى كثير من الجهات لأن ظلّ أحد جوانب كرة الأرض يحجبها عن الجانب الآخر"[٣].

وهذه الشمس التي مازالت أسرارها في الخفاء، مازالت موضع حدس وتخمين ... وهذه الشمس التي مازالت حتى اليوم إله المجوس في الهند .. هذه الشمس ليست مصدر نورنا ونارنا، بل محور نظامنا السّياري ومصدر حياتنا أيضا .. هذه الشمس التي كلمّا يكتشف من علومها تزيد غموضاً، ولم تزج يد العلم بعد النقاب عن كل مايجب أن نعلمه عن الشمس

---

(١) انظر : معالم القرآن في عوالم الأكوان - أحمد محي الدين العجوز ٧٤ ومابعدها ، العقائد الإسلامية - سيد سابق ٤٣.

(٢) سورة الفرقان الآية ٤٥ - ٤٦ انظر: المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم. د. عبد العليم عبد الرحمن خضر ٨٩.

(٣) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ٢٠٩/١.

التي تفقد أربعة ملايين طن من وزنها في الثانية من احتراقها ولم تزل تجدد وزنها وحجمها، تبعث إلى العالم الخارجي كافة مايعادل خمسة آلآف بليون قنبلة ذريّة في كل ثانية، هذه الشمس هي آية من آيات الخالق بل إنّ الشمس هي الآية الكبرى على وجود الله ، والتي سخّرها لحياة جميع الكائنات الأرضية فمن أين تأتي بوقودها؟ إن كانت تنفق من مختزن في باطنها إذاً لانخفضت درجة حرارة الشمس عاماً بعد عام، ومعنى هذا أن عمر الشمس يمتدّ كثيراً، ولكن إذا نظرنا إلى الماضي البعيد رأينا الشمس أعطت الأرض من الحرارة بمقدار لايزيد ولاينقص في الحدود التي يعيش فيها النبات والحيوان والإنسان.

إذاً لابّد من شيء يعطي للشمس من الحرارة ماتفقد منها، ويستمر في إمدادها بمقدار معيّن لايزيد فيحرق ولاينقص فيجمد، ومالشمس إلاّ آية صغيرة تزخر السماء بملايين من النجوم أضخم منها حجماً وأكبر سرعة وأكثر تألقاً!

قال تعالى: ﴿ ويريكم آياته فأيّ آيات الله تنكرون ﴾ [1].

٤- الأرض:

إنّ أرضنا التي منّ الله علينا بخلقها شاهدة بدلائل وجود الله تعالى «الخالق» ذي الحكمة والجلال. فالأرض هي السيّار الوحيد التي جعلت صالحة للحياة على ظهرها فقربها من الشمس معتدل، وحرارتها معتدلة، وكثافتها تفوق كل السيارات، حتى الشمس وجاذبيتها معتدلة، ودورتها اليوميّة معتدلة، وكذا دورتها السنويّة، فهي تتناسب مع طبيعة حياة كل الكائنات الحيّة التي تعيش على سطحها في أرزاقهم ومتطلبات حياتهم،

---

(١) سورة غافر الآية ٨١، انظر : الله والعلم الحديث - عبد الرازق نوفل ٣٥ ، روح الدين الإسلامي - عفيف عبد الفتاح طبارة٧١.

فهي مهدٌ للحياة كما قال تعالى:

﴿ والأرض فرشناها فنعم الماهدون. ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾[1]

والأرض جرم فضائي كروي، يلازم حركته حول محوره باستمرار دون انقطاع[2] وهي كوكب من الكواكب تدور حول الشمس، وتتبعها في سيرها أينما سارت، وهي الكوكب الخامس من حيث الحجم، والثالث من حيث القرب من بين الكواكب التسعة التي تتكون منها المجموعة الشمسيّة وتكاد تكون الأرض كرة، إلاّ أنّها منبعجة قليلاً عن خط الاستواء ومفلطحة عند القطبين[3] والكرة الأرضية مائلة بزاوية قدرها ٢٣ درجة[4].

شكلها : بيضوي

محيطها: ٣٤٨٠٠ ميل

قطرها المار بالقطبين ٧٩١٠ ميل تقريبا وقطرها الاستوائي ٩٧٢٧ ميل تقريباً

حجمها : ٢٥٩٩ × ٨١٠ ميل مكعب وهي أصغر من الشمس بمليون و ٣٠٠ ألف مرّة وأكبر من القمر بمقدار (٤٩) مرّة مساحتها = ١٩٧ × ٦١٠ ميل مربع «٧٣٪ منها مياه و ٢٧٪ منها يابسة.

كتلتها = ٦,١ × ٢١١٠ طن وهي أقل من الشمس بـ (٣٣٢) ألف مرّة تقريباً.

كثافتها = ٥,٦ وسطياً وهي أكثف السيارات حتى الشمس فكثافة الشمس بربع كثافة الأرض بعدها عن الشمس : ٩٣ مليون ميل.

وزنها : ٧ آلاف مليون، مليون، مليون طن أي ٢١ صفر وأن سرعة دورانها حول

---

(١) سورة الذاريات/ الآية ٤٨-٤٩.

(٢) معالم القرآن في عوالم الأكوان - أحمد محي الدين العجوز ٣٨.

(٣) الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٢٩.

(٤) العلم يدعو للإيمان - أ كريسي موريسون ترجمة : محمود صالح الفلكي ٥٤.

نفسها : (١٠٠٠) ميل في الساعة وأن سرعة دورانها حول الشمس بمعدل: (١٨) ميل في الثانيه أي نحو (٦٥) ألف ميل في الساعة [١]

□ شكلها:

لقد ثبتت كروية الأرض في الإسلام بآيات من القرآن الكريم بإشارات قويّة، ولمحات جليّة تتلقاها الأفهام، بكل سهولة ويسر وقد أثبت العلم الحديث ذلك. ومن الأدلة القرآنية مايلي: قال تعالى: ﴿ فلا أقسم بربِّ المشارق والمغارب إنا لقادرون ﴾[٢]

فذكر المشارق والمغارب بصيغة الجمع إشارة إلى كروية الأرض التي تدور حول محورها، فيكون بذلك الليل والنهار اللذان يدوران حولها، فتكون بقعة منها مشرقة وبقعة آخرى مغرباً .

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿ خلق السموات والأرض بالحق، يكورّ الليل على النهار ويكورّ النهار على الليل، وسخرّ الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار﴾[٣]

فالتكوير معناه: اللف والدوران حول الشيء، يقال كورت العمامة أي لففتها حول رأسي مثلاً [٤] فتكوير الليل على النهار، وتكوير النهار على الليل، هو تتابعها وراء

---

(١) انظر : الانسان بين العلم والدين - شوقي أبو خليل ٨٠، المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم - د.عبد العليم عبد الرحمن خضر ٣٩٤-٣٩٥، ط ١، الدار السعودية، جده ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٢٩ ومابعدها ، قصة الإيمان - نديم الجسر ٣٢٠.

(٢) سورة المعارج/ الآية ٤٠.

(٣) سورة الزمر/ الآية ٥.

(٤) مختار الصحاح - الرازي ٥٨٢ بتصرف .

بعضهما البعض حول كرة الأرض باستمرار وملاحقة بعضهما بعضاً.

وقوله تعالى: ﴿ يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً ﴾[1] فطلب الليل النهار هو كرّه وراءه، فهما يتلاحقان بسرعة مستمرة وهذا هو نظام مجراهما الفطري الدال على كروية الأرض [2] وقد أثبتت الأقمار الصناعيّة التي علت في الفضاء بعيداً وصورّت الأرض من بعد كبير، أثبتت-دون شك-أنّ الأرض ليست كرة هندسيّة، بل هي مفلطحة أو بيضويّة الشكل[3]

❏ دورانها:

للأرض دورتان مختلفتان يتوقف عليهما نظام الحياة، للإنسان والحيوان والنبات، ولولاهما لما كانت الحياة وهما :

أ- دورة يوميّة حول محورها، يكون بها الليل والنهار، بسرعة معدلها ألف ميل في الساعة أو ١٦ ميلاً في الدقيقة.

ب- دورة سنويّة حول الشمس، منضبطة تمام الانضباط بحيث لايمكن أن يحدث أدنى تغيرّ في سرعة دورانها حتى بعد مرور قرن من الزمان، وتكون بهذه الدورة الفصول السنويّة الأربعة: الشتاء، والربيع، والصيف، والخريف[4] ودورتها حول الشمس في فلك يبلغ محيطه ٥٨٠ ميلون ميل فمعدل سرعتها في هذه الحركة يبلغ ٦٠ ألف ميل في الساعة أوبنحو ألف ميل في الدقيقة.

---

(١) سورة الأعراف/ الآية ٥٤.

(٢) معالم القران في عوالم الأكوان - أحمد محي الدين العجوز ٣٨ ومابعدها، المنهج الإيماني للدراسات الكونية - د.عبد العليم عبد الرحمن خضر ٢٤٧ ومابعدها.

(٣) الإنسان بين العلم والدين - شوقي أبو خليل ٨٥.

(٤) معالم القرآن في عوالم الأكوان - أحمد العجوز ٤٨.

وتدور الأرض حول الشمس تاركة وراءها ظلاً طوله: ٩٠٠ ألف ميل في مدار بيضوي الشكل بمدة قدرها ٣٦٥ يوماً وربع اليوم"[١] .

وسرعة الأرض في دورانها حول الشمس غريبة مدهشة، فعندما تكون بعيدة عن الشمس تكون بطيئة، فتعادل قوّة جذب الشمس لها مع القوة النابذة الناتجة من سرعة دورانها وعندما تقترب من الشمس، تزيد من سرعتها، لأن قوة جذب الشمس لها في القرب منها تكون قد ازدادت فتزداد قوة النبذ الناتجة عن الدوران لزيادة السرعة فتتعادل من جديد قوة الجذب مع قوة النبذ، وهكذا .. فسرعة دوران الأرض متناسبة مع بعدها عن الشمس بشكل يحافظ على فلك سيرها في خط مرسوم"[٢]

معلومات عن الأرض وبعض منافعها:

الأرض اليابسة بيئة ثابتة ومناسبة لحياة كثير من الكائنات، فالتربة تحوي العناصر التي يمتصها النبات ويتمثلها ويحولها إلى أنواع مختلفة من الطعام يفتقر إليها الإنسان والحيوان ويوجد كثير من المعادن قريباً من سطح الأرض، مما هيأ السبل لقيام الحضارة"[٣]

وهذه الأرض ومافيها وماعليها من عجائب من أعظم آيات فاطرها ومبدعها، خلقها سبحانه فراشاً ومهاداً وذللّها لعباده وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم، وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم، وأرساها بالجبال أوتاداً تحفظها لئلا تميد بهم، ووسع أكنافها ودحاها فمدّها وبسطها وطحاها فوسّعها من جوانبها، وجعلها أكناناً للأحياء

---

(١) انظر: الله والعلم الحديث - عبد الرازق بن نوفل ٣٠.

(٢) الإنسان بين العلم والدين - شوقي أبو خليل ٩٠ ومابعدها.

(٣) الله بين الفطرة والدليل - محمد حسن آل ياسين ٧٠ ط ٣، المكتب العالمي للطباعة والنشر بيروت ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

تضمّهم على ظهرها ماداموا أحياء وكفاتاً للأموات تضمهّم في بطنها إذا ماتوا، فظهرها وطن للأحياء وبطنها وطن للأموات.

ومن الحكم البالغة أن جعل الله سبحانه مهبّ الشمال عليها أرفع من مهبّ الجنوب، وحكمة ذلك أن تتحدّر المياه على وجه الأرض فتسقيها وترويها، ثم تفيض فتصبّ في البحر، فسبحان الذي خلق فسوى[1]

ومن منافع هذه الأرض، أنّ منها ماهو صالح للزراعة قال تعالى: ﴿ ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ...﴾[2]، ومن الأرض ماهو خازن للماء ليشرب الإنسان والحيوان، وليسقى النبات قال تعالى، ﴿ وهو الذي مّد الارض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ..﴾[3]

وقد جاءت البحوث العلمية الإنسانيّة وكشفت عن بعض أسرار المادة الموجودة بكثرة على سطح كوكبنا الذي نعيش عليه وذكرت أنّ الأقسام التي نتنسّمها من الجوّ المحيط بنا يتكون من:

١- عنصر غاز الأوكسجين بنسبة (٢١) في المائة تقريباً وهو العنصر الأساسي للتنفّس لاعتباره الوقود الذي يحرق أغذيتنا.

٢- غاز النتروجين وهو غاز معدّل يمنع الأوكسجين من الالتهاب والاحتراق السريع وهذا الغاز يوجد بنسبة (٧٨) في المائة تقريباً.

٣- غازات أخرى ومنها ثاني أكسيد الكوربون الناتج من احتراق الأوكسجين في رئات الكائنات الحية.

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة - ابن القيم ١/١٩٩، ٢١٧.

(٢) سورة فاطر/ الآية ٢٧.

(٣) سورة الرعد/ الآية ٣.

وهذا النوع من الغاز مادة سامّة قاتلة للكائنات الحيّة لكنّه في الوقت نفسه مادة غذائيّة لازمة للنباتات، تمتصّها عن طريق ثغور أوراقها، فتحللها بطريقة عجيبة إلى عناصرها الأولى، الأوكسيجين والكوربون، فتأخذ الكوربون لصناعة المواد الغذائية داخلها، وتطرح مانحتاج إليه من الأوكسجين، فتقوم بعمليّة تنظيف الجوّ من المادة السامّة وتعيد للجوّ ماكان قد احترق منه من أوكسجين. فمن أحدث هذه العمليات الدقيقة!؟ إنّها عمليات عجيبة متكاملة متتامة بين النباتات والكائنات الحيّة، فما يطرحه هذا يتلقّفه ذاك لأنّ حاجته متعلقّة به. هكذا يقايض كل صاحبه مما لاحاجة له به ، بل قد يضرّه ويؤذيه.

إنّها الخطّة الشاملة العامّة المترابطة في الوجود، التي لاتدع جزءاً فيه يفلت من نظامها، مهما كان صغيراً، فسبحان المبدع المهيمن.[1]

إنّ في هذه الأرض جاذبية غير عادية، تشدّ كل شيء إليها، فجاذبية الأرض وضغط الهواء المستمر بمسكانا فوقها بنسبة معلومة، وهكذا صرنا مشدودين بهاتين العمليتين إلى كرة الأرض من كل ناحية.

وضغط الهواء الذي يكون على كل بوصة مربعة مايقرب من ١٥ رطلاً،

معناه: أنّ كل إنسان يتحمّل مايقرب من ٢٢٨.٤٠ رطلاً من الضغط الجوي على جسمه، ولكن الإنسان لايحس بهذا الوزن، لأنّ الهواء يضغطه من كل ناحية ، كما يحدث عندما نسبح في الماء[2]

□ **جبالها:**

قال تعالى : ﴿وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ...﴾[3]

فالرواسي في هذه الآية هي : الجبال التي يحسبها الجاهل فضلة في الأرض لاحاجة إليها ولكنها ذات فوائد عظيمة وكل فائدة من فوائدها تدلّ على كمال قدرة الخالق سبحانه وعظمته ومن الفوائد:

---

(١) براهين وأدلة إيمانية - عبد الرحمن الميداني ٣٠٨-٣٠٩.

(٢) الإسلام يتحدى - وحيد الدين خان ٦٣.

(٣) سورة الرعد/ الآية ٣.

١- أنّ الثلج يسقط عليها فيبقى في قللها حاصلاً لشراب الناس إلى حين نفاذه، وجعل فيها ليذوب أولاً فأول، فتجيء منه السيول الغزيرة وتسيل منه الأنهار والأودية فينبت في المروج والوهاد والربى ضروب النبات والفواكه والأدوية التي لايكون مثلها في السهل والرمل، فلولا الجبال لسقط الثلج على وجه الأرض فانحلّ جملة وساح دفعة، فعدم وقت الحاجة إليه وكان في انحلاله جملة السيول التي تهلك مامرّت عليه فيضرّ بالناس ضرراً لايمكن تلافيه ولادفعه لأذيّته.

٢- مايكون في حصونها وقللها من المغارات والكهوف والمعاقل التي بمنزلة الحصون والقلاع.

٣-ماينحت من أحجارها للأبنية على اختلاف أصنافها.

٤- مايوجد فيها من المعادن على اختلاف أصنافها من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والزبرجد والزمرد وأضعاف ذلك حتى إنّ فيها مايكون الشيء اليسير منه تزيد قيمته ومنفعته على قيمة الذهب.

٥- أنّها تردّ الرياح العاصفة وتكسر حدّتها.

٦- أنّها تردّ السيول إذا كانت في مجاريها فتصرفها ذات اليمين وذات الشمال.

٧- أنّها أعلام يستدلّ بها على الطرقات.

٨- ماينبت فيها من العقاقير والأدوية التي لاتكون في السهول والرمال.

٩- أنّها أوتاد للأرض.

وإذا تأملت خلقتها العجيبة البديعة على هذا الوضع وجدتها في غاية المطابقة للحكمة، فإنّها لو طالت واستدقّت كالحائط لتعذّر الصعود عليها، والانتفاع بها وسترت عن الناس الشمس والهواء فلم يتمكنوا من الانتفاع بهما، ولو بسطت على وجه الأرض لضيقت عليهم المزارع والمساكن ولملأت السهل ولما حصل لهم بها الانتفاع من التحصّن

والمغارات ولما سترت عنهم الرياح ولما حجبت السيول.. فقد خلقت على أفضل شكل وأحسنه وكانت عبرة لمن اعتبر:

قال تعالى ﴿ أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ [1].

افتراضات:

الأرض أهم هذه الافلاك، إذ توجد فيها أحوال لاتوجد في شيء من هذا الكون الواسع،وهي في ضخامتها لاتساوي ذرة من هذا الكون العظيم.

فلو أنّ حجمها كان أقلّ أو أكثر ممّا هي عليه الآن لاستحالت الحياة فوقها.

فلو أنّها كانت في حجم القمر مثلاً بأن كان قطرها ربع قطرها الموجود حالياً، لكانت جاذبيتها سدس جاذبيتها الحالية ونتيجة لذلك لايمكن أن تمسك الماء والهواء من حولها، كما هي الحال في القمر الذي لايوجد فيه ماء ولاهواء ولايحوطه غاز هوائي، لضعف قوة الجاذبيّة فيه.

وإنخفاض الجاذبية في الأرض إلى مستوى جاذبية القمر سيترتب عليها اشتداد البرودة ليلاً حتى يتجمد كل مافيها، واشتداد الحرارة نهاراً حتى يحترق كل ماعليها، إضافة إلى أنّ الأرض لن تمسك مقداراً كبيراً من الماء.

وكثرة الماء أمرٌ ضروري لاستمرار الاعتدال الموسمي على الأرض ، وكذلك سيرتفع الغلاف الهوائي للأرض في الفضاء ثم يتلاشى وعلى العكس من ذلك إذا كان قطر الأرض ضعف قطرها لتضاعفت جاذبيتها الحاليّة وحينئذ ينكمش غلافها الجوي.

ولو أنّ الارض تضاعف حجمها، فصارت مثل حجم الشمس مثلاً لبلغت قوة الجاذبية

---

(١) سورة الغاشية آيه ١٧-٢٠. أنظر :مفتاح دار السعادة - ابن القيم ٢١٨/١-٢٢٠.

فيها مثل جاذبيتها الحالية مائة وخمسين مرة، ولاقترب غلافها الهوائي حتى يصير منها على بعد أربعة أميال بدلاً من خمسمائة ميل، ويؤدي ذلك إلى استحالة نشأة الأجسام الحيّة، كما سيترتب عليه أن يضعف حجم الإنسان حتى يصير في حجم بعض الحيوانات الأليفة، ولاستحال وجود العقل في الإنسان ، لأنه لابد للعقل الإنساني من أنسجة عصبية كثيرة في الجسم ولايوجد هذا النظام إلاّ اذا كان حجم جسم الإنسان بقدر معين[1] ثم إنّ الأرض طبعها الله سبحانه باردة يابسة بقدر مخصوص، فلو أفرط اليبسُ عليها حتى تكون بجملتها حجراً صلداً ، لما كانت تنبتُ هذا النبات الذي به حياة الحيوان والإنسان، ولاكان فيها حرث ولابناء، فجعلها لينّة لتتهيأ لهذه الأعمال[2] وتدور الأرض على محورها بسرعة ألف ميل في الساعة، أي بما يعادل مرّة كل أربع وعشرين ساعة، فلوقلّ معدل دورانها عن ذلك، لطال النهار بماقد يؤثر في النبات والأحياء صيفاً، وطال الليل بما قد تتجمدّ بسببه السوائل شتاءً وبذلك تقلّ مسببّات الحياة والتي لو زادت لانعدمت شيئا فشيئا [3]ولوزاد سمك قشرة الأرض بمقدار عشرة أقدام، لانعدمت بانعدام الأوكسجين مقومات الحياة[4] ولولا دورة الأرض اليوميّة لما حدث ليل ولانهار دائبان ثابتان، إنّ الله سبحانه وتعالى جعل التوازن في هذه الأرض ، حجمها متناسب مع سرعتها ، ومع دورتها ، وثقلها متناسب مع قوة جذبها فسبحانه الله! ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خير بما تفعلون﴾[5]

---

(١) الإسلام يتحدى- وحيد الدين خان ٦٢ ومابعدها.

(٢) آيات للموقنين - محمد الصرايرة ٦١ ومابعدها.

(٣) الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٢٤.

(٤) العلم يدعو للإيمان-أ. كريسي موريسون، ترجمة محمود الفلكي ٦٣.

(٥) سورة النمل / الآية ٨٨ للاستزادة انظر: قصة الإيمان - نديم الجسر ٣٢٠ وما بعدها.

المبحث الثاني

(الأدلة العقليّة على صدق النبوّة)

إنّ العقل البشريّ وحده لايستطيع إدراك مصالحه الحقيقيّة التي تكفل له السعادة في الدنيا والآخرة، ولا يستطيع العقل أن يهتدي دائماً إلى تمييز الخير من الشرّ فكثيراً مايبدو له الشرّ في لباس الخير فيقع فيه، وكثيراً مايظهر له الخير في صورة الشرّ فيعرض عنه كما قال تعالى : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرٌ لكم. والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾[1].

فمدارك العقل محدودة مهما اتسعت وبلغت من العلوم والمعارف وحصّلت، ولذا تبقى قاصرة محدودة، ومن أجل هذا احتاجت الإنسانية إلى الرسل لتبين مايجب تجاه الخالق سبحانه، وما يحسن فعله مع الخلق، ومع النفس، ومن فضل الله سبحانه علينا نحن البشر أن أرسل فينا رسولاً منّا وبلساننا، وأنزل علينا ذلك القرآن منهجاً لنا ينظم حياتنا الدنيا وما بعدها، ونبوة نبينا محمد ﷺ ثابتةٌ بالوحي وبالعقل وبالمشاهدة، وسأسعى جاهداً - إن شاء الله - إلى إبراز ثبوتها بالأدلة العقلية وذلك بالحديث عن المسائل الآتية :

١ - البشارات السابقة به ﷺ .

٢ - أحواله ﷺ قبل البعثة .

٣ - معجزات النبوّة ودلائلها .

٤ - قرائن أحواله وأخلاقه في حياته ﷺ.

---

(١) سورة البقرة / الآية ٢١٦.

الدليل الأول :

البشارات السابقة به ﷺ :

بشارة الكتب السماوية في القرآن :

بشارات الأنبياء السابقين :

يبينّ القرآن الكريم أنّ ذكر محمد ﷺ وأمته موجود في الكتب السماوية السابقة، وأنّ الأنبياء السابقين بشّروا به، بل لقد أخذ الله العهد على كل نبي أن يبشّر قومه به وينعته ببعض أوصافه وأن يأخذ على قومه العهد لئن بعث وهم أحياء ليتبعنّه ولينصرنّه.

قال تعالى : ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به ولتنصرنّه. قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصْري. قالوا أقررْنا قال فاشْهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾[1]

□ دعوة إبراهيم ﷺ :

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال ﴿ إني لعبد الله وخاتم النبيين، وإنّ آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك، أنا دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمّي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين، وإنّ أمّ رسول ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام﴾[2]

---

(١) سورة آل عمران / الآية ٨١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٢٧/٤ رقم ١٧١٩١.

وقال الألباني : حديث صحيح، انظر : مشكاة المصابيح للتبريزي - تحقيق محمد ناصرالدين الألباني ١٢٧/٣، ط٢ المكتب الاسلامي، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

وقد أخبرنا القرآن أنّ إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل عليهما السلام كانا يبنيان البيت الحرام ويدعوان الله ومن دعائهما : ﴿ ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (١)

□ بشارة موسى ﷺ :

لقد بشر موسى عليه السلام بني إسرائيل بالخبر اليقين عن بعثة النبي الأمي الأمين محمد بن عبد الله وبلّغهم أنّ من يعظّمه ويوقّره وينصره ويؤيّده ويتبع النور الذي أنزل معه ﴿أولئك هم المفلحون﴾(٢)

قال تعالى : ﴿ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الأخرة حسنه إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون، الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾(٣)

وقال تعالى :﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكوننّ من الممترين ﴾(٤)

وعن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت:

---

(١) سورة البقرة / الآية ١٢٩، انظر : بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ ، عبد الوهاب طويله ١٩-٢١، الرسل والرسالات - عمر الأشقر ١٦٢-١٦٤ ط٣ مكتبة الفلاح، الكويت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٢) سورة الأعراف / الآية ١٥٧.

(٣) سورة الأعراف / الآية ١٥٦ - ١٥٧.

(٤) سورة الأنعام/ الآية ١١٤.

أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال : أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ياأيها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحِرْزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكّل، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا سخّاب في الأسواق، ولا يدفعُ بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملّة العوجاء بأن يقولوا: (لاإله إلا الله ويُفتّح بها أعينٌ عميٌ وآذانٌ صمٌ وقلوبٌ غلفٌ)[1]

□ بشارة عيسى ﷺ :

وقد أخبرنا الله - سبحانه - أنّ عيسى بشر برسولنا محمد عليهما السلام : ﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾[2]

مثلان في التوراة والإنجيل :

ضرب الله في التوراة والإنجيل مثلين لرسولنا محمد ﷺ ولأصحابه : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل، كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفّار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾[3]

---

(١) أخرجة البخاري في كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق ٣٤٢/٤ رقم ٢١٢٥ وفي كتاب التفسير، باب: ﴿إنا أرسلناك شاهداً وبشرا ونذيراً...﴾ ٨ الفتح، ٥٨٥/٨ رقم ٤٨٣٨، انظر: دلائل النبوة - البيهقي ٣٧٣/١.

(٢) سورة الصف/ الآية ٦.

(٣) سورة الفتح / الآية ٢٩ انظر : الرسل والرسالات - عمر الأشقر، ١٦٧، نبوة محمد في القرآن - د. حسن ضياء الدين عتر، ٢٩١.

وسأكتفي بذكر ماورد ذكره وبيانه من بشارات في القرآن الكريم حكاية عن كتب الله السماوية من التوراة والإنجيل لأنه في ذكر ماهو ثابت قطعيّ الدلالة والمضمون غنية عن الذي في ثبوته نظر سواء من خلال تدوينه أو ترجمته أو طباعته وقبل ذلك وبعده من خلال توثيق نصوصه.[١]

شهادة علماء أهل الكتاب

جاء في القرآن الكريم، قول الله تعالى : ﴿ أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾[٢]

فمن الآيات البينات على صدق الرسول ﷺ وصدق ماجاء به، علم بني إسرائيل بذلك وهو علم مسجل محفوظ مكتوب في كتبهم التي يتداولونها كما قال تعالى : ﴿وإنّه لفي زبر الأولين ﴾[٣]

فقد وبّخ الله العرب الكافرين على عدم إيمانهم برسالة محمدﷺ مع وجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته وهي معرفة علماء بني اسرائيل وشهادتهم له بأنه نبي الله ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ...﴾[٤]

---

(١) وعند الحاجة إلى معرفة مابشّرت به الكتب المطبوعة حالياً والتي نقلت عن الكتاب المقدس في عهديه القديم (التوراة) أو الجديد (الإنجيل) يرجى مراجعة مايلي: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح - ابن تيمية، ٣/٢٢٩-٣٣٢، إظهار الحق - رحمة الله الهندي- ١/٥٠٨-٥٥٣، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام - القرطبي، ٣/٢٦٣-٢٨٠، الرسول - سعيد حوى ٢/٢٣٣-٢٨٧، مختصر سيرة الرسول ﷺ- عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ٥٦-٦٥، الرسل والرسالات- عمر الأشقر ١٦٨ -١٨٨ بشارات الأنبياء بمحمدﷺ - عبد الوهاب عبد السلام طويلة ٣٥-١٤٢.

(٢) سورة الشعراء / الآية ١٩٧.

(٣) سورة الشعراء / الآية ١٩٦.

(٤) سورة البقرة / الآية ١٤٦.

وإنّ من أبرز علماء اليهود : عبد الله بن سلام، فعن أنس بن مالك أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث لايعلمهنّ إلاّ نبيّ:

ماأول أشراط الساعة ؟

وما أوّل طعام يأكله أهل الجنة ؟

وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمّه ؟

قال : أخبرني به جبريل آنفاً . قال ابن سلام: ذاك عدوّ اليهود من الملائكة. قال أما أول أشراط الساعة، فنارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت، وأمّا الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعت الولد، قال: أشهد أن لاإله إلاّ الله وأنك رسول الله. قال: يارسول الله إنّ اليهود قوم بُهت، فاسألهم عنّي قبل أن يعلموا بإسلامي.فجاءت اليهود، فقال النبي ﷺ أيُّ رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا: خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا فقال النبي ﷺ أرأيتم إنْ أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فأعاد عليهم فقالوا: مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لاإله إلاالله وأن محمداً رسول الله، قالوا: شرّنا وابن شرّنا، وتنقّصوه. قال: هذا كنت أخاف يارسول الله[1] .

وأمّا علماء النصارى، فإنّ من أبرز علمائهم وملوكهم، ذلك الملك الصالح: أصحمة النجاشي إذ جاء فيه قول الله تبارك وتعالى ﴿ لتجدن أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى، ذلك بأنّ منهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب قول النبي " اللهم أمض لأصحابي هجرتهم"، ٧/٢٧٢ رقم ٣٩٣٨.

قسيسين ورهباناً وأنهم لايستكبرون، وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون: ربّنا آمنّا فاكتبنا مع الشاهدين، ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين، فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾[١]

فيرى المفسرون أنّ هذه الآيات نزلت في النجاشي وأصحابه لما قدم عليهم المسلمون في الهجرة الأولى[٢] وشهادتهم هذه تعدّ شهادة عظيمة بالإسلام ونبيه وكتابه وأمته، فقد كان ردّ النجاشيّ. رداً يحمل صريح الإيمان والصدق والاستجابة على الكتاب الذي بعثه إليه رسول الله ﷺ كتب النجاشي يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله، من النجاشي الأصحم بن أبجر سلام عليك يانبي الله، من الله ورحمة الله وبركاته، لاإله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام، فقد بلغني كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فوربّ السماء والأرض إنّ عيسى مايزيد على ماذكرت، وقد عرفنا مابعثت به إلينا وقد مرّ بنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يانبي الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر فإني لاأملك إلاّ نفسي، وإن شئت آتيك فعلت يارسول الله، فإنّي أشهد أنّ ماتقول حقّ)[٣]

---

(١) سورة المائدة/ الآية ٨٢ - ٨٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي، ٦/٣٥٥.

(٣) دلائل النبوّة -البيهقي ٢/٣٠٩-٣١٠، البداية والنهاية، ابن كثير- ٣/ ٨٣ - ٨٤، للإستزادة انظر: السيرة النبوية - ابن هشام، ١/٣٤٤-٣٦٢، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام- القرطبي، ٢/٢٥٥-٢٥٨، مختصر سيرة الرسول ﷺ - عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ٩٨ ومابعدها.

شهادة بلايين من المسلمين :

إنّ إيمان بلايين من المسلمين الذين شهدوا لمحمد ﷺ بنبوته ورسالته وآمنوا به حقّ الإيمان واتبعوا ماجاء به من الحق والهدى، وجاهدوا دونه وكان من بينهم العلماء والحكماء والصلحاء والصادقون الذين يفوق عددهم الحصر ويتعذر الإحاطة بهم علماً لهو من أعظم الشهادات وأقواها وأكثرها إقناعاً للعقول وجلباً للطمأنينة في نفوس المؤمنين بنبوة محمد ورسالته ﷺ إذ يستحيل أن تتعاقب هذه الأجيال التي تجاوزت أربعة عشر قرناً من الزمان، كل قرن يعيش فيه أجيال تخلف أجيالاً، شهدت بصدق نبوته وصحة رسالته ﷺ[1] .

هتّاف الجنّ بالبشرى :

لما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر مبعثه، حجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرموا بالنجوم كما قال تعالى : ﴿ وأنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً. وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً. وأنّا لاندري أشرٌ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً. ﴾[2]

فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد، ولما سمعت الجنّ القرآن عرفت أنها منعت من استراق السمع لئلا يشكل الوحي بشيء من خبر السماء فيلتبس على أهل الأرض ماجاءهم من الله فيه، لوقوع الحجة وقطع الشبهة، فآمنوا وصدقوا، ثم ﴿ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا ياقومنا إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدي إلى الرشد وإلى طريق مستقيم ﴾[3]

---

(١) انظر : عقيدة المؤمن - الجزائري، ٢٩٩.

(٢) سورة الجنّ / الآية ٨ - ١٠.

(٣) سورة الأحقاف/ الآية ٢٩-٣٠ انظر: السيرة النبوية - ابن هشام ١/ ٢١٧-٢١٨.

وفزع لهذا الأمر الشياطين والكهّان من نساء ورجال، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ماسمعت عمر لشيء قط يقول: إنّي لاأظنّه كذا إلاّ كان كما يظنّ بينما عمر جالس إذ مرّ به رجل جميل، فقال عمر: لقد أخطأت ظنّي أو إنّ هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم، عليّ الرجلَ، فدعي له، فقال له ذلك فقال: مارأيت كاليوم استُقبل به رجلٌ مسلم. قال فإني أعزمُ عليك إلاّ ماأخبرتني، قال: كنت كاهنهم في الجاهلية، قال فما أعجب ماجاءتك به جنيتك، قال بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع، فقالت: ألم تر الجنّ وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها ولحوقها بالقلاص وأحلاسها. قال عمر: صدق، بينما أنا نائم عند آلهتهم، إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشدّ صوتاً منه يقول: ياجليح، أمرٌ نجيح، رجل فصيح يقول لاإله إلا الله فقمت. فما نشبنا أن قيل : هذا نبي)[1]

وعند البيهقي زيادة (فبينما نحن كذلك إذ طلع سواد به قارب، قال: فقال له عمر: ياسواد حدثنا بدء إسلامك كيف كان ؟ قال سواد: فإني كنت نازلاً الهند وكان لي رئيٌّ من الجنّ. قال: فبينا أنا ذات ليلة نائم إذ جاءني (في منامي ذلك) قال : قم فافهم واعقل إن كنت تعقل، قد بعث رسول من لؤي بن غالب ثم أنبهني وأفزعني، وقال: ياسواد بن قارب إنّ الله عز وجل بعث نبيًا فانهض إليه تهتد وترشد فلما كان الليلة الثانية أتاني فأنبهني - وأنشد شعراً - وكذا في الليلة الثالثة ثم قال:

عجبت للجنّ وتخبارها ∴ وشدّها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ∴ ليس ذوو الشرّ كأخيارها
فانهض إلى الصفوة من هاشم ∴ مامؤمنوا الجن ككفّارها

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار باب إسلام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، ١٧٧/٧ رقم ٣٨٦٦ .

قال : فلما سمعته يكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حبّ الإسلام من أمر النبي ﷺ ماشاء الله، قال: فانطلقت إلى رحلي فشددته على راحلتي فما حللت نسعة، ولا عقدت أخرى حتى أتيت النبي ﷺ فإذا هو بالمدينة والناس عليه كعُرف الفرس، فلما رأى النبي ﷺ قال: مرحبًا بك ياسواد بن قارب! قد علمنا ماجاء بك، قال: قلت يارسول الله قد قلت شعراً فاسمعه منّي قال سواد فقلت:

أتاني رئيي بعد ليل وهجعة ∴ ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة ∴ أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الأزار ووسطت ∴ بي الذعلب الوجناء عند السباسب
فاشهد أنّ الله لاشيء غيره ∴ وأنّك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين شفاعة ∴ إلى الله ياابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك ياخير من مشى ∴ وإن كان فيما جاء شيب الذوايب
وكن لي شفيعاً يوم لاذو شفاعة ∴ سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال لي أفلحت ياسواد.

فقال له عمر: هل يأتيك رئيّك الآن؟ فقال : منذ قرأت القرآن لم يأتني ونعم العوض كتاب الله عز وجل من الجنّ)[1]

---

(١) دلائل النبوة -البيهقي ٢/٢٤٨-٢٥١- أعلام النبوة - الماوردي ١٤٧-١٤٨.

الدليل الثاني :

أحواله ﷺ قبل البعثة :

لم تكن سيرة الرسول ﷺ قبل بعثته كسيرة أقرانه من أهل مكة بل امتاز عنهم بصفات متعددة، لأنه ربّي وصنع وصبغ ليقوم بمهام الرسالة والنبوة، فكان نبيا بل رسولاً بل من أولي العزم من الرسل بل أفضلهم بل أفضل ولد آدم على الإطلاق ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾[1]

فكان هناك مجموعة من الإرهاصات التي تدلّ على بعث نبوته، حدثت له قبل ولادته وأثنائها وبعدها في مراحل رضاعه وطفولته، وسأتحدث عن بعضها -إن شاء الله- على سبيل الإيجاز:

ابن الذبيحين :

قال ابن اسحاق : « وكان عبد المطلب - فيما يزعمون- نذر حين لقي من قريش مالقي عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثمّ بلغوا معه حتى يمنعوه ليذبحنّ أحدهم لله عند الكعبة، فلمّا تكامل بنوه عشرة وعرف أنّهم سيمنعونه جمعهم ثمّ أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله عزّ وجل بذلك فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوني، ففعلوا ثم أتوه، فدخل بهم على (هبل) في جوف الكعبة وجاء يستقسم بالقداح فخرج القدح على ابنه (عبد الله) وكان أصغر ولده وأحبّهم إليه، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله وأخذ الشفرة ثمّ أقبل به ليذبحه فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا: ماتريد ياعبد المطلب؟ قال: أذبحه، فقالت له قريش: والله لاتذبحه أبداً

(١) سورة البقرة / الآية ١٣٨.

حتى تعذر فيه، لئن فعلت هذا لايزال الرجل يجيء بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا؟ ثم دلّوه على عرّافة واسمها (سجاح) فأشارت عليه أن يقرّب عشراً من الإبل ثم يضرب عليها بالقداح وأن يزيد حتى يرضى الربّ ففعل فخرج القدح على عبد الله فزاد عشراً ثم عشراً إلى أن بلغت مائة من الإبل فضرب فخرجت على الإبل. فقالت قريش: قد رضي ربك فذبح الإبل فداءً لولده عبد الله، ثم تُركت لايُصدّ عنها إنسان ولا يمنع[1]

حمله وولادته :

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ وسلم يقول : (إنّي عبد الله وخاتم النبيين، وإنّ آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك: أنا دعوة أبي ابراهيم[2] وبشارة عيسى بي[3] ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يَرَيْنَ ، وإنّ أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام)[4]

ولقد استخلص الله رسوله من أطيب المناكح وحماه من دنس الفواحش، ونقله من أصلاب طاهرة، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه في تأويل قوله تعالى:

﴿ وتقلّبك في الساجدين﴾[5] أي تقلّبك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلتك نبيا،

---

(١) انظر : السيرة النبوية - ابن هشام١/ ١٦٠-١٦٤ بتصرف، دلائل النبوة- البيهقي ١/٩٨-١٠١، أعلام النبوة -الماوردي،١٧٩-١٨٢.

(٢) أي مصداق دعوة إبرهيم عليه السلام التي حكاها الله عنه في قوله : ﴿ ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم...﴾ ١٢٩ البقرة.

(٣) أي ومصداق بشرى عيسى عليه السلام والتي حكاها الله عنه في قوله ﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يدي من التوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد...﴾ ٦ الصف

(٤) أخرجه الإمام أحمد، سبق تخريجه في ص٨٠.

(٥) سورة الشعراء/ الآية ٢١٩.

وقد كان نور النبوة في آبائه ظاهراً. [١]

وقد ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، عام الفيل[٢] الموافق لأغسطس عام ٥٧٠ ميلاديّة في دار المولد المعروفة بدار محمد بن يوسف أخي الحجاج ابن يوسف، وهي الآن مكتبة عامّة، وكانت ولادته ﷺ بعد غزو أبرهة الأشرم وهزيمته بقرابة خمسين يوماً فكانت تلك الهزيمة آية أخرى لمحمد ﷺ دالة على صدق نبوته وصحة رسالته وعظم شأنه في العالمين[٣] .

وعن ابن عباس، عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال: (ولد ﷺ مسروراً أي مقطوع السرّة على خلاف المواليد في قطع القوابل سرارهم المتصلة بأمهاتهم، وولد مختوناً أي مقطوع غلفة الذكر، فلم يختن كما يختن المواليد ولهذا أعجب به جدّه عبد المطلب، وقال: سيكون لابني هذا شأن عظيم وحظي عنده بأكرم منزلة)[٤]

رضاعـه :

قال ابن اسحاق :

وكانت حليمة بنت أبي ذؤيب مرضعة رسول الله ﷺ تحدث أنّها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، نلتمس الرّضعاء، قالت وذلك

---

(١) أعلام النبوة -الماوردي ١٨٦.

(٢) السيرة النبوية -ابن هشام ١٦٧/١.

(٣) هذا الحبيب محمد رسول الله-أبو بكر جابر الجزائري، ٦٥.

(٤) المصدر السابق، ٦٤، الداعي إلى الإسلام-ابن الأنباري ٤٥٥، الطبقات -ابن سعد ١٠٣/١، البداية والنهاية - ابن كثير، ٢٦٥/٢، وقال في صحته نظر لضعف في سنده، انظر: دلائل النبوة - البيهقي ١١٤/١.

في سنة شهباء [١] لم تبق لنا شيئاً قالت : فخرجت على أتان لي قمراء [٢] معنا شارف [٣] لنا ، والله ماتبضّ [٤] بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينًا ا الذي معنا من بكائه من الجوع، مافي ثديي مايغنيه، ومافي شارفنا مايغذيه، ولكنّا نرجو الغيث والفرج، فخرجت حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منّا امرأة إلاّ وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل إنّه يتيم، وذلك أنّا إنّما كنّا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنّا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمّه وجدّه ! فكنّا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلاّ أخذت رضيعاً غيري، فلمّا أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي .[٥] والله إنّي لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه، قال: لاعليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبتُ إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلاّ أنّي لم أجد غيره قالت: فلمّا أخذته رجعت به إلى رحلي فلما وضعته في حجْري أقبل عليّ ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنّا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنّها لحافل، فحلب منها ماشرب . وشربتُ حتى انتهينا ريّاً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة. قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا : تعلمي والله ياحليمة. لقد أخذت نسمة مباركة. قالت: والله إنّي لأرجو ذلك قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي. فوالله لقطعت بالركب مايقدر عليها شيء من حمرهم حتى إنّ صواحبي ليقلن لي: ياابنة أبي ذؤيب، ويحك ! اربعي

---

(١) يعني سنة القحط والجدب لأن الأرض تكون فيها بيضاء.

(٢) الأتان : أنثى الحمار، والقمرةهي اللون إلى الخضرة أو بياض فيه كدرة.

(٣) الناقة المسنّة.

(٤) ماترشح بشيء .

(٥) أي لزوجي .

علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ، فأقول لهنّ: بلى والله إنّها لهي هي، فيقلن: والله إنّ لها لشأناً قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعاً لُبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ماتبضّ بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لُبنا. فلم نزل نتعرّف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشبّ شباباً لايشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتين حتى كان غلاماً جَفْراً.[١] فكان ﷺ موفور البركة على كل لائذ به وكافل له [٢]

شق صدر النبيّ ﷺ واستخراج حظّ الشيطان منه:

قال الله تعالى : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ [٣] وعن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشقّ عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظّ الشيطان منك، ثمّ غسله في طَستٍ من ذهب بماء زمزم ثم لأمه[٤] وأعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمّه-يعني ظئره فقالوا: إنّ محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع[٥] اللون. قال أنس : فكنت أرى أثر المخيط في صدره [٦]

---

(١) الجفر : الغليظ الشديد.

(٢) السيرة النبوية -ابن هشام ١/ ١٧١-١٧٣، أعلام النبوة - الماوردي، ١٩٦ وما بعدها ، مولد رسول الله ﷺ - ابن كثير، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، ٣٠-٣٢.

(٣) سورة الانشراح / الآية ١.

(٤) أي جمعه وضمّ بعضه إلى بعض .

(٥) منتقع : متغير.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب، الايمان باب: الاسراء برسول الله ١/ ١٤٧ رقم ٢٦١.

طهارته وحفظه عن أقذار الجاهلية في شبيبته:

قال ابن اسحاق :

فشبَّ رسول الله ﷺ يكلؤه الله عز وجل ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعائبها ، لما يريد به من كرامته ورسالته وهو على دين قومه حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً، وأعظمهم أمانة وأكرمهم حسباً وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تُدنّس الرجال، تنزّها وتكرّما حتى ماسمه في قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة، وكان رسول الله ﷺ يحدّث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته ، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، كان ينقل معهم الحجارة للكعبة- لما أرادوا تجديد بنائها - وعليه إزاره فقال له العباس عمّه: ياابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة، قال: فحلّه فجعله على منكبيه، فسقط مغشيًا عليه، فما رؤي بعد ذلك عرياناً)[1]

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول ﷺ يقول: (ماهممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمّون به إلا ليلتين، كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما: قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاء غنم أهلها ، فقلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان. فقال : بلى، قال: فدخلت حتى جئت أوّل دار من دور مكة، فسمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير، فقلت: ماهذا ؟ قالوا: تزوج فلان فلانة فجلست أنظر، وضرب الله على أذني، فوالله ماأيقظني إلا مسّ الشمس فرجعت إلى صاحبي، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب: كراهية التعري في الصلاة وغيرها ٤٧٤/١، رقم ٣٦٤، وأخرجه مسلم ، كتاب الحيض، باب: الاعتناء بحفظ العورة ٢٦٨/١، رقم ٣٤٠، وللاستزادة انظر: السيرة النبوية -ابن هشام١٩٤/١.

ماذا فعلت؟ فقلت: مافعلت شيئاً، ثم أخبرته بالذي رأيت، (وذكر أنه حصل له مرة أخرى فتمّ له مثل الذي حصل في الأولى) ثم قال: فوالله ماهممتُ ولا عدتُ بعدها بشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته)[١]

فهذه العناية وهذا اللطف الذي عاش عليه محمد ﷺ وعرف به قبل نبوته لم يكن نتيجة تربية أب أو أم أو أثر تعليم أستاذ أو مربّ قط، وإنما كان أثر عناية الله تعالى له[٢] وهذه من أحوال عصمته قبل الرسالة وصدّه عن دنس الجهالة فاقتضى أن يكون بعد الرسالة أعظم، ومن الأدناس أسلم، وقد أرسل بعد الاستخلاص والتطهير من الأدناس فانتفت عنه تهم الظنون وسلم من ازدراء العيون ليكون الناس إلى إجابته أسرع وإلى الانقياد له أطوع[٣].

تحسّس بعض أهل الكتاب لنبوته :

قصة بحيرى :

خرج أبو طالب في ركبٍ تاجراً إلى الشام وأخذ معه ابن أخيه محمداً ﷺ، ولما وصلت القافلة إلى ضاحية مدينة بصرى[٤] أشرف بحيرى الراهب عليها ورأى فيمن رأى محمداً، ورأى في الركب حين أقبلوا، غمامة تظلّه من بين القوم، قال: ثم أقبلوا فنزلوا في ظلّ شجرة

---

(١) أخرجه البيهقي، في دلائل النبوة، ٢/٣٣ - ٣٤، البداية والنهاية - ابن كثير، وقال: حديث غريب جداً، ٢/٢٨٧-٢٨٨.

(٢) عقيدة المؤمن - أبو بكر الجزائري، ٢٧٤ وما بعدها.

(٣) أعلام النبوة - الماوردي، ١٩٨ وما بعدها.

(٤) قرية على الحدود بين سوريا والجزيرة العربية.

قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشجرة وتهصّرت[1] أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظلّ تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته ثم أرسل إليهم فقال: إني صنعت لكم طعاماً يامعشر قريش، فأنا أحبّ أن تحضروا كلكم ولا يتخلف منكم أحد، كبيركم وصغيركم فلما حضروا وحضر رسول الله ﷺ جعل بحيرى يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، ثم أخذ بحيرى يسأل رسول الله ﷺعن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ماعند بحيرى من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده، فلمّا فرغ أقبل على عمّه فقال له : ماهذا الغلام منك؟ قال : ابني ، قال له بحيرى: ماهو بابنك، ومايبنغي أن يكون أبوه حياً قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه. قال: مات، وأمّه حبلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليبغُنّه شراً فإنّه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرعْ به إلى بلاده[2]".

قصة ميسرة والراهب :

كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه[3] بشيء تجعله لهم وقد بلغها عن رسول الله ﷺ صدقه وأمانته وكرم أخلاقه فبعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالٍ لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ماكانت

---

(١) أي مالت وتدلّت.

(٢) انظر : السيرة النبوية -ابن هشام ١/١٩١-١٩٤ بتصرف، مع الأنبياء في القرآن الكريم - عفيف عبد الفتاح طبارة ٣٣٩.

(٣) المضاربة: أن تعطي مالاً لغيرك يتّجر فيه، فيكون له سهم معلوم من الربح.

تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله رسول الله منها وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدما الشام. فنزل رسول الله ﷺ في ظلّ شجرة قريبا من صومعة راهب[١] من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال: من الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجلٌ من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب: مانزل تحت هذه الشجرة قط إلاّ نبيّا![٢] ثم باع رسول الله سلعته التي خرج بها وربح ربحاً جسيماً، واشترى ماأراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتدّ الحرّ يرى ملكين يظلاته من الشمس وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ماجاء به فأضعف [٣] أو قريبا.

وحدّثها ميسرة عن قول الراهب وعمّا كان يرى من إظلال الملكين إيّاه وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة شريفة، مع ماأراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له : ياابن عمّ ، إني قد رغبتُ فيك لقرابتك وسطتك[٤] في قومك، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة رضي الله عنها يومئذ أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهنّ شرفاً، وأكثرهنّ مالاً، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه، فلما قالت ذلك لرسول الله ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها[٥].

---

(١) قيل أن اسمه : نسطورا.

(٢) أي مانزل تحتها هذه الساعة قط إلاّ نبي لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك.

(٣) أي صار مضاعفاً.

(٤) السطة: الشرف.

(٥) أصدقها ﷺ عشرين بكرة وكانت أول زوجاته ولم يتزوج عليها حتى ماتت رضي الله عنها. انظر: تهذيب سيرة ابن هشام - عبد السلام هارون ٣٧-٣٨- بتصرف، السيرة النبوية - ابن هشام ١-١٩٨-٢٠١.

أمّيته ﷺ وما فيها من العبر:

أرسل الله محمدا ﷺ إلى العالم أجمع لكنه نزل في قريش، تلك الأمة العربية الأميّة فجعله الله سبحانه من جنسهم أميًا لايقرأ ولا يكتب، قال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (١)

قيل : الأميون الذين لايكتبون وكذلك كانت قريش، وقد امتنّ الله بأن بعث نبيًا أمياً لموافقته ماتقدمت به بشارة الأنبياء ولمشاكلة حاله لحال قومه فيكون أقرب إلى موافقتهم ولينتفي عنه سوء الظنّ في تعليمه مادعا إليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها (٢) ولم تثبت نبوّة نبي في شريعة من الشرائع بالبرهان العقلي القاطع كما ثبتت نبوة محمد بن عبد الله ﷺ فقد ثبت أنه نشأ ﷺ أميًا بين قوم أميين، لم يقرأ كتاباً ولا قرض شعراً ولا ترأس قبيلة ولا انتحل كهانة ولا عرف شيئاً من شرائع الأمم وأديانها، ولو ثبت عنه شيء من ذلك لنقل عنه أتباعه الذين عنوا برواية كل ماعلموه وما سمعوه في شأنه قبل النبوة وبعدها، أو لأذاعه أعداؤه ليكون ذريعة لهم في إنكار نبوته، بقي هكذا شأنه حتى بلغ سنّ الأربعين، ومن المشاهد المسلّم به أن أيّ شخص تظهر عليه بوادر النبوغ في علم ماتظهر آثاره في عنفوان شبابه، ومحمد ﷺ في هذه المدّة لم يظهر عليه شيء من هذا القبيل، بل جلّ مااتصف به هو الأمانة والعزوف عن مخالطة قومه في المجون واللهو وعبادة الأصنام، ثم

---

(١) سورة الجمعة آية ٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٨/٩٢.

قام بدعوة النبوة بعد سن الأربعين وأيّد دعواه بالقرآن[1] وأمية الرسول ﷺ آية من آيات نبوته، لأنه مع هذه الأميّة أتى بكتاب وهو القرآن، عجز كل واحد من البشر على أن يأتي بسورة من مثله.

وقد أطلق القرآن وصف الأميّة على الرسول ﷺ، وهذا ماذكره الرسول ﷺ عن ربه على مسمع من العرب أجمعين ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾[2]

وذكر الرسول ﷺ عن ربه أيضاً: ﴿ الذين يتبعون الرسول النبيّ الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر... ﴾[3]

سمع العرب هاتين الآيتين وغيرهما أيضاً. وكان كثير منهم يناصبونه العداء، فلو كانوا يعلمون أن الرسول ﷺ يجيد القراءة والكتابة لكان لهم السبيل إلى نفي قوله، ولقامت الحجة على تكذيبه في أوضح برهان.[4]

---

(١) روح الدين الإسلامي - عفيف عبد الفتاح طبارة ٤٤٩.

(٢) سورة العنكبوت /الآية ٤٨.

(٣) سورة الأعراف / الآية ١٥٧.

(٤) روح الدين الإسلامي - عفيف عبد الفتاح طبارة، ٤٥٣، نبوة محمد في القرآن - د. حسن ضياء الدين عتر، ٦٥ ومابعدها، العقائد الاسلامية - سيد سابق، ٢٠٣.

الدليل الثالث :

معجزات النبوة ودلائلها :

لم يرسل الله رسولاً ليبلغ الناس الدين، ويعلمهم الشريعة، إلاّ وأيّده بالآيات التي تقطع بأنّه مرسل من عنده، وأنّه موصول بالله يتلقى عنه ويأخذ تعاليمه منه، وهذه الآيات التي يؤيد الله بها رسله لابدّ وأن تكون فوق مقدور البشر وخارج نطاق طاقتهم وعلومهم، مخالفة للسنة الخاصة بالمادة وخارقة للعادات المعروفة والقوانين الطبيعيّة المألوفة، ولذلك سمى أهل العلم هذه الآيات معجزات، لأنها تعجز العقل عن تفسيرها، كما تعجز القدرة الإنسانية عن الإتيان بمثلها، وهذه الآيات ممكنة في ذاتها والعقل لايمنعها، والعلم لاينفيها، والواقع يؤيدها[١].

ولقد علمنا من تاريخ الأمم أنّه كلما جاء فيها رسول يدّعي النبوة كانت تطلب منه برهاناً على صدقه، ومن حقّها أن تطلب هذا البرهان إن لم يحصل لها العلم بنبوته من طريق آخر، وذلك للتثبت من صحة نبوته، ولكن دون تعنّت أو شطط، فيأتي البرهان على صورة معجزة ما، سواء كان ذلك نفس ماطلبوه، أو شيئاً آخر غير الذي طلبوه ويشهد لذلك قول الرسول ﷺ: (مامن نبي إلاّ وأعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحى الله إليّ، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[٢].

والمعجزة للنبي هي أمارة الحق وعلامة الصدق، والبرهان الناطق بأنّ النبيّ إنما يبلغ عن ربّه، ولم يرسل الله نبيّاً إلاّ ومعجزاته بين يديه تجلو غواشي الشكّ، وتبدّد ظلمات الحيرة،

---

(١) العقائد الإسلامية - سيد سابق ٢٠٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : فضائل القرآن، باب : كيف نزل الوحي وأول مانزل ٣/٩ رقم ٤٩٨١

وأخرجه مسلم في كتاب : الإيمان باب : وجوب الإيمان برسالة محمد إلى جميع الناس ١٣٤/١ رقم ٢٣٩،

انظر: العقيدة الاسلامية وأسسها - عبد الرحمن حسن الميداني ٣٣٧، ٣٣٨.

وتقطع الحجة على الجاحدين المنكرين[١] .

ونقل الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله (أن الإمام النووي ذكر أنّ معجزات النبي ﷺ تزيد على ألف ومائتين)[٢]

وقال البيهقي في المدخل: بلغت ألفاً [٣] وقال الزاهدي من الحنفية ظهر على يديه ألف معجزة، وقيل ثلاثة آلاف) [٤]

وقال بعض العلماء، ومعجزات نبينا محمد ﷺ كثيرة لاتنحصر، وفي كلام بعضهم أنه ﷺ أعطي ثلاثة آلاف معجزة يعني غير القرآن، فإنّ فيه ستين أو سبعين ألف معجزة[٥]

تطلق دلائل النبوة وعلامات النبوة ويراد منها: كل دليل يثبت نبوة محمد ﷺ ويبرهن على صدقه دون تقيده بشروط معيّنة، فشمل كل شيء يثبت نبوة محمد ﷺ ومنها سماته الجسديّة كوجود خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ، ويشمل البشارات السماوية ببعثته، لكن تعريف المعجزة يتبين من خلاله: اقترانها بالتحدي، إذ يتحدّى النبيُّ الناس فيعجزون عن الإتيان بمثلها، فيحدث اليقين لهؤلاء الأقوام بأن الله أجراها على يده تصديقاً لنبوته وتأييداً لدعوته، فكل معجزة علامة على نبوة صاحبها حتْماً، وليس بالضرورة أن يكون كل دليل أو علامة أمراً معجزاً، وخارقاً للعادة، مقروناً بالتحدي،فالمعجزة أخصّ من الدليل والعلامة[٦]. وعلى هذا سار مشاهير العلماء كالبخاري في صحيحه والبيهقي في دلائل

---

(١) تاريخ الأنبياء - محمد الطيب النجار، ٢٦.

(٢) مقدمة النووي على شرح صحيح مسلم، ٢/١.

(٣) دلائل النبوة - البيهقي، ١٠/١.

(٤) فتح الباري - ابن حجر، ٥٨٣/٦، الداعي إلى الإسلام - الأنباري ٣٩٣.

(٥) لوامع الأنوار البهية - السفاريني، ٢٩١/٢.

(٦) انظر: نبوة محمد في القرآن - د.حسن ضياء الدين عتر.٢٢٣

النبوة والماوردي في كتاب: أعلام النبوة[1] وقد خالف في هذا الفخر الرازي في كتابه: كتاب الأربعين في أصول الدين حيث لم يسر على قاعدة التفريق بين المعجزة والدليل والعلاقة من حيث اللفظ ولو أنّه يفرّق بين المعجزة والدليل والعلامة من حيث المعنى والإعجاز لكنه يسمى الجميع معجزات[2] .

ولعلّ من أبرز معجزات المصطفى ﷺ تلك المعجزة الخالدة وهي: القرآن الكريم ومعجزة الإسراء ومعجزة المعراج.

وأمّا دلائل نبوته ﷺ فكثيرة جداً وتنقسم إلى قسمين:

أ - دلائل حسّية **ب - دلائل عقليّة**

أ - والدلائل الحسيّة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ - أمور كائنة في ذاته ﷺ كخاتم النبوة بين كتفيه.

٢ - أمور خارجة عن ذاته ﷺ كانشقاق القمر، ونبع الماء بين أصابعه، وتكثير الطعام ببركته وتسليم الحجر عليه، وحنين الجذع، وانقياد الشجر له، وإبراء المرضى، وإجابة دعائه، وعصمة الله له من القتل والكيد، وإخباره عن بعض الغيوب التي وقعت كما أخبر بها.

٣ - أمور تتعلق بصفاته وأخلاقه ﷺ.

---

(١) المرجع السابق ٢٢٣.

(٢) انظر: كتاب الأربعين في أصول الدين - الرازي ٣٠٩.

ب - والدلائل العقلية تنقسم إلى ستة أقسام:

١ - نشأته ﷺ في بيئة أميّة فهو من قبيلة ليست من أهل العلم بل كانت الجهالة غالبة عليهم.

٢ - استقامة منهجه في الشّدة والرخاء فقد تحمّل رسول الله ﷺ في أداء الرسالة أنواعاً من المشاق والمتاعب. ولم يظهر في عزمه فتور ولا في إصراره قصور، ولم يطمع في مال أحد ولا جاهه بل صبر واحتسب.

٣ - لم يأخذ الرسول ﷺ العلم من مخلوق فلم يبحث في العلوم الإلهية ومسائل النبوة قبل إظهار دعوى الرسالة والنبوة.

٤- كان ﷺ مجاب الدعوة.

٥- ورود البشارة بمقدمه العزيز في التوراة والإنجيل.

٦- إخباره عن الغيوب الماضية والمستقبلية[١].

ولقد أفردت مجموعة من المصنفات في دلائل النبوة حتى جاوزت ستاً وأربعين مصنّفاً[٢].

وقد ذكر كثير من المعجزات النبوية في القرآن الكريم، ومعجزات أخرى ذكرت في السنّة الصحيحة، بل لقد بلغ بعضها حدّ التواتر.

والحديث عن المعجزات والدلائل شيّق وممتع، لكنّه يطول، وسأذكر ما ييسّر الله لي من أبرز المعجزات والدلائل على سبيل الإيجاز:

---

(١) انظر: كتاب الأربعين في أصول الدين - الرازي ٣٠٩-٣١٥، نبوة محمد في القرآن - د. حسن ضياء الدين عتر ٢٢٣-٢٣٣.

(٢) انظر: حاشية دلائل النبوة للفريابي - محمود الحداد ٧-١٢، ط. دار طيبة، الرياض، بدون سنة طبع، حيث ذكرها مرتبة على وفيات مصنّفيها نقلاً عن (معجم ما ألف عن رسول الله، للمنجد)، حاشية دلائل النبوة للبيهقي - د. عبد المعطي قلعجي، ١/ ٩٠-٩٢، حيث ذكر ثلاثاً وعشرين مصنفاً.

أولاً المعجزات النبويّة

أ - تعريفها في اللغة والاصطلاح:

المعجزة في اللغة: مأخوذة من العجز وهو عدم القدرة [١].

وفي الاصطلاح : (أمرٌ خارق للعادة داعية إلى الخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من أدعى أنه رسول من الله)[٢]

وقيل : (هي أمرٌ خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة)[٣]

وقال البغدادي : وإنما قيل لأعلام الرسل عليهم الصلاة والسلام معجزات لظهور عجز المُرْسَل إليهم عن معارضتهم بأمثالها[٤].

ب - الفرق بين المعجزة والكرامة :

تختلف المعجزة عن الكرامة من وجوه متعددة أبرزها:

١ - أنّ مايدلّ على صدق الأنبياء يسمى معجزة، ومايظهر على الأولياء يسمى كرامة للتمييز بينهما.

٢ - أنّ صاحب المعجزة لايكتم معجزته بل يظهرها، ويتحدى بها خصومه، بخلاف صاحب الكرامة فهو يجتهد في كتمانها ولا يدعي فيها. فإن اطلع عليها أحدٌ كان ذلك تنبيها من الله عليها لبيان منزلة صاحب الكرامة.

---

(١) لسان العرب - ابن منظور ٥/٣٦٩-٣٧٠، ط، دار صادر بيروت: بدون سنة طبع.

(٢) التعريفات - الجرجاني، ٢٧٣، ارشاد الأنام في عقائد الاسلام - محمود البغدادي،١٥٢.

(٣) الاتقان في علوم القرآن - السيوطي، ٢/١١٦، كتاب الأربعين في أصول الدين - الرازي٣٨٨، كبرى اليقينيّات الكبرى - البوطي٢٢٩، منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان - د. علي الفقيهي ٢٧٤.

(٤) أصول الدين - البغدادي، ١٧٠.

٣ - أنّ صاحب المعجزة مأمون التبديل، معصوم عن الوقوع في الكفر والمعصية، بخلاف صاحب الكرامة، فإنّه لايؤمن تبدّل حاله[1].

جـ- شروط المعجزة :

١ - أن تكون المعجزة من الله تعالى دون غيره، لأنها تصديق منه لرسوله فلا يصدّقه بفعل غيره، سواء كان هذا الأمر (المعجزة) الذي يظهره الله قولاً مثل القرآن، أم فعلاً كفلق البحر لنبي الله موسى عليه السلام أم تركاً كعدم إحراق النار لنبي الله ابراهيم عليه السلام.

٢ - أن تظهر على يد من يدّعي النبوة ليعلم أنه تصديق له.

٣ - أن تكون خارقة للعادة لأنّها لو لم تكن كذلك. لأمكن للكاذب إدعاءالرسالة.

٤ - أن تكون مقرونة بدعوى النبوة ومصاحبة لها حقيقة أو حكماً.

٥ - أن تكون المعجزة موافقة للدعوى فإن جاءت مخالفة للدعوي سميت إهانة كما حصل لمسيلمة الكذاب، فإنه تفل في عين لتبرأ فعميت السليمة .

٦- أن لاتكون مكذبة للمدعي فلو قال إنسان: معجزتي نطق هذا الجماد فنطق الجماد مكذباً له كانت دعواه عليه لاله .

٧ - أن تتعذر معارضة الأمر الخارق للعادة والإمكان بمثله لأن المعارضة لو أمكنت واستطاع أحد أن يأتي بمثل الأمر الخارق للعادة الذي جاء به النبي لأمكن لأي كاذب أن يدعي النبوة[2].

---

(١) المصدر السابق ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) انظر: مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر - حسن أيوب ٥٩-٦٠، إرشاد الأنام في عقائد الإسلام - محمود البغدادي، ١٥٢-١٥٣، دراسات في النبوة والرسالة - د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر، ١١٩-١٢٠، ط١، مكتبة المعارف ، الرياض: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، خوارق العادات في القرآن الكريم - عبد الرحمن بن ابراهيم الحميضي، ٢٤-٢٥، ط١، شركة مكتبات عكاظ، جدة: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

المعجزة الخالدة « القرآن الكريم »:

قال تعالى : ﴿ إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده... ﴾ [١]

وقال تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ﴾[٢]

وقال تعالى : ﴿ إنّا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلاً ﴾[٣]

شاءت إرادة الله سبحانه أن تكون أبرز معجزات نبينا محمد ﷺ معجزة خالدة إلى قيام الساعة ﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾[٤] لاتتبدّل ولا تتغير ﴿ وإنه لكتاب عزيز. لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾[٥]

فلو شاء الله سبحانه لجعل معجزة محمد ﷺ معجزة حسّية [٦] تذهل من يراها.

﴿ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾[٧]

لايملكون معها جدالاً ولا انصرافاً عن الإيمان ملويّة أعناقهم محنية حتى لكأنّ هذه هيئة لهم لاتفارقهم، فهم عليها مقيمون، ولكن سبحانه شاء أن يجعل معجزة هذه الرسالة الأخيرة آية غير قاهرة، لقد جعل آيتها القرآن، منهاج حياة كاملة، معجزاً في كل ناحية من

---

(١) سورة النساء / الآية ١٦٣

(٢) سورة الزمر / الاية ٢٣.

(٣) سورة الإنسان / الآية ٢٣.

(٤) سورة الحجر / الاية ٩.

(٥) سورة فصلت / الآية ٤١-٤٢.

(٦) كان لمحمد ﷺ معجزات حسيّة كثيرة كانشقاق القمر ونبع الماء من خلال أصابعه، وحنين الجوع وغيرها لكن معجزته العظمى والخالدة هي التي قصد بها الإعجاز والتحدي والدوام هي القرآن الكريم وقد سمّى أهل العلم ماعدا معجزة القرآن دلائل على نبوته ﷺ .

(٧) سورة الشعراء / الآية ٤ .

نواحيه ، في بنائه التعبيري وتنسيقه الفنّي وفي بنائه الفكري، معجزاً في يسر مداخله إلى القلوب وتأثيره في النفوس."[1]

أن معجزة محمد معجزة لقريش وللأجيال المتلاحقة بعدهم إلى قيام الساعة، وقد خالفت معجزته ﷺ معجزات الأنبياء السابقة، حيث كانت معجزات الأنبياء السابقين تناسب أهل زمانهم، فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل رسالة كل نبي من جنس مابرع فيه أهل زمانهم غالباً، ليكون عجزهم عنها حجة عليهم، فلما برع قوم موسى عليه السلام في فنون السحر، كانت من معجزاته آيات بهرت الأبصار وخضعت لها الرقاب، مما جعل كبار السحرة يدركون أن هذا الأمر ليس من جنس السحر بل هو من عند الله تعالى ولذلك آمنوا فكان ذلك تأييداً للنبي، وكذلك كانت معجزة عيسى عليه السلام، فقد برع قومه في فنون الطب فجاءهم بما يعجز عنه الأطباء من إبراء الأكمة وإحياء الموتى، وأمّا معجزة محمد ﷺ فقد كانت: القرآن الكريم ذلك الكتاب العربي المبين الفصيح البليغ الذي نزل على قوم امتازوا وبرعوا في الفصاحة والبيان، وقد حملت هذه المعجزات مواصفات حياتية أخرى غير فصاحتها سيأتي بيانها-إن شاء الله- جعلها صالحة، وقائمة إلى قيام الساعة لتكون أية ومعجزة لهذه الأجيال المتلاحقة "[2].

وقد كانت الرسالات السابقة لرسالة خاتم الأنبياء تحمل طابع الخصوصية، إذ كل نبي كان يبعث إلى قومه خاصة، حتى إنه كان في الزمن الواحد كان يبعث نبيان إلى قرية أو جماعة ، كما في قصة ابراهيم ولوط عليهما السلام. وقد أنزل الله على أولئك الأنبياء كتباً سماويّة متضمنة لبداية تلك الأمم، في دينهم ودنياهم، لعلمه سبحانه أن تلك النبوات مؤقتة بزمن، فقد كانت تلك الكتب المنزلة أيضاً ، تحمل حلولاً مؤقتة تقدر ذلك الزمن، وبما يصلح أحوال تلك الأمة وما يصل إليه ذلك الزمن من تقدم وازدهار، وممّا يوضّح ذلك أن تلك

---

(١) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب ٢٥٨٤/٥، الرسل والرسالات - عمر الأشقر ١٣٢.

(٢) البداية والنهاية - ابن كثير ٨٤/٢ بتصرف.

الرسالات تنتهي بزمن ظهور الرسالة العامة للناس جميعاً مايأتي:

١ - أن الله سبحانه لم يتكفل بحفظ تلك الكتب السماوية المنزلة على أولئك الأنبياء دائماً بل وكل حفظها إلى علمائهم، قال تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾(١).

وهذا تكليف من الله بحفظ تلك الكتب، والمكلف قد يؤدي ماكلف به وقد يقصر بل قد يعصي ويخالف مأمر به وهذا ماحدث من أولئك المستحفظين، فقد مدّوا يد العبث إلى تلك الكتب السماوية فحرفوا وبدلوا كما حدثنا القرآن الكريم بذلك.

٢ - أنّ معجزة كل نبي من أولئك الأنبياء عليهم السلام كانت منفصلة عن صلب منهجه التشريعي-أي الكتاب الذي نزل عليه- فهي آية حسّية مّا جعلها مقصورة على الطائفة التي شهدت بعثة الرسول، وحضرت زمنه، مثل قلب العصا وإخراج اليد السوداء بيضاء، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى وغير ذلك.(٢)

وإذا كان قلب العصا معجزة فإنّ تغيير العقول والقلوب أبلغ في الإعجاز، وإذا إحياء الميت من الخوارق التي أيّد الله بها عيسى عليه السلام فإن إحياء أمة من الجهل والرذيلة، وجعلها مصدر إشعاع وهداية، وأمة وسطاً تقوم بالحق وبه تعدل فإنّ ذلك هو الخارق وهو المعجزة الذي تتضاءل في جوانبه جميع المعجزات.

---

(١) سورة المائدة / الآية ٤٤.

(٢) منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان - د.على محمد الفقهي، ٢٧٩-٢٨٠.

قال ابن كثير رحمه الله:

إنّ الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن، بل عن عشر سور مثله، بل عن سورة منه، وإنّهم لايستطيعون ذلك أبداً كما قال تعالى : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا... ﴾[١]

أي فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، وهذا تحدٍّ ثانٍ وهو أنّه لايمكن معارضتهم له لافي الحال ولافي المآل، ومثل هذا التحدي إنّما يصدر عن واثق بأن من جاء به لايمكن للبشر معارضته ولا الإتيان بمثله، ولو كان معه متقوَّل من عند نفسه لخاف أن يُعارض فيفتضح ويعود عليه نقيضُ ماقصد من متابعة الناس له.[٢]

ويمتاز كتاب الله الذي هو معجزة محمد ﷺ بأنه ﴿ ... كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم، وخبر مابعدكم، وحكم مابينكم، هو الفصل ليس بالهزل هو الذي من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، فهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لاتزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الردّ ولا تنقضي عجائبه...﴾ [٣]

---

(١) سورة البقرة / الآية ٢٤.

(٢) البداية والنهاية - ابن كثير ٦/٦٥ وما بعدها.

(٣) أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن ٢/٤٣٥-٤٣٦، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١/٩١ رقم ٧٠٤، وقال الأستاذ أحمد شاكر: إسناده ضعيف جداً ١/٨٨-٨٩، رقم ٧٠٤، وأخرجه الترمذي في أبواب فضائل القرآن باب ماجاء في فضل القرآن، انظر: ضعيف سنن الترمذي - الألباني، ص ٣٤٨-٣٤٩، رقم ٥٥٤.

إعجاز القران :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ رسول الله ﷺ قال : (مامن نبي من الأنبياء إلاّ وأعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)(١)

ذكر أهل العلم أنّ القرآن الكريم يحتوي على عشرات المعجزات بل على المئات بل الآلاف فقد ذكر العلامة السفاريني أنّ القرآن الكريم يحتوي على «ستين أو سبعين ألف معجزة(٢) .

ولقد اهتم بذكر أبرزها العلماء قديماً وحديثاً (٣) ولعلّ من أبرزها مايلي:

إعجازه : في أسلوبه البياني :

من حيث انفراده في انتقاء ألفاظه وإحكام تراكيبه وتأليف كلامه، وسرّ قوته أنّه دخل على العرب من باب يعرفونه فلو جاءهم من غيره لتشبثوا بالأعذار ﴿ ولو جعلناه قرآنا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي وأول مانزل، ٣/٩، رقم ٤٩٨،
وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب: وجوب الإيمان برسالة محمد إلى جميع الناس ١٣٤/١، رقم ٢٣٩.

(٢) لوامع الأنوار البهيّة - السفاريني ٢٩١/٢.

(٣) فقد عدّ الامام القرطبي عشرة أوجه،انظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٧٣/١-٧٥، وعدّ الامام الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن والمطبوع على هامش كتاب: الاتقان في علوم القرآن - للسيوطي ط المكتبة الثقافية، بيروت: بدون سنة طبع، ثلاثة أوجه والوجه الثالث منها يشتمل على عشرة أمور من ٤٧ - ٧٢، وعدّ الامام السيوطي في كتابه الاتقان في علوم القرآن أعداداً كثيرة ونقل نقولات كثيرة انظر الاتقان في علوم القرآن - السيوطي، ط المكتبة الثقافية ، بيروت، بدون سنة طبع: ١١٦/٢-١٢٥ ، وعدّ الزركشي في البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم اثنى عشر وجهاً ٩٣/٢-١٠٧، ط دار المعرفة ، بيروت، بدون سنة طبع، والإمام الماوردي في كتابه، أعلام النبوة فقد عدّ عشرين وجهاً ٥٧-٧٣.
ومن المحدثين د. حسن ضياء الدين عتر في كتابه: بينات المعجزة الخالدة فقد قام بإعداد دراسة طيبة لهذا الموضوع، وذكر الاستاذ: خير الدين وانلي في كتابه معجزات المصطفى سبعة عشر وجهاً ص١٧-١٩.

أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي .. ﴾[١]

ويتمثل هذا في :

أ - فصاحة الألفاظ القرآنية وروعتها :

ومعنى هذا : أي كونها ظاهرة متبادرة إلى الفهم مأنوسة الاستعمال لحسنها ، وهو كثير في القرآن ومنه ﴿ الآن حصحص الحق ﴾[٢] وقوله ﴿ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيًا ﴾[٣]

ب - فصاحة جمل القرآن وتراكيبه:

لقد اشتملت المعجزة المحمّدية - القرآن - على الفصيح والأفصح والمليح والأملح ولذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله.. ﴾[٤]

ولذلك أمثلة ومنه: قوله تعالى : ﴿وجنى الجنتين دان﴾[٥] فلو قال مكانه : وثمر الجنتين قريب، لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الجنى والجنتين وقوله ﴿ وهن العظم منّي﴾[٦] فهو أحسن من ضعف وقوله ﴿لقد آثرك الله علينا﴾ [٧] أحسن من فضّلك[٨]

---

(١) سورة فصّلت /الآية ٤٤

(٢) سورة يوسف / الآية ٥١.

(٣) سورة يوسف / الآية ٨٠

(٤) سورة الزمر / الآية ٢٣.

(٥) سورة الرحمن / الآية ٥٤.

(٦) سورة مريم / الآية ٤

(٧) سورة يوسف / الآية ٩١.

(٨) الاتقان في علوم القرآن - الأسيوطي ١٢٥/٢.

جـ - بلاغة القرآن المعجزة :

وبلاغة الكلام : هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومنه قوله تعالى :

﴿ وقيل يأرض ابلعي ماءك وياسماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجوديّ وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾ [١]

فألوان البلاغة كثيرة متعددة منها باب الإبداع: وهو أن تكون كل لفظه من لفظ الكلام على انفرادها متضمنة بديعاً أو بديعين بحسب قوة الكلام، وما يعطيه معناه، والآية الماضية متضمنة على واحد وعشرين ضرباً من البديع وعدد ألفاظها سبع عشرة لفظة، ومن البديع الوارد في الآية مايلي :

١ - المناسبة التامة في ابلعي وأقلعي

٢ - والمطابقة اللفظية في ذكر السماء والأرض.

٣ - الاستعارة في قوله ابلعي وأقلعي .

٤ - المجاز في قوله (ياسماء) فإن الحقيقة: ويامطر السماء أقلعي.

٥ - والارداف في قوله: ﴿ واستوت على الجودي.. ﴾ [٢] فإنه عبّر عن استقرار السفينة على هذا المكان وجلوسها جلوساً متمكناً لازيغ فيه ولا ميل بهذا التعبير.

٦ - والتمثيل : فإنه عبر بذلك عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين.

٧ - والاحتراس في قوله: ﴿ وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾ [٣] حتى لايتوهم أن العذاب وقع على غير المستحقين للعذاب وغير ذلك كثير. [٤]

---

(١) سورة هود / الآية ٤٤ (٢) الآية السابقة . (٣) الآية السابقة .

(٤) بينات المعجزة الخالدة - د. حسن ضياء عتر ٢٦٤ - ٢٦٧، نقلاً عن بديع القرآن - ابن أبي الأصبع المصري، ٣٤٠ - ٣٤٣، بتصرف، ولقد تمّ الاعتماد على كتاب د. حسن ضياء ولخصت من عنده الأسلوب البياني وقد ذكره مبسوطاً من ص ٢٤٠ - ٣٢٠.

ومن إعجازه :

التحدي بالإتيان بمثله أو معارضته:

ولمّا جاء النبيﷺإلى قوم وهم أفصح الفصحاء، ومصاقع الخطباء، تحدّاهم على أن يأتوا بمثله وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا كما قال تعالى : ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾[١]

ثم تحدّاهم بأن يأتوا بعشر سور منه كما في قوله تعالى ﴿ أم يقولون افتراه. قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله. إن كنتم صادقين. فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنّما أنزل بعلم الله ... ﴾ [٢]

ثمّ تحدّاهم أن يأتوا بسورة مثله كما في قوله ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله ﴾[٣] ثم كرّرها في قوله تعالى ﴿ وإن كنتم في ريب ممّا نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ [٤]

فلما عجزوا عن معارضته والاتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء كما قال تعالى ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ... ﴾[٥]

نادى عليهم عندها بإظهار العجز وإعجاز القرآن فقال تعالى :

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان

---

(١) سورة الطور / الآية ٣٤.

(٢) سورة هود / الآية ١٣-١٤.

(٣) سورة يونس / الآية ٣٨.

(٤) سورة البقرة / الآية ٢٣.

(٥) سورة البقرة / الآية ٢٤.

بعضهم لبعض ظهيراً ﴾[١]

فهذا وهم الفصحاء اللدّ وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدورهم معارضتة لعدلوا إليه قطعاً للحجة، ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدّث نفسه بشئ من ذلك ولا رامه، بل عدلوا إلى العناد تارة وإلى الاستهزاء أخرى لعجزهم في ذلك.[٢]

ومن إعجازه: كثرة معانيه التي لايجمعها كلام البشر وذلك من وجهين:

أ - مـا يجمعه قليل الكلام من كثير المعاني -أي إيجاز لفظه مع وفاء معناه- كقوله:

﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾[٣]

فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

ب - أن ألفاظه تحتمل معاني متغايرة تحار فيها العقول وتذهل فيها الخواطر، وتكلّ فيها القرائح ثم لاتبلغ أقصاه ولا تدرك منتهاه.

ومن إعجازه : ماتضمنه من الحجج والبراهين على التوحيد وإثبات العقيدة الصحيحة وردّ العقائد الباطلة من الدهريّة والثنويّة.

---

(١) سورة الاسراء / الآية ٨٨.

(٢) انظر: الاتقان في علوم القرآن -السيوطي،١١٧/٢، ط. المكتبة الثقافية بيروت: بدون سنة طبع، استخراج الجدل من القرآن الكريم - لابي الفرج عبد الرحمن الأنصاري وهي رسالة من ضمن مجموعة الرسائل المنيريّة ٥٤/٣، ط دار احياء التراث العربي.

(٣) سورة القصص / الآية ٧

ومن إعجازه : اقتران معانيه المتغايرة واقتران نظائرها في السور المختلفة، فيخرج في السورة من وعد إلى وعيد، ومن ترغيب إلى ترهيب ومن ماضى إلى مستقبل ومن قصص إلى مثل ومن حكم إلى جدل فلا ينبو ولا يتنافر.

ومن إعجازه : أنّ اختلاف آياته في الطول والقصر لايخرج عن أسلوبه ولا يزول عن اعتداله.

ومن إعجازه : ماجمعه القرآن من علوم لايحيط بها بشر ولا تجتمع في مخلوق من معارف جزئية وعلوم كليّة لم تعهدها العرب عامّة.

ومن إعجازه : ماتضمنه من أخبار القرون الخالية وقصص الأمم السالفة وما تحداه به من أهل الكتاب من قصة أهل الكهف وشأن موسى والخضر وحديث ذي القرنين.

ومن إعجازه : تيسير حفظه على جميع الألسنة حتى حفظه الأعجمي الأبكم ودار به لسان القبطي الألكن ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه ولا تجري به ألسنة البكم كجريها به ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ... ﴾[1] بل يسّر حفظه للنساء وكبار السّن بل سهل حفظه على الصبيان والأطفال.

ومن إعجازه : أن تلاوته تختص بخمسة بواعث عليه لاتوجد في غيره أ - هشاشة مخرجه ب - بهجة رونقه جـ- سلامة نظمه د- حسن قبوله هـ-أن قارئه لايكلّ و سامعه لايملّ.[2]

---

(١) سورة القمر / الآية ١٧.

(٢) أعلام النبوة - الماوردي، ٦٢-٦٩، بتصرف.

ومن إعجازه : خشية تحصل لقلوب سامعيه وهيبة تعتري قارئيه، وقد بكى رسول الله ﷺ حينما قرأ عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- سورة النساء فلما بلغ آية ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾[1] قال ﷺ حسبك الآن فإذا عيناه تدرفان [2] وقد كان أبو بكر رضي الله عنه بكاءاً عند قراءة القرآن وكذا مجموعة من الصحابة منهم عمر وعثمان رضي الله عنهم [3]

ومن إعجازه : كشف أسرار المنافقين حيث كانوا يتواطئون في السّر على أنواع كثيرة من المكر والكيد وكان الله يطلع رسوله على تلك الأحوال حالاً فحالاً .[4]

ومن إعجازه: تضمنّه لبعض الغيب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿آلم غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ [5] وصدق الموعود فانتصرت الروم على الفرس. وقوله تعالى ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام ...﴾[6] فدخلوا كما أخبر سبحانه وقوله تعالى: ﴿ سيهزم

---

(١) سورة النساء / الآية ٤١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع، والبكاء عند القراءة والتدبّر، ١/٥٥١، رقم ٨٠٠.

(٣) إظهار الحق - رحمة الله الهندي ١/٣٧٩، بتصرف.

(٤) المصدر السابق ١/٣٧٧، بتصرف.

(٥) سورة الروم /الآية ١-٣.

(٦) سورة الفتح / الآية ٢٧.

الجمع ويولون الدبر﴾[1] فتحقق ذلك كما أنبأت الآية عنه ومنه : تحقق وعد الله عز وجل بموت أبي لهب وامرأته على الكفر، قال تعالى : ﴿تبت يدا أبي لهب وتب.ماأغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى ناراًذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد﴾[2]

فقد حكم القرآن بدخول أبي لهب وامرأته النار، مع أنهما لايزالان على قيد الحياة، وقدّر الله أنهما يموتان على الشرك ولم يسلما حتى ولا ظاهراً .[3]

ومن إعجازه : تأثيره في القلب والعقل والنفس، لأنّه يخاطب البدن والروح، ومن ذلك قال جبير بن مطعم رضي الله عنه سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ قوله تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون. أم خلقوا السموات والأرض بل لايوقنون. أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون ﴾[4] كاد قلبي أن يطير للإسلام [5].

ولمّا سمع الوليد بن المغيرة من النبيﷺ ﴿ «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم

---

(١) سورة القمر / الآية ٤٥.

(٢) سورة المسد بكاملها.

(٣) الداعي إلى الاسلام - الانباري ٤٢٤ - ٤٢٨، بتصرف، علامات النبوة - عبد الملك الكليب ٧٠.

(٤) سورة الطور / الآية ٣٥ - ٣٧.

(٥) أخرجة البخاري واللفظ له في كتاب: التفسير، باب: سورة "والطور" ٦٠٣/٨، رقم ٤٨٥٤، وأخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: القراءة في الصبح، ٣٣٨/١، رقم ١٧٤.

تذكّرون ﴾ (١) فقال : والله إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر مايقول هذا بشر ..)(٢) .

ومن إعجازه : الهداية به ، ولعلّ قصص اسلام أكثر الصحابة -رضوان الله عليهم- شاهدة في هذا ، ومنهم قصة اسلام عمر - رضي الله عنه- فقد جاء متوحشاً سيفه يريد قتل أخته وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو لمّا أسلما وتبعا محمدﷺ فلمّا وصل إليهما وحدث بينهم القصة المشهورة، فلما اغتسل عمر- رضي الله عنه- وقرأ الصحيفة وكان فيها صدر سورة طه قال عمر : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ثم دلّ على رسول الله فأسلم (٣)

ومن اعجازه : اشتماله على بعض الإشارات العلمية والقضايا الكونيّة:
فقد تحدث القرآن بلغة واضحة عن كثير من القضايا الكونية والعلمية والتي لم تكن معروفة قطعاً قبل أربعة عشر قرناً في أي مكان من العالم، فضلاً عن أن يكون معروفاً في جزيرة العرب حيث الأمةالأمية:
قال تعالى : وإنّ لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم ممّا في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين)(٤)

يقول العلم الحديث : إنّ الحليب قبل أن يصل إلى الثدى، يمرّ على عمليتي تصفية:

---

(١) سورة النحل / الآية ٩٠.

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٥/١٦٥، إظهار الحق - رحمت الله الهندي ٣٦٧-٣٦٩ بتصرف، مختصر سيرة الرسول ﷺ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ١٢٢، الوحي المحمدي - السيد محمد رشيد رضا ص١٨ وما بعدها.

(٣) قصة اسلام عمر كاملة في السيرة النبوية- ابن هشام ١/٣٦٦-٣٧٥، وقد ذكر الامام البخاري قصة اسلام عمر - رضي الله عنه- في كتاب مناقب الأنصار باب اسلام عمر في حديثه ٧/١٧٧، رقم ٣٨٦٤.

(٤) سورة النحل / الآية ٦٦.

الأولى: تصفيته من الفضلات وذلك بعد الهضم ونزول السائل الحليبي إلى الأمعاء، إذ تقوم الزغيبات المعوية بامتصاص المواد الغذائية طارحة إيّاها في الدم ومبقية الفضلات في الأمعاء حيث تطرح خارج الجسم. وأمّا المواد الممتصّة التي طرحت في الدم فإن قسماً منها يغذي جسم الكائن الحي، وقسماً آخر تصفّيه الغدد اللبنية وترسله إلى الضرع حليباً خالصاً سائغاً للشاربين، فالحليب يصفّى أولا من الفضلات ثم من الدم وهذا ماأشار إليه القرآن الكريم، وما توصل إليها العلم الحديث إلاّ في قرون متأخرة ممّا يدل على أنّ هذا القرآن معجزة دائمة للأمة العربية التي نزل عليها وإلى جميع الأمم، كل يوم تتفتق منه معجزات ومعجزات[1].

ومن معجزاته خلوده وعدم تبدّله :

فقد مضى على مجيئة أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان ولا يزال إعجازه قائماً، ولم يتبدل ولم يتغيّر فهو آية باقية محفوظ في السطور والصدور ﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾[2] .وقوله : ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾[3]وهذه المعجزة لم يحظ بها كتاب سماوي في أمة من الأمم.

ومن إعجازه: وفاؤه بحاجات البشر على اختلاف مشاربهم وطبقاتهم وألوانهم ومراكزهم الاجتماعية والقياديّة ومع ذلك لبّى حاجات هذه الأمة ذكوراً وإناثاً شباباً وشيباً.

---

(١) الرسول - سعيد حوى ٣٩/٢، بتصرف.

(٢) سورة الحجر / الآية ٩.

(٣) سورة فصلت / الآية ٤٢.

ومن إعجازه : تدرّجه في تشريعه ونزول أحكامه.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك التدرج في تحريم الخمر فقد نزل قوله تعالى :

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إنّ في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾(١).

فقد نفّر منه بطريقة غير مباشرة فأثبت أنّ الله أنعم بهاتين الشجرتين النخيل والأعناب والتي يستخرج منهما السكر والرزق الحسن الذي ينتفع منه الناس من مأكول ومشروب فمدح الثاني ووصفه بأنه رزق حسن وأثبت أن الأول سكر أي شئ يسكر ويذهب العقل وفرق بين الحالين.

ثمّ نزل قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ..﴾(٢)

فقارنت الآية بين منافع الخمر عند شربها من طرب ونشوة وتجارة وما يترتب على مضارها في إثم تعاطيها وما ينشأ عنه من ضرر في الجسم، وفساد في العقل وضياع للمال وإثارة لبواعث الفجور والعصيان، ونفّرت الآية منها بترجيح المضار على المنافع ثم نزل قوله تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ..﴾(٣)

واقتضى هذا الامتناع عنها أي عن شرب الخمر في الأوقات التي يستمر تأثيرها إلى وقت الصلاة، حيث جاء النهي عن قربان الصلاة في حال السكر حتى يزول عنهم أثره

---

(١) سورة النحل/ الآية ٦٧.

(٢) سورة البقرة / الآية ٢١٩.

(٣) سورة النساء/ الآية ٤٣.

ويعلموا مايقولونه في صلاتهم.

ثم نزل قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون؟ ﴾[1]

فكان هذا تحريمها القاطع في الأوقات كلّها، ويوضح هذا ماروته عائشة رضي الله عنها قالت: إنّما نزل أول مانزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شئ : لاتشربوا الخمر، لقالوا: لاندعُ الخمر أبداً، ولو نزل : لاتزنوا، لقالوا : لاندع الزنى أبداً).[2]

(١) سورة المائدة / الآية ٩٠-٩١.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن ٩/٣٨-٣٩ رقم ٤٩٩٣. انظر: مباحث في علوم القرآن - مناع القطان، ١١٢-١١٣، البيان في علوم القرآن - محمد الصابوني٣٥-٣٨، روائع البيان، تفسير آيات الأحكام - الصابوني ١/٢٦٧-٢٧٣.

الأسراء:

أخبر القرآن به وأن مسراه كان ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس، حيث جمع الله له الأنبياء وصلى بهم إماماً، قال تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنّه هو السميع البصير﴾[1]

فقد أخبر الله سبحانه أنه أسرى به ليلاً بين مسجدين فاضلين، وأخبر أنه فعل ذلك ليريه من آياته.

ومعلوم أن الأرض قد رأى الناس مافيها من الآيات، فعلم أن ذلك ليريه آيات لم يرها عموم الناس كما قال في سورة أخرى ﴿ أفتمارونه على مايرى. ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة مايغشى. مازاغ البصر وماطغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾[2]وقد تواترت الأحاديث عن الإسراء والمعراج[3]

ولئن لم يشهد الناس هذه المعجزة لكنّ الرسولﷺ قد أخبرهم بها، فلما طلبوا منه وصف بيت المقدس - ولم يكن قد زاره من قبل - أخذ يصفه لهم كأنه يشاهده، إذ كشف الله عن بصيرته فجعل يراه ويصفه فظهرت المعجزة للناس بالدليل عليها. وإذ لم تكن هذه الخارقة أمراً ظاهراً للناس على سبيل التحدّي فقد رأى بعض أهل العلم أنها تكريم من الله

---

(١) سورة الاسراء / الآية ١

(٢) سورة النجم / الآية ١٢-١٨

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ابن تيمية ١٦٤/٤ ط مكتبة المدني القاهرة.

لنبيّه وليست من المعجزات بل من الدلائل على نبوته ﷺ[١] وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذبتني قريش قمت في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه[٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ(لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها[٣] فكربت كربة ماكربت مثله قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه مايسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به. وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء. فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل جعد كأنه من رجال شنوءة. وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلي. أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي. وإذ إبراهيم عليه السلام قائم يصلي. أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) فكانت الصلاة فأممتهم. فلما فرغت من الصلاة قال قائل :يامحمد هذا مالك صاحب النار فسلّم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام)[٤]

المعراج:

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : أتيت بالبراق[٥] فركبته حتى أتيت بيت المقدس،قال: فربطته بالحلقه التي ربط بها الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت. فجاءني جبريل عليه السلام بإناء خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن. فقال

---

(١) العقيدة الاسلامية وأسسها - عبد الرحمن الميداني ٣٧٠ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب : حديث الإسراء وقول الله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ...﴾ ١ الإسراء، ١٩٦/٧ رقم ٣٨٨٦.

(٣) أي لم أحفظها ولم أضبطها لاشتغالي بأهم منها.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الايمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ١٥٦/١ -١٥٧ رقم ٢٧٨

(٥) البراق: اسم الدابة التي ركبها ﷺ ليلة الاسراء وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل.

جبريل: اخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال جبريل. قيل ومن معك ؟ قال : محمد، قيل : وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا. فإذا أنا بآدم ﷺ . فرحب بنا ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثانية. فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من أنت؟ قال: جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد . قيل : وقد بعث إليه. قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما. فرحبا ودعوا لي بخير. ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل. فقيل من أنت؟ قال:جبريل. قيل ومن معك ؟ قال: محمد ﷺ قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بيوسف ﷺ إذا هو أعطي شطر الحسن فرحّب ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة. فاستفتح جبريل عليه السلام. قيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قال: وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإدريس ﷺ. فرحب ودعا لي بخير قال الله عز وجل ﴿ ورفعناه مكاناً عليا ﴾[1] ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل. قيل من هذا ؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا. فإذا أنا بهارون ﷺ فرحب ودعا لي بخير.ثم عرج بنا إلى السماء السادسة. فاستفتح جبريل عليه السلام. قيل:من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل وقد بعث إليه؟ قال : قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بموسى ﷺ فرحب ودعا لي بخير.

ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل. فقيل من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال محمد ﷺ قيل: وقد بعث إليه ؟ قال: قد بعث إليه: ففتح لنا. فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخل كل يوم سبعون ألف ملك

---

(١) سورة مريم / الآية ٥٧.

لايعودون إليه. ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى[١] وإذا ورقها كآذان الفيلة. وإذا ثمرها كالقلال[٢] قال: فلما غشيها من أمر الله ماغشي تغيرت. فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ماأوحى. ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة. فنزلت إلى موسى ﷺ فقال: مافرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة. قال: إرجع إلى ربك. فاسأله التخفيف. فإن أمتك لايطيقون ذلك. فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال فرجعت إلى ربي فقلت : يارب خفف على أمتي، فحطّ عني خمساً. فرجعت إلى موسى ﷺفقلت: حطّ عني خمساً . قال إن أمتك لايطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى ﷺ، حتى قال : يامحمد خمس صلوات كل يوم وليلة. لكل صلاة عشر. فذلك خمسون صلاة. ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا. فإن عملها كتبت له سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرته. فقال: إرجع إلى ربك فاسأله التخفيف : فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه)[٣]

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنه : سميت سدرة المنتهى : لأن علم الملائكة ينتهي إليها، ولم يجاوزها أحد، إلا رسول الله ﷺ.

(٢) القلال جمع قلة. والقلة: جرة كبيرة تسع قربتين أو أكثر.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج ٧/٢٠١-٢٠٢ رقم ٣٨٨٧ وأخرجة مسلم واللفظ له في كتاب الايمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، وفرض الصلوات ١/١٤٥-١٤٧رقم ٢٥٩ ولمزيد من المعرفة التفصيليّة عن الاسراء والمعراج انظر إلى:

أ- فتح الباري- ابن حجر العسقلاني ٧/٢٠١-٢١٩

ب- صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٢٠٩-٢٣٣

جـ- دلائل النبوة - البيهقي ٢/٣٥٤-٣٦٥

د- السيرة النبوية - ابن هشام ٢/٣٦-٥٠

هـ- زاد المعاد - ابن القيم، تحقيق : شعيب وعبد القادر الارنؤوط ٣/٣٤-٤٢

ثانياً : دلائل النبوة :

□ **ومن دلائل نبوته : انشقاق القمر :**

فقد أثبت ذلك القرآن الكريم في قوله ﴿ اقترب الساعة وانشق القمر. و إن يروا آية يقولوا سحر مستمر ﴾[1]

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : (أنّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما)[2]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى، إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: اشهدوا)[3]

قال ابن تيمية:

ومن آيات رسول الله ﷺ الدالة على نبوته ماهو في العالم العلوي، كانشقاق القمر، وبيّن أن الله فعله وأخبر به لحكمتين عظيمتين:

أ- كونه من آيات النبوة إجابة لسؤال المشركين أن يروا آية، فأراهم انشقاق القمر.

ب-أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك، وأن ذلك دليل ماأخبرت به الانبياء من انشقاق السموات ولهذا قال تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا

---

(١) سورة القمر / الآية ١-٢

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: انشقاق القمر ١٨٣/٧رقم ٣٨٦٨ وأخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: انشقاق القمر ٢١٥٩/٤ رقم ٣٨٦٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الانصار، باب: انشقاق القمر ١٨٣/٧ رقم ٣٨٦٩، وأخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: انشقاق القمر ٢١٥٨/٤ رقم ٢٨٠٠.

ويقولوا سحر مستمر. وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر. ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر. حكمة بالغة فما تغني النذر. فتولَّ عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر. خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾ [(١)] فذكر اقتراب الساعة وانشقاق القمر، وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لأنه أقرب إلى الارض من الشمس والنجوم، ولأنه الجسم المستنير الذي يتضح الانشقاق فيه لكل من يراه ظهوراً لايتمارى فيه وكان النبي ﷺ يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار مثل صلاة الجمعة والعيدين ليسمع الناس مافيها من آيات النبوة ودلائلها والإعتبار بما فيها، وكل الناس يقرّ بذلك ولاينكره، فعلم أن انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة[(٢)]،

وقد سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أباواقد الليثي ماكان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟ قال: كان يقرأ فيها بـ ﴿ ق.والقرآن المجيد﴾[(٣)] و﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر﴾[(٤)]

وعن جبير بن مطعم قال: (انشق القمر ونحن بمكة. حتى صار فرقتين على هذا الجبل، فقال: وعلى هذا الجبل فقال الناس: سحرنا محمد ص. فقال رجل: إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم)[(٥)]

قال ابن كثير: وقد أجمع المسلمون على وقوع هذه الآية وتواترت الأحاديث في ذلك،

---

(١) سورة القمر/الآية ١-٧.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ابن تيمة ١٦٢/٤.

(٣) سورة ق / الآية ١.

(٤) سورة القمر / الآية ١، وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة العيدين، باب: مايقرأ به في صلاة العيدين ٦٠٧/٢ رقم ٨٩١.

(٥) أخرجه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب: تفسير سورة القمر صحيح سنن الترمذي - الالباني ١١٢/٣ رقم ٢٦٢٢.

وقد شاهد الناس هذه المعجزة عياناً في أنحاء الجزيرة العربية وخارجها حتى إنّه أرخ بذلك في بعض بلاد الهند، وبنى بناء في تلك الليلة[1]

□ ومن دلائل نبوته: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ وتكثيره.

وقد ثبت أنّ الماء نبع من بين أصابع المصطفى ﷺ وأصبح كثيراً وأضعافاً مضاعفة، وثبت أنه نبع له من غير أصابعه، ببركته ﷺ فمن الأول:

مارواه أنس رضى الله عنه قال: أتي النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء[2]، فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم. قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة، أوزهاء ثلاثمائة)[3]

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه فقال: مالكم ؟قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولانشرب إلأما بين يديك. فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون. فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشر مائة)[4] .

ومن الثاني: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك......... وأنّهم أتوا على عين مثل الشراك تبضّ بشيء من ماء فغرفوا من العين بأيديهم قليلاً حتى اجتمع فيه شيء. قال وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ثم أعاده

---

(١) البداية والنهاية -ابن كثير ١١٨/٣-١٢٠ بتصرف.

(٢) الزوراء : مكان معروف بالمدينة عند السوق ، انظر : فتح الباري - ابن حجر ٥٨٥/٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الاسلام ٥٨٠/٦ رقم ٣٥٧٢، وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: في معجزات النبي ﷺ ١٧٨٣/٤ رقم ٢٢٧٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الاسلام ٥٨٠/٦ رقم ٣٥٧٢.

فيها فجرت العين بماء منهمر ثم قال : يوشك يامعاذ إن طالت بك حياة أن ترى ماههنا قد ملىء جناناً)[١]

قال القرطبي: ولم يسمع بمثل هذه الآية عن غير نبينا محمد ﷺ حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه. وقد نقل ابن عبد البر عن المزني أنه قال : نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في الإعجاز من نبع الماء من الحجر، حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه، لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم.[٢]

□ **ومن دلائل نبوته: تكثير الطعام.**

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصاً [٣] فانكفأت[٤] إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت رسول الله خمصاً شديداً فأخرجت لي جراباً [٥] فيه صاع من شعير ولنا بهيمة[٦] داجن[٧] قال : فذبحتها وطحنت. ففرغت إلى فراغي. فقطعتها في برمتها. ثم وليّت إلى رسول الله ﷺ . فقالت : لاتفضحني برسول الله ﷺ ومن معه. قال: فجئته فساررته فقلت: يارسول الله إنّا قد ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا. فتعال أنت في نفر معك. فصاح رسول الله

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب : في معجزات النبي ﷺ ٤/١٧٨٤ - ١٧٨٥ رقم ٧٠٦.
انظر : الإعلام بمافي دين النصارى من الفساد والاوهام - القرطبي ٣/٣٥١ - ٣٥٢.

(٢) فتح الباري - ابن حجر ٦/٥٨٥

(٣) الخمص: خلاء البطن من الطعام.

(٤) أي انقلبت ورجعت .

(٥) وعاء من جلد معروف.

(٦) الصغيرة من أولاد الضأن

(٧) الداجن: ماألف في البيوت

ﷺ وقال: يأهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سورا(١) فحيَّهلاً بكم، وقال رسول الله: لاتنزلنّ برمتكم ولاتخبزنّ عجينتكم حتى أجيء، فجئت وجاء رسول الله يقدم الناس. حتى جئت امرأتي فقالت : بك وبك (٢) فقلت قد فعلت الذي قلت لي (٣) فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال : ادعي خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم(٤) ولاتنزلوها. وهم ألف فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا(٥) وإن برمتنا لتغط (٦) كماهي وإنّ عجيناً ليخبز كما هو)(٧)

□ ومن دلائل نبوته: تسليم الحجر عليه قبل النبوة:

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلمُ عليّ قبل أن أبعث. إني لأعرفه الآن)(٨)

---

(١) الطعام الذي يدعى إليه.

(٢) أي أنّ الذم والفضيحة ستلحق بك.

(٣) أي أني قد أخبرته ﷺ بما عندنا فهو أعلم بالمصلحة.

(٤) أي أغرفي، والمقدح هو المغرفة.

(٥) أي شبعوا وانصرفوا.

(٦) أي تغلي ويسمع غليانها.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق ٧/٣٩٥ - ٣٩٦ رقم ٤١٠٢، وأخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، باب: استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح مايصيبها من أذى وكراهة مسح اليد قبل لعقها ٣/١٦١٠ رقم ٢٠٣٩ للاستزاده أنظر : أعلام النبوة - الماوردي ٨٤ ومابعدها.

(٨) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ٤/١٧٨٢ رقم ٢٢٧٧.

□ ومن دلائل نبوته : حنين الجذع

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أونخلة، فقالت امرأة من الأنصار - أورجل - يارسول الله ألا نجعل لك منبراً؟ قال : إن شئتم. فجعلوا له منبراً. فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبيّ، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه، يئنّ أنين الصبي الذي يُسكّن قال. كانت تبكي على ماكانت تسمع من الذكر عندها)[١]

قال ابن حجر: وفي الحديث دلالة على أنّ الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان، وقيل: قد أعطي محمد ﷺ ماأعطي نبي غيره، فقد أعطي عيسى ﷺ إحياء الموتى وأمّا محمد ﷺ فقد أعطي حنين الجذع حتى سمع صوته، والجذع أصلاً لايتكلم فهو أكبر من ذلك[٢]

□ ومن دلائل نبوته: انقياد الشجر للنبي ﷺ وشهادتها بنبوتّه:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح[٣] فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بإدواة من ماء[٤] فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان بشاطىء الوادي فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي عليّ بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش[٥]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الاسلام ٦٠١/٦ - ٦٠٢ رقم ٣٥٨٤.

(٢) فتح الباري - ابن حجر- ٦٠٣/٦ بتصرف.

(٣) واديا أفيح: أي واسعاً.

(٤) أي إناء صغير من جلد يتخذ للماء.

(٥) هو العود الذي يجعل في عظم انف البعير، انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - الفيومي ٢٠٣/١.

الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم[1] بينهما فقال: التئما عليّ بإذن الله. فالتأمتا[2]وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺوهو جالس حزين قد تخضب بالدم من فعل أهل مكة فقال يارسول لله هل تحبّ أن نريك آية؟ قال: نعم فنظر إلى شجرة من ورائه فقال: أدع بها فدعا بها فجاءت فقامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع، فأمرها، فرجعت فقال رسول الله ﷺ: حسبي حسبي)[3]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة يشهد أني رسول الله، فدعاه رسول الله فجعل ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض فجعل ينقز حتى أتى إلى النبي ثم قال له: إرجع، فرجع حتى عاد إلى مكانه فقال: أشهد أنك رسول الله وآمن[4].

□ ومن دلائل نبوته : إبراء المرضى وذوي العاهات بإذن الله تعالى.

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺإلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار فأمّر عليهم عبد الله بن عتيك، فدخل عليه عبد الله بيته ليلاً وهو نائم

---

(١) أي جمع.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: حديث جبريل الطويل، وقصة أبي اليسر ٤/٢٣٠٦، ٢٣٠٧ رقم ٣٠١٢.

(٣) أخرجه الدارمي بإسناد صحيح ١/١٢ انظر: مشكاة الصابيح للتبريزي، تحقيق: -الالباني ٣/١٦٦٥ رقم ٥٩٢٤.

(٤) أخرجه الترمذي في أبواب: المناقب، باب: ماجاء في آيات نبوة النبي ﷺوما قد خصه الله به ، صحيح سنن الترمذي - الألباني ٣/١٩٣، رقم ٢٨٦٨، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة، باب: مشي العذق الذي دعاه محمد ﷺ يديه ثمّ رجوعه إلى مكانه بإذنه وما في ذلك من دلائل النبوة ٦/١٥.

فقتله عبد الله بن عتيك فيقول : فوضعت السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته فرجعت أفتح الأبواب حتى انتهيت إلى درجة فوضعت رجلي فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة فانطلقت إلى أصحابي فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: أبسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكأنّما لم أشتكها قط).[1]

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: (لأعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيّهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله كلّهم يرجو أن يعطاها. فقال : أين عليّ أبي طالب؟ فقيل: هو يارسول الله يشتكي عينيه قال فأرسلوا إليه فأتى به فبصق رسول الله في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي يارسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال : أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌلك من أن يكون لك حمر النعم)[2]

وعن يزيد بن أبي عبيد رضي الله عنه قال: (رأيت أثر ضربة في ساق سلمة رضي الله عنه فقلت : ياأبا مسلم ماهذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتها يوم خيبر، فقال الناس:أصيب سلمة فأتيت النبي ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيت حتى الساعة)[3]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ويقال سلام بن أبي الحقيق، ٧/ ٣٤٠ -٣٤١ رقم ٤٠٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٧/ ٤٧٦، رقم ٤٢١٠

وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب :من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٤/ ١٨٧٢ رقم ٢٤٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٧/ ٤٧٥ رقم ٤٢٠٦.

□ ومن دلائل نبوته : إجابة دعائه ﷺ

أ - نزول الغيث :

عن أنس رضي الله عنه قال: أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله ﷺ فبينما هو يخطب يوم الجمعة إذ قام رجل فقال : يارسول الله هلكت الكراع، هلكت الشاء، فادع الله يسقينا فمدّ يده ودعا . قال أنس : وإنّ السماء كمثل الزجاجة فهاجت ريح أنشأت سحاباً، ثم اجتمع ، ثم أرسلت السماء عزاليها ، فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا فلم نزل نمطر إلى الجمعة الأخرى، فقام إليه ذلك الرجل- أوغيره- فقال: يارسول الله تهدّمت البيوت، فادع الله أن يحبسه. فتبسّم ثم قال: حوالينا ولا علينا. فنظرت إلى السحاب يتصدّع حول المدينة كأنه إكليل[1]

ب : هداية أمّ أبي هريرة للإسلام :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أمّي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ماأكره فأتيت رسول الله وأنا أبكي قلت : يارسول الله إني كنت أدعو أمّي إلى الإسلام فتأبى عليّ فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ماأكره فادع الله أن يهدي أمّ أبي هريرة فقال رسول الله : اللهم اهد أمّ أبي هريرة فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مُجاف فسمعتُ أمّي خشف قدميّ فقالت: مكانك ياأبا هريرة! وسمعت خضخضة الماء . قال فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: ياأبا هريرة أشهد أن لاإله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده

(١) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب: المناقب، باب : علامات النبوة في الإسلام ٥٨٨/٦، رقم ٣٥٨٢، وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة الأستسقاء باب: الدعاء في الاستسقاء، ٦١٢/٢- ٦١٣، رقم ٨٩٧.

ورسوله. قال: فخرجت إلى رسول الله فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال قلت يارسول الله: أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أمّ أبي هريرة . فحمد الله وأثنى عليه، وقال خيراً قال: قلت يارسول الله أدع الله أن يحببني أنا وأمّي إلى عباده المؤمنين، ويحببّهم إلينا . قال فقال رسول الله: اللهم حبّب عُبيدك هذا - يعني أبا هريرة- وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلاّ أحبّني)[١]

جـ الدعاء لأنس بن مالك رضي الله عنه :

عن أمّ سليم رضي الله عنهما قالت: يارسول الله خادمك أنس أدع الله له فقال : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته.

قال أنس : فوالله إنّ مالي لكثير وإنّ ولدي وولد ولدي ليتعادوّن على نحو المائة اليوم)[٢]

د - الدعاء لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :(ضمني رسول الله ﷺ وقال : اللهمّ علّمه الكتاب)[٣]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضوءاً. قال:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، ١٩٣٨/٤ - ١٩٣٩ رقم ٢٤٩١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: دعوة النبي لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله ١٤٤/١١، رقم ٦٣٤٤، وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أنس بن مالك، ١٩٢٨/٤ - ١٩٢٩، رقم ٢٤٨٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: قول النبي اللهم علمه الكتاب ١٦٩/١ رقم ٧٥.

من وضع هذا ؟ فأخبر فقال: اللهم فقّه في الدين[1] وقد استجاب الله دعاء رسوله لابن عباس فقد نبغ في طلب العلم وتحصيله من فيّ رسول الله ﷺ في العقيدة والتفسير والحديث والفقه والأحكام حتى سمي البحر وسمي ترجمان القرآن.

هـ- الدعاء على متكبر :

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : أكل رجلٌ عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: كل بيمينك قال: لاأستطيع، قال: لااستطعت، مامنعه إلاّ الكبر. قال: فما رفعها إلى فيه[2]

□ ومن دلائل نبوته : عصمة الله له من القتل والكيد :

والأمثلة في هذا كثيرة جداً أقتصر على ذكر بعضها .

كان رسول الله ﷺ يُحرس في أول أمره، فلما أنزل الله تعالى ﴿ ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس﴾[3] أمرهم ﷺ بعدم حراسته لأنّ حفظه من كيد الأنس والجن. ومّما يدل على هذا مارواه جابر بن عبد الله قال: غزونا مع رسول الله غزوة قبل نجد.. فنزل رسول الله تحت شجرة فعلّق سيفه بغصن من أغصانها، قال وتفرّق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال : فقال رسول الله ﷺ: إنّ رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف، فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلاّ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ١/٢٤٤رقم ١٤٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب : الأشربة ، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما ٣/١٥٩٩ رقم ٢٠٢١.

(٣) سورة المائدة / الآية ٦٧.

والسيف صلتا[1] في يده. فقال: من يمنعك مني؟ قال: قلت : الله ثم قال في الثانية من يمنعك مني؟ قال : قلت: الله قال فشام السيف[2] فها هو ذا جالس، ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ [3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال أبو جهل: هل يُعفِّرُ محمد وجهه[4] بين أظهركم؟ قال فقيل: نعم فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته. أو لأعفرنّ وجهه في التراب. قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي. زعم ليطأ على رقبته. قال فما فجِئهم[5] منه إلاّ وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه. قال فقيل له: مالك؟ فقال: إنّ بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة فقال رسول الله ﷺ: لو دنا منّي لاختطفته الملائكة عضوا عضواً.) [6]

◻ ومن دلائل نبوته : إخباره ﷺ عن بعض الغيوب التي وقعت كما أخبر.

١ - إخباره عن مصارع المشركين في بدر قبل مصرعهم:

عن أنس رضي الله عنه قال : إنّ رسول الله ﷺ شاور حين بلغنا إقبال أبي سفيان، وقام سعد بن عبادة فقال: يارسول الله والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر

---

(١) أي مسلولاً .

(٢) أي ردّه في غمده.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: توكله على الله وعصمة الله تعالى له من الناس، ٤/١٧٨٦، ١٧٨٧ رقم ٨٤٣، للاستزادة انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٦/٢٤٢-٢٤٤.

(٤) أي هل يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب.

(٥) أي نعتهم.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم، باب: قوله : ﴿ إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى ﴾ ٦- ٧ العلق ٤/٢١٥٤ - ٢١٥٥ رقم ٢٧٩٧.

لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْك الغمادِ[١] لفعلنا. قال: فندب رسول الله الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدراً فقال رسول الله ﷺ :هذا مصرع فلان، ويضع يده على الأرض ههنا. ههنا. قال: فما ماط [٢] أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ [٣].

٢ - إخباره عن استشهاد عمر وعثمان رضي الله عنهما :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: أثبت أحد فإن عليك نبي وصديق وشهيدان[٤]

وقد وقع ماأخبر به ﷺ فقد استشهد عمر ثم تلاه عثمان رضي الله عنهما.

٣ - إخباره ﷺ عن إصلاح ابن ابنته الحسن بن علي رضي الله عنهما بين فئتين عظيمتين:

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: (سمعنا النبي ﷺ على المنبر والحسنُ إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرّة وإليه مرّة، ويقول: إبني هذا سيِّد، ولعلّ الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين) [٥] وقد وقع ماأخبر به ﷺ من تنازل الحسن بن علي عن الملك لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وحقن دماء المسلمين والصلح يوم صفين.

---

(١) اسم موضع .

(٢) أي : مابعد أو زال أو تجاوز المكان الذي حدده رسول الله ﷺ لمقتله .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد، باب: غزوة بدر ١٤٠٣/٣ -١٤٠٤ رقم ١٧٧٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ٢٢/٧ رقم ٣٦٧٥.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب : فضائل الصحابة، باب : مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ٩٤/٧ ٣٧٤٦.

تقدّم نزراً يسيراً مما صحّ ثبوته سواء كان متفقاً على صحته، أو أخرجه إمّا البخاري أو مسلم رحمهما الله تعالى وثبوت هذه الدلائل تثبت نبوة نبينا محمد ﷺ، وإذا ثبتت نبوته، لزم على ذلك ثبوت نبوّة جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لإخبار الله بهم وإيجابه الإيمان بهم جملة والإيمان بنبوة محمد ﷺ تفصيلاً ﴿ قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم. لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ [1]

---

(١) سورة البقرة / الآية ١٣٦، انظر: إرشاد الثقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات - الشوكاني ٦٨ وما بعدها.

الدليل الرابع :

قرائن أحواله وأخلاقه في حياته ﷺ:

إنّ القيم الخلقية تكشف عن مُثل الإنسان العليا وترتبط ارتباطاً وثيقاً بوجهته وحقيقته، ومن هنا نجد للصفات الخُلقية صلة قوية بالنبوة، فإن النبوة تستلزم من صاحبها أن يتصف بخصال كريمة معيّنة، وأن يتنزّه عمّا يضادّها، لذا نجد القرآن الكريم يصف نبينا محمداً ﷺ بمجامع الخلق الكريم، وينزهه عن كل خلق ردئ.

لقد تحلى محمد ﷺ بكمالات الأخلاق، فعرفه قومه على يتمه وفقره أميناً صادقاً، كريماً، سخياً، مترفعاً عن أغراض الذات، عطوفاً على الأيتام والأرامل والبؤساء، دعا قومه إلى الله فأذاقوه من مرارة الأذى وقسوة الاضطهاد والحرمان ماتنوء بحمله الجبال الشامخات، فاحتمل في سبيل نشر رسالة الله مااحتمل وجاهد في الله حق جهاده، إن الفضائل النفسيّة العريقة الكاملة لاتتوافر في أحد من البشر إلاّ الرسل المصطفين الأخيار، ومنهم محمد ﷺ فقد أدبه فأحسن تأديبه، وجعله المثلى الكامل في الفضائل الانسانية فأهله بذلك لحمل أعظم رسالة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى دلالة أخلاقه ﷺ فقال في معرض نفي بعض التهم التي ألصقها به المشركون تبريراً لتكذيبهم ﴿ هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين: تنزّل على كل أفاك أثيم. يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾[1]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (يقول مخاطباً لمن زعم من المشركين أنّ ماجاء به الرسول ﷺ ليس بحق، وأنه شيء افتعله من تلقاه نفسه أو أنه أتاه به رئيٌ من الجان، فنزّه الله سبحانه وتعالى جناب رسوله عن قولهم وافترائهم ونبه أن ماجاء به إنما هو من عند الله

(١) سورة الشعراء / الآية ٢٢١-٢٢٣

وأنه تنزيله ووحيه نزل به ملك كريم أمين عظيم. وأنه ليس من قبل الشياطين فإنهم ليس لهم رغبة في مثل القرآن العظيم. وإنما يتنزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهنة والكذبة [١]

وأشاد القرآن بأخلاق النبي الحميدة وقرّر نبوته ﴿ فبما رحمت من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك . فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر . فإذا عزمت فتوكل على الله .. ﴾[٢]

وقال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ... ﴾ [٣]

وقال تعالى : ﴿ ن. والقلم ومايسطرون. ماأنت بنعمة ربك بمجنون. وإنك لأجراً غير ممنون. وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[٤] فقد أثنى عليه ربه فوصفه بأنه صاحب الخلق العظيم في معرض الرد على المشركين، وكشف زعمهم الزائف [٥]

نماذج حية من أخلاقه ﷺ :

إنّ الديمومة [٦] على التحلّي بالأخلاق الفاضلة في الجدّ والهزل، في الكبر والصغر، في البيت ومع الناس، مع الله ومع النفس ومع الآخرين لهي من شيم الرجال الخلّص، الذين

---

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٣/٣٥٢-٣٥٣.

(٢) سورة آل عمران / الآية ١٥٩.

(٣) سورة الأحزاب / الآية ٢١.

(٤) سورة القلم / الآية ١-٤.

(٥) انظر : نبوة محمد في القرآن - د.حسن ضياء الدين عتر، ٩٢ ومابعدها.

(٦) عن علقمة قال: (سألت عائشة رضي الله عنها كيف كان عمل رسول الله؟ وهل كان يخص شيئاً من الأيام؟ قالت : لا كان عمله ديمة، وأيّكم يستطيع ماكان رسول الله ﷺ يستطيع) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل العمل الدائم من قيام الليل وغيره ١/٥٤١ رقم ٧٨٣.

اصطفوا لحمل رسالة السماء إلى أهل الأرض، بل إنّ طيب محيّاه ومعدن أخلاقه الشريفة كانت قبل نبوته وترسّخت بعدها.

عن سعد بن هشام أنه قال لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين،أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ فقالت :(ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قلت : فإنّ خلق رسول الله ﷺ كان القرآن)[١]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :(ماخيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلاّ أخذ أيسرهما مالم يكن إثماً، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله لنفسه، إلاّ أن تنتهك حرمة لله تعالى)[٢]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين. والله ماقال لي: أفّا قط ولا قال لي لشئ لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا ؟)[٣]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال:ماسئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال:لا "[٤]،

وسأعرض لبعض أخلاقه ﷺ والتي تحلّى بها في حياته، حتى إنّه كان لهذه الأخلاق أكبر الأثر في دعوته واستجابة الناس له.

فعن أبي مسعود قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ فجعل ترعد فرائصه فقال له ﷺ : (هوّن عليك فإني لست بملك. إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد) "[٦].

---

(١)جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين ، باب : جامع صلاة الليل ٥١٢/١ رقم ١٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ ٥٦٦/٦ رقم ٣٥٦٠، وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام ١٨١٣/٤رقم ٧٧.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: كان رسول الله أحسن الناس خلقاً ١٨٠٤/٤ رقم ٢٣٠٩.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب :ماسئل رسولا لله شيئاً قط فقال: لاوكثرة عطائه ١٨٠٥/٤ رقم ٢٣١١.

(٦) أ خرجه ابن ماجة في كتاب: الأطعمة، باب: القديد، صحيح سنن ابن ماجة - الألباني ٢٣٢/٢ رقم ٢٦٧٧.

وقد جمع رسول الله من محاسن الشيم ومكارم الأخلاق مالم يجتمع لبشر قط، إذ قد يكون الرجل حليماً ولا يكون شجاعاً، ويكون شجاعاً ولا يكون رحيماً، ويكون متواضعاً ولا يكون سخياً، وأمّا رسول الله ﷺ فكان جامعاً للفضائل، محرزاً للمكارم، مشتملاً على أشتات المحامد.[١]

عبادته وخوفه من الله سبحانه :

فقد بلغ من عبادته ﷺ وخوفه من الله حداً لم يبلغه أحدٌ من الخليقة. وذلك أن الله تعالى كلّفه من وظائف العبادات مالم يكلف أحداً على الحقيقة، وهو مع ذلك لايقصّر في شئ منها، بل كان يبذل غاية اجتهاده، ووسعه في أدائها، فمن العبادات التي كلفه الله بها، تحمل أعباء الوحي ومشقة ثقله فلقد كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصّد عرقاً.

ولأجل هذا قال الله تعالى ﴿ إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾ [٢] وقال ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾[٣] ثمّ بعد قبول الوحي أمر بتبليغه وبيانه للناس والصبر على مايصيبه من أذى، وبعد ذلك أمر بالهجرة، فلمّا حلّ بالمدينة، افترض الله عليه القتال، فقاتل في ذات الله جميع من كفر بالله، غير مقصر في ذلك ولا مفرط، بل جاداً مجتهداً حتى أظهر الله دينه وكان مع هذا يصلي حتى تورمت قدماه الشريفتين وانتفخت وكان يصوم حتى يقول القائل لايفطر لكثرة صيامه ووصاله، وكان يذكر الله ويعظمه ويمجده ويشكره على كل أحواله من غير تقصير ولا فتور ولاتشغله عبادة عن عبادة ولا عمل زمان عن عمل زمان

---

(١) النبوة إصلاح تقتضيه رحمة الله - سعدي ياسين ١٢٩-١٣٠.

(٢) سورة المزمل / الآية ٥

(٣) سورة القيامة / الآية ١٨.

آخر، بل كان عمله دائماً [١] .

وأعظم مظاهر عبادته ﷺ أنه كان مسلماً وجهه إلى الله في جميع أحواله متجرداً إليه مخلصاً له العبادة كما قال تعالى ﴿ قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ [٢]

ومّما ورد في صلاته وقيامه وتأثره بالقرآن واستغفاره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ يقوم ويصلي حتى تنتفخ قدماه فيقال له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال: أفلا أكون عبداً شكوراً)[٣].

وعن عبد الله بن الشِّخِّير عن أبيه قال : (أتيت النبي ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل) [٤]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:(قال أبو بكر يارسول الله أراك شبت قال: شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت) [٥]

وكثيراً ماكان رسول الله ﷺ لايملك دموعه إذا قرأ القرآن أواستمع إليه، فقد قرأه

---

(١) الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والاوهام - القرطبي، ٣/٣١١ وما بعدها.

(٢) سورة الأنعام / الآية ١٦٢-١٦٣.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأعمالهم، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ٤/٢١٧٢ رقم ٢٨٢٠، وأخرجه النسائي في كتاب: قيام الله وتطوع النهار، باب: الأختلاف على عائشة في إحياء الليل، صحيح سنن النسائي - الألباني ١/٣٦١ رقم ١٥٥١، وأخرجه ابن ماجة في كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ماجاء في طول القيام في الصلوات، صحيح سنن ابن ماجة - الألباني ١/٢٣٩ رقم ١١٦٦ ، وأخرجه الترمذي في الشمائل المحمديّه، ص ٢٢٤ رقم ٢٥٠، إخراج وتعليق: محمد عفيف الزغبي ط ٢ ، دار المطبوعات، جدة: ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

(٤) أخرجه النسائي في كتاب: السهو، باب: البكاء في الصلاة، صحيح سنن النسائي - الألباني ١/٢٦٠ رقم ١١٥٦.

(٥) أخرجه الترمذي في أبواب: التفسير، باب: سورة الواقعة، صحيح سنن الترمذي- الألباني٣/١١٣ رقم ٢٦٢٧.

عليه يوماً عبد الله بن مسعود شيئاً من القرآن . واغرورقت عيناه بالدموع لشدة خشية لله وفرط إشفاقه ورأفته بأمته من خطر يوم القيامة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:(قال لي النبي ﷺ إقرأ عليّ القرآن، فقلت يارسول الله: أقرأ عليك القرآن وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾[1] قال : حسبك الآن فالتفتّ إليه فإذا عيناه تذرفان)[2]

وكان ﷺ يقول فيما يرويه الأغر بن يسار المزنيّ رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : (ياأيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة) [3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)[4] وكان يديم ذكر الله بل إنّه أثر عنه ﷺ أذكارٌ كثيرة تذكر عند الأكل والشراب والنوم والجماع وغيرها، وقد جمع رسول الله ﷺ في عبادته بين أرقى مراتب التعبّد، وبين القيام بقيادة أمته، فلو كان رسول الله ﷺ من النسّاك العاديين الذين انقطعوا للرهبانية لما كان في نسكه مايلفت النظر. فالجمع بين أرقى مراتب التعبّد وبين القيام بواجبات الحياة من أبرز صفات رسول الله وأخلاقه .[5]

---

(١) سورة النساء / الآية ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: قول المقرى للقارئ حسبك ٩/٩٤ رقم ٥٠٥٠ ، وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظة للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبّر ١/٥٥١ رقم ٨٠٠.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه ٤/٢٠٧٥ رقم ٢٧٠٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ١١/١٠١ رقم ٦٣٠٧.

(٥) للاستزادة انظر: مع الأنبياء في القرآن الكريم- عفيف عبد الفتاح طبارة، ٤٣١ وما بعدها.

صدقه :

لقد شهد لرسول الله ﷺ القاصي والداني من أقاربه، وأحبابه، ومن أعدائه وخصومه وكانت هذه الشهادة له قبل النبوة وبعدها:

تصديق أقاربه له :

ولعل من أقرب أقاربه له زوجه خديجة رضي الله عنها حيث دخل عليها رسول الله ﷺ وقد خشي على نفسه حينما بدأه الوحي فقالت له خديجة: (كلاً أبشر فوالله لايخزيك الله أبداً. والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق)[١]

تصديق خصومه وأعدائه له :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [٢] خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف «ياصباحاه»! فقالوا: من هذا الذي يهتف: قالوا: محمد، فاجتمعوا اليه فقال : يابني فلان! يابني عبد مناف! يابني عبد المطلب! فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدّقي؟ قالوا: ماجرّبنا عليك كذباً قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) ... الحديث [٣]

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ١/١٣٩ رقم ١٦٠.

(٢) سورة الشعراء / الآية ٢١٤.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وتب. ماأغنى عنه ماله وما كسب﴾ ١ - ٢ المسد ، ٧٣٧/٨ رقم ٤٩٧٢ ، وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب : الإيمان، باب: في قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ٢١٤ الشعراء، ١/١٩٣-١٩٤، رقم ٢٠٨.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن أباسفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدّة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفّار قريش فأتوه وهو بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ؟ فقال ابو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه منّي، وقرّبوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال: لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل، فإن كذبني فكذّبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبتُ عنه. ثم كان أوّل ماسألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا قال : فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت : لا قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت : بل ضعفاؤهم، قال:يزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت : لا قال: فهم كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال؟ قلت: لا قال: فهل يغدر؟ قلت : لا ونحن منه في مدّة لاندري ماهو فاعل فيها. قال ولم تُمَكنّي كلمة أدْخل فيها شيئا غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت : نعم. قال: فكيف كان قتالكم إيّاه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منّا وننال منه. قال: ماذا يأمركم ؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا مايعبد آباؤكم. ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال أحد ما منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا. فقلت لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله لقلت رجل. يأتي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم

ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أن يزيدون وكذلك أمر الإيمان حين يتم، وسألتك أيرتدّ أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لاتغدر، وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ماتقول حقاً فسيملك موضع قدميّ هاتين. وقد كنت أعلم أنّه خارج لم أظنّ أنه منكم، فلو أنّي أعلم أنّي أخلص إليه لتجشّمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.)[1]

▢ تواضعه :

وأمّا تواضعه ﷺ على علو منصبه، ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعاً، وأبعدهم عن كبر، وحسبك: أن الله ميّزه بين أن يكون نبيّاً ملكاً، أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً.[2]

وصفته التواضع قبل أن يتّصف بها حاكم واتت له سلطة واستلم مقادير الأمور، خصوصاً في الأزمنة الماضية حيث كان الكبر القاعدة والسمة البارزة لحكام الأرض، بخلاف مااتسم به محمد ﷺ لنبوته ورجحان عقله، فكان التواضع أبرز صفاته وكان من أهداف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، ١/٣١-٣٢ رقم ٧، وأخرجه مسلم في كتاب : الجهاد والسير، باب: كتاب النبي ﷺ الى هرقل يدعوه إلى الإسلام رقم ١٧٧٣، ٣/١٣٩٣-١٣٩٥هـ. للاستزادة انظر: الجواب الصحيح لم بدل دين المسيح - ابن تيمية ٤/٣١٦ وما بعدها، دلائل التوحيد- محمد جمال الدين القاسمي ١٧٠ وما بعدها، علامات النبوة - عبد الملك الكليب، ٣٢ ومابعدها، الإيمان - عبد المجيد الزنداني وآخرون ١٢١ وما بعدها.

(٢) الأعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام - القرطبي ٣/٣٠١.

رسالته القضاء على نزعة الكبرياء المنتشرة في العالم فكثيراً ماكان يعظ قومه ﷺ ويقول: (لن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[١]

وعن الأسود رحمه الله قال سألت عائشة رضي الله عنها ماكان رسول الله ﷺ يصنع في أهله؟ فقالت :

كان يكون في أهله . قال: يعني في خدمة أهله -واذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة) [٢] وعن هشام عن أبيه قال: سأل رجل عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت : نعم، كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته)[٣]

وعن أنس رضي الله عنه قال : مرّ رسول الله ﷺ على صبيان فسلّم عليهم [٤]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ امرأة كان في عقلها شيء، فقالت : يارسول الله إنّ لي إليك حاجة فقال: ياأمّ فلان انظري أي السكك شئت، حتى أقضي لك حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق [٥] حتى فرغت من حاجتها[٦]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول على المنبر: لاتطروني

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب: تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١ ، رقم ٩١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان، باب: من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج ١٦٢/٢ رقم ٦٧٦.

(٣) أخرجه الامام أحمد في المسند ١٢١/٦ رقم ٢٤٩٤٧

وفي ٢٦١/٦ رقم ٢٥٣٨٠

وفي ٢٦٠/٦ رقم ٢٦٢٨٢ . وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣٢٨/١-٣٢٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الإستئذان، باب: التسليم على الصبيان ٣٢/١١ رقم ٦٢٤٧.

(٥) أي وقف منها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل ، باب: قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به ١٨١٢/٤ -١٨١٣ رقم ٢٣٢٦.

كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنّما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله) [١].

وجاءه رجل يرتعد يوم فتح مكة فقال له رسول الله ﷺ: (هوِّن عليك فإني لست بملك، إنّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد) [٢]

□ **عفوه وحلمه :**

كان رسول الله ﷺمطبوعاً على الحلم والعفو مع القدرة على الانتقام أو المحاسبة ممتثلاً أوامر ربه ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾[٣]

ويفهم من هذه الآية أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك، لأنك إذا وصلت من قطعك فقد عفوت عنه، وإذا آتيت من حرمك فقد آتيت بالمعروف، وإذا عفوت عمن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهلين[٤]

﴿ وما انتقم رسول الله لنفسه في شيء قط إلاّ أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله ﴾[٥]

وحلمه ﷺوسع من أن يحاط بجوانبه، ولولا هذا الحلم مااستطاع أن يسوس شعباً كالعرب يأنف أن يطيع أوينصاع أو يجرح ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ [٦]

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ...﴾ ١٦ مريم ٤٧٨/٦ رقم ٣٤٤٥.

(٢) القديد : اللحم المجفف، وقد سبق تخريجه في ص ١٤٢.

(٣) سورة الأعراف / الآية ١٩٩.

(٤) مع الأنبياء في القرآن- عفيف طبارة ٤٢٨

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ ٥٦٦/٦ رقم ٣٥٦٠، وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: مباعدته ﷺ للآثام ١٨١٣/٤ رقم ٧٧.

(٦) سورة آل عمران / الآية ١٥٩ انظر: الرسول - سعيد حوى ١٤٨/١.

وعن أنس رضي الله عنه قال:(كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بردٌ نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته. ثم قال : يامحمد مرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء)(١)

وعن أنس رضي الله عنه أنّ امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك؟ فقالت: أردت لأقتلك. قال: ماكان ليسلطك على ذاك. قالوا: ألا تقتلها ؟ قال: لا قال: فما زلت أعرفها في لهوات(٢) رسول الله ﷺ)(٣)

وهناك مواطن يفقد فيها الرحماء رحمتهم ولكنّ رسول الله ﷺ لاتفارقه رحمته فقد أوذي وضرب واضطهد من قومه، ويوم فتح الله له مكة قال: يامعشر قريش، ماترون أن فاعل بكم، قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال : فإني أقول لكم كما قال يوسف لأخوته ﴿لاتثريب عليكم اليوم...﴾(٤) اذهبوا فأنتم الطلقاء (٥)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فرض الخمس، باب: ماكان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم، ٦/ ٢٥١، رقم ٣١٤٩، وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: إعطاء من سأل بفحش وغلظه ٢/ ٧٣٠- ٧٣١رقم ١٠٥٧.

(٢) جمع لهات وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك، وقوله (فما زلت أعرفها) أي العلامة، كأنّه بقي للسم علامة وأثر من سواد أو غيره.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الجزية، باب: إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم ٦/ ٢٧٢ رقم ٣١٦٩، وأخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: السم ٤/ ١٧٢١ رقم ٢١٩٠.

(٤) سورة يوسف / الآية ٩٢

(٥) انظر : السيرة النبوية - ابن هشام ٤/ ٥٤ وما بعدها، الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري ٣٩٠، الرسول - سعيد حوى ١٤٣.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم مقسماً، أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم: فقال يارسول الله! إعدل. قال رسول الله ﷺ «ويلك ومن يعدل إن لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أعدل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يارسول الله إئذن لي فيه اضرب عنقه، قال رسول الله ﷺ دعه ...»[١].

□ جوده وكرمه :

لقد كان جود رسول الله ﷺ وكرمه من شيمته، فلقد تواتر أنه كان أكرم الناس وأجودهم حتى أنّه ماسئل قط شيئا فمنعه إذا كان ذلك الشيء المسئول مّا لايمنع شرعاً [٢]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود مايكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. قال : فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة)[٣]

وعن أنس رضي الله عنه قال: «ماسئل رسول الله ﷺ على الاسلام شيئاً إلاّ أعطاه. قال فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين[٤] فرجع إلى قومه، فقال: ياقوم أسلموا فإنّ محمداً يعطي عطاء لايخش الفاقه» فقال أنس : إن كان الرجل ليسلم مايريد إلاّ الدنيا .. فما يُسلم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الاسلام ٦/٦١٧-٦١٨ رقم ٣٦١٠، وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/٧٤٤ رقم ١٠٦٤، للاستزادة انظر: إحياء علوم الدين- أبو حامد الغزالي المجلد الثالث، الجزء السابع، ص١٣٨-١٤٠، مع الأنبياء في القرآن - عفيف طبارة ١٤٨ وما بعدها، الرسول - سعيد حوى ١/١٤٥-١٤٨.

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام - القرطبي ٣/٣٠٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ١/٣٠ رقم ٦.

(٤) أي كثيرة كأنّها تملأ مابين جبلين.

حتى يكون الاسلام أحبّ إليه من الدنيا وما عليها)[١] وعن ابن شهاب قال : غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة. ثم خرج رسول الله بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين. فنصر الله دينه والمسلمين. وأعطى رسول الله يومئذ صفوان بن أميّة مائة من النّعم ثم مائة ثم مائة.

قال ابن شهاب : حدثني سعيد بن المسيب أنّ صفوان قال: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ماأعطاني وإنّه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحبّ الناس إليّ)[٢]

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: بينما كنت أسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفلة من حنين، فعلقت الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف النبي ﷺ فقال: أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العِضاه نَعماً لقسمته بينكم، ثم لاتجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً)[٣]

▢ ترفّعه عن الأغراض الشخصيّة :

إنّ من أبرز الأدلّة العقلية على صدق نبوة محمد ﷺ هو: تحليّه بهذه الصفة العظيمة التي أبرزت جانباً رفيعاً من حياته، فإنّ الكثير من الأدعياء ومن الدعاة وغيرهم يرغبون في الحصول على متاع الدنيا أيّاً كان من منصب أو جاه أو مال أو غيره، وإن لم يطلبوها مباشرة، كحال أيّ من البشر التي ترغب في الحصول على هذا المتاع الذي به حياة البدن بخلاف ماكان عليه المصطفى ﷺ فإنّه كان متجرداً من الدنيا وزخرفها بل إن الدنيا جاءته

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: ماسئل رسول الله شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه ١٨٠٦/٤ رقم ٢٣١٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: ماسئل رسول الله شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه ٤/ ١٨٠٦ رقم ٢٣١٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: الشجاعة في الحرب والجبن ٣٥/٦ رقم ٢٨٢١

وهي راغمة، وأنفقها في سبيل الله، وكان أكثر مايخاف على أمّته من الدنيا، لاسيّما التنافس فيها، بل كان يجلس الشهر ولم يوقد في بيته نارٌ، وكان يعيش ﷺ على الأسودين، التمر والماء، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنْ كنّا آل محمد لنمكث شهراً مانستوقد ناراً إن هو إلاّ التمر والماء »[1] بل لقد ثبت ماهو أدقّ من ذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه : أنّه مرّ بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه، فأبى أن يأكل. قال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من الخبز الشعير)[2]، وفي هذا دليلٌ واضحٌ على أنه يختلف عن رغبات البشر لاسيّما من تولّوا زعامة الأمم، فإنّ حياة الترف تغطي معيشتهم بل كان حداؤه في دعوته لقومه دائماً ماجاء في قول الله تعالى : ﴿ قل ماأسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾[3] وكما قال تعالى : ﴿ قل ماسألتكم من أجر فهو لكم، إن أجري إلاّ على الله وهو على كل شئ شهيد﴾ [4] فقد أمر الله أن يعلن على الملأ بأنه لايريد من قومه جعلاً ولا عطاء ولا مرتباً على أداء رسالة الله إليهم، وقيامه بنصحهم، وأمرهم بعبادة الله وأن ثوابه على ذلك من عند الله وحده لامن عند أحد سواه، قال سيد قطب: أي خذوا أنتم الأجر الذي طلبته منكم وهو أسلوب فيه تهكم. وفيه توجيه. وفيه تنبيه، فإنّ أجري على الذي كلفني فهو يأجرني فإنّ الذي عند الناس هين وزهيد وهزيل لايستحق التفكير)[5] وقد عرض على رسول ﷺ المال والشرف والسيادة وأجمل النساء، مساومة ليترك دينه ودعوته لكنّه أبى لأنّه ليس دعيًا بل نبيًا رسولاً، قال ابن اسحاق: حدثني يزيد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، ٢٢٨٢/٤ رقم ٢٩٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأطعمة، باب: ماكان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون ٥٤٩/٩ رقم ٥٤١٤.

(٣) سورة ص / الآية ٨٦.

(٤) سورة سبأ / الآية ٤٧.

(٥) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب ٢٩١٥/٥.

بن زياد عن محمد بن كعب القرظيّ قال: حدثت أنّ عتبة بن ربيعة وكان سيّداً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالساً في المسجد وحده: يامعشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها. فنعطيه أيّها شاء ويكفّ عنّا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أنّ أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى ياأبا الوليد قم إليه فكلمه، فقام إليه عقبة حتى جلس إلى رسول الله فقال: ياابن أخي، إنّك منّا حيث قد علمت من السّطة)[1] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال له رسول الله: قل ياأبا الوليد. أسْمع، قال: ياابن أخي، إن كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا، حتى لانقطع أمراً دونتك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا[2] تراه لاتستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطبّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه، فإنه ربّما غلب التابع)[3] على الرجل حتى يداوي منه أوكما قال له . حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أقد فرغت ياأبا الوليد؟ قال :نعم، قال: فاسمع منّي، قال أفعل. فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم . تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون. وقالوا قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه)[4]

---

(١) السّطة : الشرف.

(٢) الرئي : مايترا ءى للإنسان من الجن.

(٣) من يتبع من الجن .

(٤) سورة فصلت / الآية ١-٥.

ثم مضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه فلمّا سمعها منه عتبة أنْصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد. ثم قال: قد سمعت ياأبا الوليد ماسمعت فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ماوراءك ياأبا الوليد؟ قال: ورائي أنّي قد سمعت قولاً والله ماسمعت مثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يامعشر قريش أطيعوني، واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم، وإن يظهره على العرب فملكه ملككم وعزّه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله ياأبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا مابدا لكم)[1]

بل إنّ رسول الله ﷺ لم يكتف بردّ تلك العطايا والمساومات الماديّة بل حرص على اجتذاب أبي الوليد ودعوته، وهذه من أخصّ سمات الأنبياء والمرسلين.

(١) السيرة النبوية - ابن هشام ٣١٣/١-٣١٤.

الرحيق المختوم- صفي الرحمن المبار كفوري ١٠٣-١٠٤.

مختصر سيرة الرسول ﷺ - عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ١٢٣-١٢٤.

المبحث الثالث

الأدلة العقلية على صحة الرسالة

لقد أقمنا الأدلة العقلية وغيرها في المبحثين المتقدمين الأول والثاني على وجود الله تعالى، وعلى صدق نبوة نبينا محمد ﷺ، وتبينّ هناك أنّ هذا الكون ينطق بوجود الله تعالى وأنّ الفطرة الإنسانية هديت إلى ذلك، فكل سبب لابد أن يكون من ورائه مسبب له، والله سبحانه وتعالى هو الذي سبب الأسباب وخلق الخلق وهداهم الهدايتين، فمنهم من هدي الهداية الكونية القسرية، ومنهم من هدي الهداية الشرعية الدينية وإذا قام الدليل على الايمان بوجود الله تعالى المستحق للعبادة، وعلى صدق نبوة محمد ﷺ لزم عليه ضرورة الإيمان بصحة رسالته ﷺ، إذ كل نبي يأتي بكتاب من عند ربه، هو وحي ومنهج ودستور يقيم عليه حياة الناس الذي سيدعوهم إلى الله عز وجل وأصول رسالة نبينا محمد ﷺ تقوم على أصلين هما:

أ- القرآن الكريم.

بكل ماتضمنه من أخبار وأحكام، من أوامر ونواهي

ب- ماصح من السنة المطهرة.

من أقوال وأفعال وتقريرات وصفات خلقيه أو خلقيه له ﷺ.

جـ- ماصحَّ من السيرة العطرة

من أحواله ﷺ مع نفسه، ومع أهله ومع قومه ومع الناس أجمعين، في أكله وشربه وطعامه وزواجه وحياته ونفقته وجهاده وغزواته وسراياه ورسله وكتبه وأمرائه ... الخ والتصديق برسالة محمدﷺ تستلزم ضرورة تصديقه فيما أخبر واتباعه فيما أمر، واجتناب مانهى عنه وزجر وتقتضي التسليم المطلق والتام لماجاء به دون حرج أوضعف أو كثرة مناقشة أو جدال أو تعقيب أو أخذ لبعض وترك للبعض الآخر، فإن هذا ممّا يناقض مقتضى

الايمان به ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾[١]﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[٢] ﴿ وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا...﴾[٣]

وسأذكر بعضاً من الأدلة العقلية على صحة الرسالة:

الدليل الأول : لان الرسالة ربانية ويدخل تحت هذا أمور منها:

١- حكم القران بأنّه من عند الله تعالى:

تشير نصوص القرآن الكريم في مواطن عديدة إلى أن القرآن من عند الله تعالى وليس من عند محمد ﷺ ولا من عند أحد من الخلق، ولم يدع مدع في يوم من الأيام أن القرآن من عنده بل هو من عند الله أنزله على قلب محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام كما قال تعالى ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾[٤] وقال تعالى ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾[٥] أي أن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم أي ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر وهو جبريل فهو ذو قوة ومطاع في السموات فهو من سادات أشراف الملائكة لذلك انتخب لهذه الرسالة العظيمة وهو أمين على حمل الرسالة [٦] وهذه الرسالة التي حملها جبريل عليه السلام وكان واسطة بين الله وبين عبده ورسوله محمد ﷺ، كان دور محمد مبلغاً عن الله ووحي له وداعية لقومه، نبيا ورسولاً ﴿... إن

---

(١) سورة آل عمران/الآية ١٣٢

(٢) سورة آل عمران/الآية ٣١.

(٣) سورة الحشر/الآية ٧.

(٤) سورة النمل/ الآية ٦.

(٥) سورة التكوير/ الآية ١٩-٢١.

(٦) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير٤/ ٤٧٩ - ٤٨٠.

هو إلا وحي يوحى﴾[1] وقال تعالى ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى رحمة وبشرى للمسلمين﴾[2] وقال تعالى ﴿وإنه لتنزيل ربّ العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾[3] وقال تعالى ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾[4] وقال تعالى ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾[5] وقوله ﴿تنزيل الكتاب لاريب فيه من ربّ العالمين﴾[6] وقد أخبر الله سبحانه أنّ القران منه، وأنه لوكان من عند غيره لحدث فيه اختلاف وتناقض كثير وكبير، قال تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن. ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا﴾[7] وهذه الرسالة التي هي من عند الله وكانت وحياً إلى محمد ﷺ هي الاسلام وهو الاستسلام والانقياد لله والتوجّه له وحده والكفر بماسواه قال تعالى : ﴿إنّ الدين عند الله الإسلام﴾[8] وقال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[9]

---

(١) سورة النجم / الآية ٤.

(٢) سورة النحل / الآية ٨٩.

(٣) سورة الشعراء / الآية ١٩٢-١٩٥.

(٤) سورة ابراهيم / الآية ١.

(٥) سورة الحجر / الآية ٨٧.

(٦) سورة السجدة / الآية ٢.

(٧) سورة النساء / الآية ٨٢.

(٨) سورة آل عمران / الآية ١٩.

(٩) سورة آل عمران/ الآية ٨٥.

للإستزادة انظر: ١- خصائص التصوّر الاسلامي ومقوماته - سيد قطب ٤٣-٧١ ط٨، دار الشروق بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢- الخصائص العامة للإسلام - د. يوسف القرضاوي ٩-٥٦.

٢- عدم نسبة محمد ﷺ القرآن إلى نفسه أبداً.

وبالاضافة إلى أنّ القران الكريم قد حكم بأنه من عند الله تعالى، فإنّ رسولنا محمدا ﷺ. لم يدّع ولم ينسب هذا القرآن لنفسه لاعتبارات كثيرة، من أهمها:

أ- لأنّه اتصف بالصدق قبل النبوة وبعدها، حتى أنَّ صفة الصدق كانت بارزة من بين صفاته التي عرفه قومه بها قبل بعثتة، فكانوا لايسمونه إلاّ الصادق الأمين، ولذلك احتاروا في هذا القران الذي جاء به فإنه يخالف قول الكهان والشعراء والكذبة، وقائله محمد، الصادق الذي لايعرف عنه الكذب ولا السوء فقد شجعته زوجته خديجة رضى الله عنها حينما أخبرها بما جاءه من الوحي فقالت: (كلا والله لايخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحملُ الكلّ وتكسب المعدوم وتقرء الضيف وتعين على نوائب الحق)[1] ولقد شهد له خصومه بصدقه فحينما جمعهم على الصفا وقال لهم: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا: ماجربنا عليك كذباً .....)[2]

وقد ازداد صدقه وتحملةً بمكارم الاخلاق وأحسنها حينما ألبسه ربّه ثوب النبوة وكساه برداء الرسالة فقال الله سبحانه عنه مادحاً له ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[3]

ب- ولأنّه يعرف مايترتبّ على هذه النسبة أو هذا الإدعاء من الويل الشديد والعذاب الأليم ﴿ تنزيل من رب العالمين . ولو تقّول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين

---

(١) سبق تخريجه ص ١٤٦.

(٢) سبق تخريجه ص ١٤٦.

(٣) سورة القلم / الآية ٤.

ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾[١] فلوكان محمد ، ﷺ كما يزعم بعض الجاهليين مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة، فنبطش به ونقطع نياط قلبه أي عروق قلبه ومايقدر أحد أن يقف حاجزاً أمام عذاب الله وسخطه، لكن محمداً هو الصادق البارّ الراشد المؤيد بالبراهين والمعجزات والدلالات القاطعات[٢]

بل كان ديدن رسول الله ﷺ أنّه يعلن بشريّته أمام الملأ وأنه لايفرق عن غيره إلاّ بالوحي من الله تعالى ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي آنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً ﴾[٣]

وقوله تعالى ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أوبدّله قل مايكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتبع إلاّ مايوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾[٤] وكان ﷺ يتلقى من ربه أنّ من أبرز أعماله أن يتلو القرآن على قومه، وأمتّه وأن يدعوهم إلى مافيه كما قال تعالى ﴿واتل ماأوحي إليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا﴾[٥]

جـ- ولأنه ﷺ كان أمياً لايعرف القراءة ولا الكتابة فهل يعقل أن يأتي أمي بمثل هذا القرآن العظيم الذي بلغ أشد مبلغه، والذي لواجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله فلن يستطيعوا ولو تعاونوا على ذلك وهيأوا كل إمكاناتهم وقدراتهم قال تعالى:

---

(١) سورة الحاقة/ الآية ٤٣ -٤٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٤١٧/٤ بتصرف.

(٣) سورة الكهف/ الآية ١١٠.

(٤) سورة يونس./ الآية ١٥

(٥) سورة الكهف /الآية ٢٧.

﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾(١) فلا يعقل أن يأتي رجل أمي بهذا النظام العالمي الشامل الذي يعجز البشر جميعاً من لدن آدم وإلى قيام الساعة عن الإتيان بمثله قال تعالى ﴿ وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطّه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾(٢) وقد كانت أمية محمد ﷺ دليلاً على صدقه وعلى صحة رسالته ليكون ذلك أكبر تأثيراً في النفوس وأزكى في العقول ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾(٣)

٣-اتصاف القرآن بصفات الكمال وخلوه من النقائص:

لأن النقائص من صفات البشر، وأما صفات الخالق سبحانه فهي صفات الكمال المطلق والتي تليق بجلاله سبحانه، والقرآن جزء من كلام الله، وكلام الله صفة من صفاته، والقول في الصفات فرع عن القول في الذات فالله سبحانه يمتاز عن خلقه في ذاته، فهو الاول ليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء وهو الظاهر فليس فوقه شيء وهو الباطن فيس دونه شيء وكذا صفاته فهي تليق بجلاله لاتشبه صفات المخلوقين، وكمال الله المطلق يظهر فيما يشرعه من أحكام ومناهج وقواعد ومنها ماورد في القرآن، بخلاف مايصنعه الانسان ويقننه فإنه لاينفك عن معاني النقص من الهوى والجهل والجور، لأنّ هذه المعاني لاصقة بالبشر ويستحيل تجرّدهم عنها كل التجرد وبالتالي تظهر هذه النقائص في القوانين والشرائع

(١) سورة الاسراء / الأية ٨٨.

(٢) سورة العنكبوت / الأية ٤٨

(٣) سورة الجمعة / الأية ٢

للإستزادة انظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم - د. زاهر الالمعي ٢٨٣ ومابعدها.

التي يضعها البشر.[١]

ولقد مضى على هذا القرآن أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان وهو يتجددً، ويظهر فيه كل يوم لون من المكتشفات العلمية الحديثة والتي أشار اليها هذا القران العظيم الذي لاتشبع منه العلماء كما ورد ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : ستكون فتن كقطع الليل المظلم. قلت يارسول الله وماالمخرج منها؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم وخبرما بعدكم وحكم مابينكم، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضلهُ الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لاتزيغ به الأهواء ولاتلتبس به الألسنة ولاتتشعب معه الآراء ولايشبع منه العلماء ولايملهُ الأتقياء ولايخلق على كثرة الردّ ولاتنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجباً، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)[٢]

وهذا القرآن العظيم الذي يحتوي على هذا الخير العظيم لم نجد فيه حكماً أو تشريعاً أوقصة تخالف الحقيقة والواقع، بالرغم من ورود مئات السنين على نزول القرآن على محمد ﷺ ، فلوكان هذا القرآن من نتاج بشري لظهر عليه محلوظات أو أخطاء كما هو الحال فيما يضعه البشر، فمع تقدم العلم والمعرفة ووجود الكثير من المكتشفات والمخترعات يتبين بطلان أو تعديل ماقاله البشر سابقاً فيعدل أو يبدّل كلياً وينقض، وأما ماتكلم الله به فهو

(١) أصول الدعوة - د. عبد الكريم زيدان ٥٥ بتصرف.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب: فضائل القرآن، ضعيف سنن الترمذي - الالباني ٣٤٨ - ٣٤٩ رقم ٥٥٤.

دستور مبين تكفل الله ببقائه، يحمل مقومات حياته وإعجازه إلى قيام الساعة[١]

٤- عتب القرآن في بعض آياته وتوجيهه للنبي ﷺ حينما يخالف الأولى:

هناك بعض الآيات التي عاتب الله فيها نبيه ﷺ على بعض أمور حدثت منه، وكان القول يجيئه على غير مايحبّه ويهواه، فيخطئه في الرأي يراه ويأذن له في الشيء لايميل إليه، فإذا تلبثّ فيه يسيراً تلقاه القران بالتعنيف الشديد والعتاب القاسي حتى في أقل الأشياء خطراً، لأن الله اصطفاه على البشر قاطبة وجعله خاتم الرسل وسيد ولد آدم، وأفضل أولي العزم من الرسل، فلو كان القرآن من عند محمد ﷺ لما أعلن عن هذه الآيات التي فيها شيء من العتاب، بل لربما سكت عنها وستر على نفسه، ولكنها سجلت كغيرها من الآيات قرآنا يتلى إلى قيام الساعة وذلك مثل :

أ- الآيات الخاصة بأسرى بدر ﴿ ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾[٢]

ب- الآيات الخاصة في زواج النبي ﷺ بابنة عمتة زينب بنت جحش رضي الله عنها والتي كانت تزوجت فيما مضى بزيد بن حارثة رضي الله عنه. ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ماالله مبديه

---

(١) وللاستزادة انظر : وجود الله والنبوة - خالد الرفاعي ص ١٣٧ بتصرف.

(٢) سورة الانفال / الآية ٦٧-٦٨.

وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ....﴾[١]

جـ- الآيات الخاصة بعبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه ذلكم الرجل الأعمى ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى ومايدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى. أمّا من استغنى فأنت له تصدى وماعليك ألاّ يزكي وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى ...﴾[٢]

د- الآيات الخاصة في عفوه ﷺ للمتخلفين المعتذرين عن المشاركة في غزوة تبوك:

﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾[٣]

هـ - الآيات الخاصة في استغفار النبيﷺوبعض المؤمنين للمشركين ﴿ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ماتبين لهم أنّم أصحاب الجحيم ﴾[٤] .

و- الآيات الخاصة في تحريمه ﷺ بعض ماهو حلال له ﴿ياأيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك...﴾[٥]

يقول الاستاذ / محمد عبد الله دراز : أرأيت لوكانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بداله خلاف مافرط من رأيه، أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع ؟ ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه واستبقاء لحرمة آرائه؟ بلى إنّ هذا القرآن لوكان يفيض عن وجدانه لكان

---

(١) سورة الاحزاب / الأية ٣٧.

(٢) سورة عبس / الأية ١-١٠.

(٣) سورة التوبة / الأية ٤٣.

(٤) سورة التوبة / الأية ١١٣.

(٥) سورة التحريم / الأية ١.

يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئاً من ذلك الوجدان.

ولو كان كاتماً شيئاً لكتم أمثال هذه الآيات ولكنه الوحي لايستطيع كتمانه ﴿وماهو على الغيب بضنين﴾[١] ﴿ ياأيها الرسول بلغ مـأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ...﴾[٢]

وإن هذا التأنيب القرآني لمحمد ﷺ والتشهير الذي سبق لمن قوارع القول مّما يتحاشاه الناس في فطرتهم وخاصة ممن يتصدون لقيادة الناس وحكمهم !

حيث يحاولون دائماً أن يخفوا عيوبهم عن أتباعهم باختلاق الأعمال الفاضلة لهم ليحيطوا أنفسهم بهالات من المكانة لايصل إليها غيرهم من الناس، يختلقون المعاذير لأخطائهم ويسترون مايستطيعون من انحرافاتهم وماذاك إلاّ لتبقى مكانتهم محفوظة عند أتباعهم فيرون فيهم الكمال في الأخلاق والخوارق في الأعمال.

إنه لوكان القران الكريم من وضع محمد ﷺ لفعل كما يفعل الناس، وكان القرآن كتاب مدح لمحمد ﷺ، وتثبيت وتقرير لأعماله، ولما رأينا فيه أيّ تنبيه لأخطائه[٣].

٥- وردت بعض المواقف المحيرة للنبي والتي تتطلب إجابة لسؤال، أوحلاً مباشراً لقضية أو مشكلة معينة، فيعجز الرسول ﷺ عن الاجابة أو عن تقديم الحلول العاجلة لها ، ممّا يدل على أنّ القرآن الكريم ليس منه بل من لدن حكيم خبير، ومن الأمثلة مايلي:

---

(١) سورة التكوير / الآية ٢٤.

(٢) سورة المائدة /الآية ٦٧ انظر النبأ العظيم - د. محمد عبد الله دراز ٢٤-٢٦، خصائص الدعوة الاسلامية - محمد أمين حسن ٤٧-٤٨.

(٣) وجود الله والنبوة - خالد الرفاعي ١٣٧.

أ- حادثة الإفك

فقد أرجف المنافقون في غزوة بني المصطلق حينما تأخرت عائشة رضي الله عنها عن اللحاق بالركب بأنها فعلت الفاحشة مع صفوان بن المعطل السلمي الذي حملها ثم جاء بها لاحقاً للركب، وقد تولى عبد الله بن أبيّ بن سلول كبر هذه الشائعات في حق بيت رسول الله ﷺ، بل في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق وقد أبطأ الوحي مدة شهر ولم ينزل مؤيدا لهذه الشائعة أو نافياً لها مبرأ لعائشة رضي الله عنها وقد أسقط في يد المصطفى ﷺ حينما اتهمّ في عرض بيته حتى إنه ﷺ استشار مجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم منهم ابوبكر وعمر وعلي وحسان بن ثابت وأسامة بن زيد وغيرهم، وقد استفسر من بريرة وكانت امرأة ملازمة لعائشة رضي الله عنها ولما لم يتبين للمصطفى شيء من صدق هذه الشائعة وهذا الارجاف في أهل بيته، فوض أمره إلى الله شهراً كاملاً حتى نزل قوله تعالى :﴿ إنّ الذين جآءو بالإفك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم مااكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم .... ﴾[1] فلما نزل الوحي على رسول الله بهذه الآيات قال : أبشري ياعائشة أما الله فقد برأك)[2]

فماذا كان يمنعه لوأن أمر القران إليه أن يقول هذا الكلمة الحاسمة من قبل ليحمي بها عرضه ويذب بها عن عرينه وينسبها إلى الوحي السماوي لتقطع ألسنة المتخرصين؟ ولكنه

---

(١) أنظر الآيات من سورة النور/ الآية ١١-٢٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿ لولا إذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا ﴾١٦النور ٨/٤٥٢-٤٥٥رقم ٤٧٥٠.

وأخرجه مسلم في كتاب: التوبة، باب : في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ٤/٢١٢٩-٢١٣٧ رقم ٢٧٧٠.

ماكان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى"[١]

ب- سؤال اليهود عن الروح:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قا: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكىء على عسيب - إذ مّر اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال مارابكم إليه - وقال بعضهم لايستقبلكم بشيء تكرهونه - فقالوا سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يردّ عليهم شيئاً، فعلمت أنّه يوحى إليه، فقمت مقامي. فلما نزل الوحي قال ﴿ ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي، وماأوتيتم من العلم إلاّ قليلاً ﴾[٢]

فإنّ الرسول ﷺ لم يجب على هذا السؤال مباشرة، فقد انتظر الوحي الذي أخبره بالإجابة عما كان يجهله، إضافة إلى أن الاجابة كانت بعدم العلم البشري لحقيقة الروح وكنهها، ووكل العلم الحقيقي للروح إلى الله تعالى، الذي لاتخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء"[٣]

جـ - سؤال قريش عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح.

فقد سأل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط رسول لله ﷺ عن ثلاث وقد أخذ هذه الأسئلة من أحبار يهود بالمدينة وقالت اليهود لقريش: إذا أخبركم بذلك فاتبعوه، فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فاصنعوا في أمره مابدا لكم، فجاء رسول الله ﷺ وسألاه عن

---

(١) للإستزادة انظر: النبأ العظيم - د.محمد عبد الله دراز ٢٣ ومابعدها.

(٢) سورة الاسراء / الآية ٨٥، والحديث أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿ ويسألونك عن الروح... ﴾ ٨٥ الإسراء، ٤٠١/٨رقم ٤٧٢١ .

وأخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: سؤال اليهود النبي عن الروح ٢٥٢/٤ رقم ٢٧٩٤.

(٣) انظر الجامع لاحكام القرآن - القرطبي ٣٢٣/١٠.

فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصّة عجب، وعن رجل كان طوافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وعن الروح ماهي؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم بماسألتم عنه غداً ولم يستثن[1] فانصرفوا عنه. فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لايحدث الله إليه وحياً ولايأتية جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد، غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لايخبرنا بشيء مّا سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشقّ عليه مايتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عليه السلام بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ماسألوه عنه من أمر الله: الفتية، والرجل الطواف، والروح وقال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام حين جاءه : لقد احتبست عنّي ياجبريل حتى سؤت ظناً فقال جبريل: ﴿ ومانتنزل الأ بأمر ربك له مابين أيدينا وماخلفنا ومابين ذلك وما كان ربك نسيّاً ﴾ [2] فلو كان القرآن من محمد ﷺ لم يمكث خمس عشرة ليلة ولم يجب على هذا السؤال الذي جعل القاصي والداني يتحدث به حتى كثر المرجفون بعجز محمد ﷺ وأنه يتقوّل، ولكن محمداً ﷺ كان ينتظر وحي ربّه سبحانه وتعالى ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾[3]

٦- نداء القرآن الكريم لمحمد ﷺ بقل:

كثيراً ماينادي القرآن الكريم محمداً ﷺ على أنّه مخاطب، فلو كان القران من عند محمد ﷺ لما جاز لغة أن ينادي المتكلم والمتحدث وهو محمد نفسه بأدوات المخاطب والمنادي، فإن ذلك لايستساغ ولايطاق وقد نودي وخوطب نبينا محمد، ﷺ في عشرات

---

(١) أي لم يقل: إن شاء الله.

(٢) سورة مريم/ الآية ٦٤، انظر: السيرة النبوية - ابن هشام ١/ ٣١٥-٣٢٤.

(٣) سورة البروج/ الآية ٢١-٢٢

الآيات من ربه ليوجه ذلك الخطاب إمّا إلى المؤمنين الصادقين وإمّا إلى الكافرين وإمّا إلى المنافقين وإمّا إلى أهل الكتاب وإمّا إلى الناس جميعاً والأمثلة على ذلك كثيرة جداً في القران الكريم ومنها:

خطابه للمؤمنين في مثل قوله: ﴿ قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾(١) وقوله ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾(٢)

وقوله ﴿ يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ...﴾(٣) وقوله ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ﴾(٤)

خطابه للكافرين في مثل قوله : ﴿ قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولانفعاً .. ﴾(٥) وقوله ﴿ قل ياأيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون ﴾(٦)

وقوله ﴿ قل إنّما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون ﴾(٧)

وقوله ﴿ قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾(٨)

إخباره للمنافقين في مثل قوله :﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا

---

(١) سورة الانعام / الآية ١٦٢.

(٢) سورة الانعام / الآية ٣٢.

(٣) سورة الأنفال/ الآية ١

(٤) سورة النور/ الآية ٣٠.

(٥) سورة المائدة / الآية ٧٦.

(٦) سورة الكافرون/ الآية ١-٢ .

(٧) سورة الانعام / الآية ١٩.

(٨) سورة يونس/ الآية ٣٤.

قد كفرتم بعد إيمانكم ... ﴾[1] وقوله: ﴿ يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إنّ الأمر كلّه لله يخفون في أنفسهم مالايبدون لك يقولون لوكان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا. قل لوكنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ...﴾ [2]

وقوله: ﴿ قل استهزؤا إنّ الله مخرج ماتحذرون﴾[3]

إخباره عن أهل الكتاب في مثل قوله: ﴿ قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ماتعملون ﴾ [4].

وقوله ﴿ قل ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق...﴾[5]

وقوله: ﴿ قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾[6]

وقوله: ﴿ قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ... ﴾[7]

إخباره عن الناس جميعاً في مثل قوله :﴿ قل ياأيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله...﴾ [8]

وقوله ﴿ قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ... ﴾[9]

وقوله ﴿ قل ياأيها الناس إنّما أنا لكم نذير مبين ﴾[10]

---

(١) سورة التوبة/ الآية ٦٥-٦٦.

(٢) سورة آل عمران/ الآية ١٥٤.

(٣) سورة التوبة/ الآية ٦٤.

(٤) سورة آل عمران/ الآية ٩٨.

(٥) سورة المائدة/ الآية ٧٧.

(٦) سورة الجمعة/ الآية ٦.

(٧) سورة آل عمران/ الآية ٦٤.

(٨) سورة يونس/ الآية ١٠٤.

(٩) سورة يونس/ الآية ١٠٨.

(١٠) سورة الحج / الآية ٤٩.

الدليل الثاني:

لأن الرسالة تحمل مواصفات ومعايير الصحة، وتتضمن معان عظيمة ومنها:

أولاً - الثبات في القيم الأساسية والمبادىء العامّة:

إنّ رسالة نبينا محمد ﷺ لصحيحة قد نطق بصحتها الحجر فضلاً عن البشر، ولعلّ من أبرز مايدل على صحتها كون مرسلها هو الله سبحانه الذي يعلم مايصلح للبشر، والذي يعلم السّر والخافية وينبثق منْ هذه الخاصية الأساسيّة وهي كونها من عند الله خصائص آخرى من أبرزها: ثبات قيمها ومبادئها وآدابها من الدعوة إلى توحيد الله في ربوبيته، وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته، ومن ثباتها في أنواع كثيرة من وجوه عباداتها في الصلاة والزكاة والصيام والحج، فدين الله هو الدين الحق القيم الذي لايتبدل ولايتغير، فقد كتب الله مثلاً: خمس صلوات على كل مسلم ومسلمة في اليوم والليلة تؤدى في أوقاتها المعلومة، وعلى وجهها المشروع، فلا يجوز تأخيرها عن وقتها، ولايجوز الإخلال بشيء من أركانها أو واجباتها أو شرائطها وآدابها كما لايجوز الزيادة فيها ولو كان الداعي الرغبة في زيادة العبادة والنسك فلا تصلى الظهر خمساً مثلاً لدعوى الرغبة في زيادة الأجر بزيادة هذه الركعة ..... الخ

قال تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾[1]

نقل الشوكاني عن مجاهد وابراهيم النخعي رحمهم الله تعالى حول قوله : ﴿ لاتبديل لخلق الله﴾ [2]

---

(١) سورة الروم/الآية ٣٠.

(٢) الآية السابقة .

أي لاتبديل لدين الله، وقال قتادة وابن جبير والضحاك وابن زيد رحمهم الله، أي لاتبديل للمعتقدات[١]

ويتمثل الثبات في العقائد الاساسية من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشرّه ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ..... ﴾[٢]

وقوله ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾[٣]

وفي العبادات والأركان العملية من الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ(بني الاسلام على خمس شهادة أن لاإله الا الله وأنّ محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام)[٤]

وفي المحرمات اليقينية من تحريم السحر وقتل النفس والزنا وأكل الربا وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات والتولي يوم الزحف والغصب والسرقة والنميمة وغيرها وفي أمهات الفضائل والاخلاق من الصدق والأمانة والعفّة والصبر والوفاء بالعهد والحياء وغيرها من مكارم الأخلاق [٥] وهذا الثبات في العقائد والأحكام وجد ليرجع

---

(١) فتح القدير - الشوكاني ٤/٢٢٤.

(٢) سورة البقرة/الآية ١٧٧.

(٣) سورة النساء / الآية ١٣٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الايمان، باب: دعاؤكم إيمانكم ١/٤٩ رقم ٨،

وأخرجه مسلم في كتاب: الايمان، باب: بيان أن أركان الإسلام ودعائمة العظام ١/٤٥ رقم ١٦.

(٥) انظر : الخصائص العامة للاسلام - د. يوسف القرضاوي ٢٢٠ - ٢٢١ بتصرف.

الناس إليه حتى يطمئنوا ويستريحوا ويكون عندهم مقياس يعرفون طول الأشياء وعرضها ووزنها من خلاله"[١]

وهذا الثبات في القيم الأساسية من أبرز طبائع الاسلام، فقد حسم في المقررات العامّة دون أن يفسح مجالاً لأنصاف الحلول، فليس هناك فاصل بين العالمين الروحي والدنيوي، بل تكامل كل شيء في الاسلام لله، عالم القيم هو أساس عالم الناس الذي هو تطبيق القيم مع حريّة الإرادة التي هي مناط المسئولية والالتزام الأخلاقي ومع الحركة في إطار الهدف الرباني الذي جاء به الدين"[٢]

وقيمة وجود الثبات في القيم والمبادىء هو وجود هذا المقوّم المنضبط بذاته، فيمكن أن ينضبط به الفكر الإنساني فلا يتأرجح مع الشهوات والمؤثرات، وإذا لم يكن هذا المقوّم الضابط ثابتاً فكيف ينضبط به شيء إطلاقاً ! إذا دار مع الفكر البشري -كيفما دار- ودار مع الواقع البشري كيفما دار.

إن الثبات في القيم والمبادىء ضرورة من ضرورات صيانة النفس البشرية، والحياة البشريّة ، أن تتحرك داخل إطار ثابت، وأن تدور على محور لايدور، قال تعالى ﴿ولو اتّبع الحقّ أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ ..﴾[٣] والثبات في القيم والمبادىء لدى المجتمع الاسلامي هو الذي يقي الفكر الاسلامي ويقي المجتمع الاسلامي مثل تلك اللوثة في الفكر الماركسي وفي الجماعة الشيوعية، وهي اللوثة ذاتها التي أصابت الفكر الغربي والمجتمعات الغربية بصفات عامة لأنها أفلتت من نطاق العقيدة، والثبات في القيم والعقائد يبث الطمأنينة في الضمير المسلم وفي المجتمع المسلم، الطمأنينة إلى ثبات الإطار

---

(١) العقيدة وأثرها في بناء الجيل - د. عبد الله عزام ٨٩.

(٢) عالمية الاسلام - أنور الجندي ٩.

(٣) سورة المؤمنون/ الآية ٧١.

الذي تتحرك فيه حياته، وثبات المحور الذي تدور حياته حوله فيشعر المسلم أن حياته وحركته إلى الأمام، ثابتة الخطو، موصولة الخيط، ممتدة من الإمس إلى اليوم ثم إلى الغد نامية صاعدة بالتقدير الالهي المرسوم "(١)

ثانياً - الشمول والتكامل:

إنّ من أبرز مايدل على صحة الاسلام وأنّه الدين القويم، الواجب اتباعه: تميزّه بخاصية الشمول. فقد رسم الاسلام الخط الواضح، ووضع المنهج السويّ للانسان من حيث قيامه بالواجب تجاه الخالق وتجاه النفس وتجاه الآخرين.

فأبان الاسلام جانب العقيدة والجانب التشريعي وجانب الخلق والتعامل في ثوب واضح جليّ من خلال نصوص الوحي في القرآن الكريم وفيما صحّ عن رسول الله محمد ﷺ. فقد إشتملت هذه الرسالة على النظم والأحكام في كل جانب من جوانب التكوين والبناء والإصلاح في كل ناحية من نواحي المجتمع والحياة. في مبادىء دقيقة محكمة وفي تشريعات ربانية خالدة، تعطي ولاتأخذ وتجمع ولاتفرّق، وتؤلف ولاتبددّ، وتبني ولاتهدم، ومما يدل على شمول الرسالة لكل أنظمة الحياة.

قوله تعالى: ﴿ مافرطنا في الكتاب من شيء ﴾(٢) وقوله : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (٣)

ومن مظاهر شمول الشريعة الاسلاميّة إحاطتها بجميع مجالات الإنسان ومراحل حياته، فلم تترك من ذلك جانباً إلاّ بحثته وأبانت فيه حكماً، من ولادته، وطفولته وشبابه.

---

(١) خصائص التصور الاسلامي- سيد قطب ٧٦-٩٠، ط٨، دار الشروق، بيروت: ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. بتصرف.

(٢) سورة الانعام /الآية ٣٨.

(٣) سورة النحل/ الآية ٨٩، انظر: الاسلام شريعة الزمان والمكان - عبد الله عوان ٢١ .

وشيخوخته وكهولته في مجالات نشاطاته الماديّة والروحية، الفرديّة والجماعية، الثقافية والفكرية، السياسية والاجتماعية والاقتصادية، الدينية والدنيويّة، كل ذلك شملته الشريعة بآدابها وتوجيهاتها[١]

وتعاليم الإسلام شاملة فهي تعني بالانسان في كل أطواره، ورسالة الحياة بكل جوانبها ومجالاتها ويتجلى هذا الشمول في العقيدة والتصور وفي العبادة والتقرّب وفي الأخلاق والفضائل وفي التشريع والتنظيم.

أ - شمول العقيدة الاسلاميّة :

فهي توصف بالشمول، باعتبار أنّها تفسّر كل القضايا الكبرى في هذا الوجود مثل قضية الألوهية وقضية الكون والانسان والنبوة والمعاد.

وتوصف العقيدة بالشمول لأنّها لاتجزىء الانسان بين إلهين اثنين بل إله الإولّين والأخرين إله واحد يستحق العبادة وحده ﴿ فاعلم أنه لاإله إلا الله واستغفر لذنبك.... ﴾[٢]

وعقيدة الاسلام لاتقبل التجزئة فمن أنكر جزءاً ولوكان يسيراً من أصول عقائدها فهو كافر خارج من الملّة [٣]

ب- شمول العبادة في الإسلام:

إنّ العبادة في الاسلام ليست قاصرة على أداء بعض الشعائر التعبدية بل تشمل أحوال الانسان كلها، في السّراء والضراء في الليل والنهار في النوم وفي حال اليقظة، في الأكل وفي الشرب والنكاح وفي الجهاد ومقارعة الأعداء وفي ذبح النسك تقرباً إلى الله به، في

---

(١) خصائص الدعوة الاسلامية - محمد أمين حسن ٢٣١.

(٢) سورة محمد / الآية ١٩.

(٣) الخصائص العامة للاسلام - د. يوسف القرضاوي ١١٣ - ١١٥ بتصرف.

كل أحوال هذا الإنسان ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لاشريك له. وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾[١]

ويعرّف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة : (بأنها اسم جامع لكل مايحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) [٢]

فإنّ الاسلام يريد من أتباعه الخلوص له والتجرد إليه بالقلب واللسان وجميع الجوارح، فشرع إقامة الصلوات، وتلاوة القرآن والإكثار من الاستغفار والتكبير والتحميد والتهليل، وإدامة تذكّرالاخرة ومراقبة الخالق والخوف منه وخشيته والإكثار من الانفاق في سبيل الله ودعا إلى التكامل الاجتماعي وغيره.

جـ - شمول الأخلاق في الاسلام:

فالأخلاق في الإسلام ليست قصراً على أن يتحلّى بها المسلم في حال دون حال، بل إن الاسلام ليطالب أتباعه ويلزمهم بضرورة التحليّ بأخلاقه الفاضلة التي دعا إليها في عبادته ومع نفسه ومع أهله وأقاربه ومع جيرانه ومع مجتمعه بل ومع أعدائه، وكم أفاد كثير من المسلمين بأخلاقهم غيرهم من غير المسلمين للدخول في الاسلام بسبب أنهم قدوة في أخلاقهم، وأعطوا النموذج الاسلامي الصحيح لما يعتقدونه ويدينون به.

١- إنّ من أخلاق الإسلام مايتعلّق بالفرد في كافة نواحيه:

أ - العناية بالجسم وضرورة المحافظة على توازنه، كما قال تعالى ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾[٣]

---

(١) سورة الأنعام / الآية ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) العبودية - ابن تيمية تعليق محمد منير الدمشقي ص٨ ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض،١٤٠٤هـ.

(٣) سورة الأعراف / الآية ٣١.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ماشئت واشرب ماشئت والبس ماشئت ماأخطأتك خصلتان سرف ومخيلة، وقال علي بن الحسين بن واقد: قد جمع الله الطبّ كلّه في نصف آية فقال: ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾[١]

وقال ﷺ : (وإنّ لبدنك عليك حقاً)[٢]

ب- العقل، له مواهبه وآفاقه : ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ... ﴾[٣] وقوله تعالى : ﴿ قل إنّما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا.. ﴾[٤]

جـ- والنفس لها مشاعرها ودوافعها ﴿ ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها ﴾[٥]

٢ - ومن أخلاق الإسلام مايتعلّق بالأسرة :

أ - كالعلاقة بين الزوجين: ﴿ وعاشرهن بالمعروف، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾[٦]

ب- وكالعلاقة بين الأبوين والأولاد ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً .. ﴾[٧]

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل - الخازن ٢/٨٤، ط دار المعرفة بيروت بدون سنة طبع.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الصوم، باب: حق الجسم في الصوم ٤/٢١٨ رقم ١٩٧٥، وأخرجه مسلم في كتاب : الصيام ، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرّر به .. الخ ٢/٨١٣ رقم ١١٥٩

(٣) سورة يونس / الآية ١٠١.

(٤) سورة سبأ / الآية ٤٦.

(٥) سورة الشمس / الآية ٧-١٠.

(٦) سورة النساء / الآية ١٩.

(٧) سورة الأحقاف / الآية ١٥.

وقوله ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إنّ قتلهم كان خطئاً كبيراً ﴾[١]

جـ- وكالعلاقة بين الأقارب والأرحام :

قال تعالى ﴿ إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ... ﴾[٢]

وقوله تعالى ﴿ وآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل ﴾[٣]

٣ - ومن أخلاق الإسلام مايتعلّق بالمجتمع :

أ - في الآداب واحترام البيوت وعوراتها قال تعالى : ﴿ لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خيرٌ لكم لعلكم تذكرون ﴾[٤]

ب- وفي اقتصاده ومعاملاته ﴿ ويل للمطفّفين الذي إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾[٥] ، ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله ... ﴾[٦]

جـ- وفي سياسته وحكمه ﴿ إنّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾[٧]

---

(١) سورة الإسراء / الآية ٣١.

(٢) سورة النحل / الآية ٩٠.

(٣) سورة الإسراء / الآية ٢٦.

(٤) سورة النور / الآية ٢٧.

(٥) سورة المطففين / الآية ١-٣.

(٦) سورة البقرة / الآية ٢٨٢.

(٧) سورة النساء / الآية ٥٨.

٤ - ومن أخلاق الإسلام :

حسن التعامل مع غير العقلاء لاسيما مع البهائم والحيوانات قوله ﷺ : ﴿ عذبت امرأة في هرّة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها-أي بسببها-النار لاهي أطعمتها وسقتها . إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ﴾ (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بينما رجل يمشي بطريق اشتدّ عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج. فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منّي فنزل البئر فملأ خفّه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر اللهُ له فغفر له قالوا يارسول الله وإنّ لنا في هذه البهائم لأجراً؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر) (٢)

وشعائرالإسلام التعبديّة محدودة ولكنّ شعب هذا الإسلام والإيمان كثيرة جداً ومتعددّة،عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) (٣)

فلا يجوز في الإسلام العناية بالعبادات والشعائر، وإهمال جانب الأخلاق والفضائل لأنّ الفضائل الأخلاقية من شعب الإيمان الحق، وثمرة للعبادة الصحيحة .(٤)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: تحريم قتل الهرة ٤/ ١٧٦٠ رقم ٢٢٤٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: السلام ، باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها ٤/١٧٦١ رقم ٢٢٤٤ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان ١/ ٦٣ رقم ٣٥.

(٤) انظر : الخصائص العامة للإسلام - د. يوسف القرضاوي ١١٧-١٢١.

ثالثاً - عموم الرسالة وعالميتها :

إنّ تعاليم رسالة محمد ﷺ جاءت عامة تخاطب الناس جميعاً على مختلف فئاتهم وأنواعهم وفي جميع مجالات حياتهم، فالدين الإسلامي حقٌ مشاع، وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب، والعناصر والأجناس، والأسر والبيوتات والبلاد والأوطان، ليس فيه احتكار مثل احتكار بني لاوي من اليهود، أو البراهمة من الهنود، لايتميّز فيها شعب عن شعب، ولا نسل عن نسل، وليس الاعتماد فيها على العرق والدم، بل على الحرص والشوق وحسن التلقّي وزيادة التقدير والتفوق في الجهاد والاجتهاد والدين والتقوى ﴿ ياأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم . إنّ الله عليم خبير﴾(١)

إنّ شريعة الإسلام جاءت للإنسان بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو أرضه فلا عنصرية في الدعوة ولا عصبيّة في هذا التشريع ولا طبقيّة في الإسلام (٢)

وعالميّة رسالة الإسلام من الأمور الواضحة بل من البدهيات الأولية المعروفة والتي لاتحتاج إلى دليل إلاّ إذا احتاجت الشمس إلى دليل ذلك أنه يلزم من كون هذه الرسالة..هي خاتمة النبوات أن تكون عامة للعالمين جميعاً لأنه لن يبعث بعدها نبي، ومعلوم أن الله سبحانه قد ختم النبوات برسالة محمد ﷺ لقوله تعالى : ﴿ ماكان محمد أبا أحد من

---

(١) سورة الحجرات / الآية ١٣، انظر النبوة والأنبياء في ضوء القرآن - أبو الحسن الندوي ١٩٥ . ١٩٦، ط٥ دار القلم دمشق ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٢) انظر: الإسلام شريعة الزمان والمكان - عبد الله علوان ١٦.

رجالكم ولكن رسول الله خاتم النبيين ﴾ [١] فرسالته إذاً عامة للعالمين جميعاً الانس والجن، وقد ذكر بعض أهل العلم أنّ المراد بالعالمين هم الإنس والجن [٢]

وهذا الإسلام العظيم ينادي إنسانية واحدة، لتذوب فيها الفوارق الجنسيّة والجغرافية لتلتقي في عقيدة واحدة، ونظام اجتماعي واحد، ورسالة نبينا محمدﷺ كانت رحمة للعالمين لمن آمن به ولمن لم يؤمن به على السواء [٣]

وقد وردت آيات كثيرة وأحاديث صحيحة تثبت عالمية رسالة الإسلام، وفيما يلي أورد بعضها:

أ - الايات الدالة على عالمية رسالة الإسلام :

قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين ﴾ [٤]

وقوله ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلاّ ذكرى للعالمين ﴾[٥] وقوله ﴿ وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلاّ ذكر للعالمين ﴾[٦] وقوله ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ [٧]

---

(١) سورة الأحزاب / الآية ٤٠.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ١٩٦/١٤، شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العزّ الحنفي ص ١٦٦.

(٣) في ظلال القرآن - سيد قطب ٥٦٨/٥، انظر : دراسات في النبوة والرسالة - عبد العزيز العسكر ٣٦٣-٣٦٦، أصول الدعوة - د. عبد الكريم زيدان ٥٤ وما بعدها.

(٤) سورة الأنبياء / الآية ١٠٧.

(٥) سورة الأنعام / الآية ٩٠.

(٦) سورة يوسف / الآية ١٠٤.

(٧) سورة الفرقان / الآية ١.

وقـولـه ﴿ ومـا هـو إلاّ ذكـر للعـــالمين ﴾[١] وقـولـه : ﴿ فأيـن تذهبـون إن هـو إلاّ ذكر للعـالمين)[٢]

ووجه الاستدلال بهذه الآيات: أن لفظ العالمين جمع معرف بأل، وهو من صيغ العموم فيدخل تحته كل ماسوى الله، لأن العالمين: جمع العالم وهو كل موجود سوى الله تعالى، كما قال قتادة رحمه الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما : العالمون: الجن والإنس)[٣]

ب - الآيات الدالة على عموم رسالة الإسلام بلفظ الناس :

قال تعالى : ﴿ قل ياأيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً ﴾[٤]

وقوله ﴿ ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ﴾[٥] وقوله ﴿ قل ياأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾[٦] وقوله : ﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربّهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [٧]

وقوله ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به .. ﴾[٨]

ووجه الاستدلال بهذه الآيات: أنّ لفظ الناس: من أسماء الجموع، فهي جمع إنسان

---

(١) سورة القلم / الآية ٥٢.

(٢) سورة التكوير / الآية ٢٦-٢٧.

(٣) فتح القدير- الشوكاني ٢١/١.

(٤) سورة الأعراف / الآية ١٥٨.

(٥) سورة النساء / الآية ١٧٤

(٦) سورة يونس / الآية ١٠٨.

(٧) سورة إبراهيم / الآية ١.

(٨) سورة إبراهيم / الآية ٥٢.

وإنسانه على غير لفظه)[١]

جـ- الآيات الدالة على عموم رسالة الإسلام بلفظ : كافة أو جميعاً :

قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلاَّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾[٢] وقوله : ﴿ قل ياأيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً ﴾[٣] فكلمة كافة وجميعاً من ألفاظ العموم.

د - الأحاديث النبوية الدالة على عالمية رسالة الإسلام :

وردت أحاديث كثيرة تدلّ على عالمية رسالة الإسلام من يومها الأول الذي نزلت فيه وإلى اليوم الذي ختمت فيه ومنها: كانت بين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما محاورة فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه عمر مغضباً، فأتبعه أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء ونحن عنده. فقال رسول الله ﷺ : أمّا صاحبكم هذا فقد غامر. وندم عمرعلى ماكان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقصّ على رسول الله الخبر، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ وجعل أبو بكر يقول: والله يارسول الله لأنا كنت أظلم. قال رسول الله ﷺ : هل أنتم تاركوا لي صاحبي إنّي قلت ياأيها الناس : إنّي رسول الله إليكم جميعاً فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت)[٤]

---

(١) فتح القدير - الشوكاني ١/ ٤٠.

(٢) سورة سبأ / الآية ٢٨.

(٣) سورة الأعراف / الآية ١٥٨.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿ قل ياأيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً ...﴾ ١٥٨ الأعراف، ٨/ ٣٠٢ رقم ٤٦٤٠.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ :(أعطيت خمساً لم يعطهنّ أحدٌ من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ وأحلت لي الغنائم، وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة)(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: فضّلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت الى الخلق كافّة، وختم بي النبيون)(٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: والذي نفس محمد بيده لايسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار) (٣)

هـ - إرسال الكتب والرسائل إلى الملوك والأمراء :

فقد أرسل رسول الله ﷺ دحية الكلبي إلى هرقل أمير بُصرى وهي مدينة بين الشام والحجاز- يدعوه إلى الإسلام) (٤)

وأرسل رسول الله ﷺ كتباً إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وغيرهم عن أنس رضي الله عنه أنّ نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب: الصلاة، باب: قول النبي جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ١/٥٣٣ رقم ٤٣٨، وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة ، ١/ ٣٧٠-٣٧١ رقم ٥٢١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة ١/ ٣٧١ رقم ٥٢٣.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ١/١٣٤ رقم ١٥٣.

(٤) انظر صحيح مسلم كتاب: الجهاد والسير ٣/١٣٩٣-١٣٩٦ رقم ١٣٧٣.

يدعوهم إلى الله تعالى)[١]

و - ومن المؤيدات لهذه العالميّة تكليف القرآن الكريم أمّة الإسلام في كل زمان ومكان أمانة التبليغ، ورسالة الدعوة حتى تصل كل بلد في العالم.

وهذا التكليف ورد بيانه في كثير من آيات القرآن وأحاديث المصطفى ﷺ . قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [٣] وقوله ﴿ ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ [٤] وقوله ﷺ (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) [٥]

رابعاً- خلود الرسالة وصلاحيتها لكل زمان ومكان:

إنّ رسالة الإسلام رسالة خالدة كيف لا وهي الرسالة الخاتمة لجميع الرسالات السابقة بل والمهيمنة عليها، وكان كل نبي يلزم بضرورة الإيمان والتصديق برسالة محمد لو بعث في فترته فضلاً عن التبشير به. فقد سلمت رسالة الإسلام عن أيّ تحريف وتبديل لاسيما وقد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: كتب النبي إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عزّ وجل ١٣٩٧/٣ رقم ١٧٧٤ للاستزادة انظر: خصائص الدعوة الإسلامية - محمد أمين حسن ١٥٣-١٦٣، شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي ١٦٧.

(٢) سورة آل عمران /الآية ١١٠.

(٣) سورة البقرة / الآية ١٤٣.

(٤) سورة فصلت / الآية ٣٣ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان٦٩/١ رقم ٤٩، وللاستزادة انظر : الإسلام شريعة الزمان والمكان-عبد الله علوان ١٨-٢٠.

جاءت رسالة الإسلام رسالة كاملة ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[١] فقد تكفل بحمايتها من الزلل والقصور والتغيير والتبديل كما قال تعالى ﴿ وإنّه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾[٢].

وقد بعث الله محمداً ﷺ ليكون رحمة للعالمين ورسولاً إلى الناس أجمعين كما قال تعالى ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾[٣] ومقتضى هذا العموم أن تكون هذه الرسالة صالحة لكل قوم ولكل بيئة ولكل مكان.

وحيث أراد الله لهذه الرسالة الخلود، فقد جرى قدر الله ومشيئته بضمان أمرين يكفلان لهذه الرسالة دوامها إلى قيام الساعة:

أ- **تكفل الله عز وجل بنفسه، بحفظ دستورها ومصدرها الأول، وهو القرآن** فقال تعالى: ﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾[٤] ولذا لم ير في القرآن في أيّ وقت ولا في أي مكان زيادة أو نقص ولاتحريف ولاتبديل بخلاف الكتب السابقة فقد وكل الله أمر حفظها للربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغياً وعدواناً واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً وعرضاً حقيراً فكان التحريف والتبديل الظاهر في كل طبعة من طبعات الكتب السابقة ﴿ إنّا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون والذين أسلموا للذين هادوا والربانيونّ والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله

---

(١) سورة المائدة /الآية ٣ .

(٢) سورة فصلت /الآية ٤١-٤٢.

(٣) سورة الأنبياء /الآية ١٠٧.

(٤) سورة الحجر /الآية ٩.

وكانوا عليه شهداء...﴾[1].

وحفظ القرآن يتضمن حفظ السنّة لأنّ السنة بيان للقرآن وشارحة له كما قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم﴾[2] وحفظ المبينٌ يقتضي حفظ البيان لأنه لازم له وقد أخبر الله سبحانه أنّ محمداً ﷺ لاينطق فيما يتعلقّ بتعليم الناس إلاّ من خلال تعاليم الوحي ﴿ ومانطق عن الهوى إن هو الاّ وحي يوحى ﴾[3]

ويقول ﷺ : (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)[4]

أي أنّ الرسول ﷺ أوتي القرآن وأوتي مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن، وكمثال على ذلك نذكر أنّ الله آتى نبيه، تحريم الخبائث، فُصِّل بعضها في القرآن، كالميتة، والدم ولحم الخنزير، وبعضها في السنة كما ذكر في هذا الحديث، كلحوم الحمر الأهلية ولحوم السباع. عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال:(العلم ثلاثة وماسوى ذلك فهو فضل: آية محكمة أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة)[5] قال ابن القيم في شرحه على حاشية عون المعبود في شرحه لهذا الحديث:(أوسنة قائمة) أي ثابتة صحيحة منقوله عن رسول الله ﷺ وأو للتنويع أ. هـ.

---

(١) سورة المائدة / الآية ٤٤. انظر التفسير الواضح - د. محمد محمود حجازي ٦/١٤.

(٢) سورة النحل / الآية ٤٤.

(٣) سورة النجم / الآية ٣-٤.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٣٠ -١٣١ . ١٧٢١٣.

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب: الفرائض، باب: في تعليم الفرائض ، ضعيف سنن أبي داود - الالباني ص ٢٨٣ رقم ٦١٥، واخرجه ابن ماجة في المقدمة، باب: اجتناب الرأي والقياس، ضعيف سنن ابن ماجة - الألباني ص٥ رقم ٧، وللاستزادة انظر: عون المعبود - آبادي ٨/٩٢.

وقال ﷺ: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما، كتاب الله وسنته نبيّه)[١]
وقد ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿يانساء النبي لستنّ كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً .... إلى قوله .. واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إنّ الله كان لطيفاً خبيراً ﴾[٢] قال بعض المفسرين أن المقصود بآيات الله في هذه الآية: القرآن، والحكمة هي السنّة [٣] وعن أنس رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: إبعث معنا رجالاً يعلموننا القرآن والإسلام، قال فأخذ بيد أبي عبيدة، فقال هذا أمين هذه الأمة)[٤]

ب- ألا تجتمع هذه الأمة على ضلالة ، فلا تزال طائفة منها على الحق قائمة.

عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : لاتزال طائفة من أمتّي ظاهرين على الحق لايضرّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[٥]

كما اقتضت حكمته تعالى أن يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدّد لهذه الأمة دينها وأن يقوم في كل عصر من يحمل علم الشريعة ينفي عنه تحريف الغالين وانتحال

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ كتاب: القدر، باب: النهي عن القول بالقدر ٢/ ٨٩٩ رقم ٣ ط عبد الباقي .
انظر : أفعال الرسول ودلالتها على الأحكام الشرعية - د. محمد سليمان الأشقر ١/١٣-١٥ ط١، مكتبة المنار الاسلامية، الكويت : ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(٢) سورة الاحزاب / الآية ٣٢ - ٣٤.

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل - الخازن ٣/٤٦٦.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/١٧٥، رقم ١٢٨١٢، وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ٤/١٨٨١ رقم ٢٤١٩.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب :الإمارة، باب: قوله ﷺ (لاتزال طائفه من أمتي ظاهرين على الحق...) ٣/١٥٢٣ رقم ١٩٢٠.
وأخرجه ابن ماجة في المقدمة ، باب: اتباع سنة رسول الله ﷺ، صحيح سنن ابن ماجة - الألباني ١/٧رقم ١٠ .

المبطلين وتأويل الجاهلين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها)[١]

والخالق سبحانه هو أعلم بخلقه ومايصلح لهم فقد أنزل هذا القرآن العظيم وأرسل هذا النبيّ الكريم وأقام ذلك الدستور والمنهج الإلهي وأبان للناس مايصلح لهم وماتقوم به حياتهم وأرشدهم إلى فعل مايصلح مابعد حياتهم فأشار إلى كثير من الجوانب العلمية والإجتماعية والنفسية والكونّية وغيرها وأبان لهذا الإنسان علاقته بخالقه وعلاقته مع نفسه ومع الآخرين وأوضح له طريق الهداية وحث على سلوكها، وطريق الغواية وحذر من قربها فضلاً عن سلوكها. فالخالق سبحانه هو أعلم بخلقه ومايصلح لهم ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [٢] وقال تعالى ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ [٣].

خامساً - التوسّط والإعتدال:

إنّ هذه الخاصيّة من أبرز سمات هذه الرسالة الخالدة فهي: وسط في تعاليمها غالباً بين طرفين متقابلين أو متضادين، وهي: قائمة بالعدل والقسطاس المستقيم كما قال تعالى ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان، ألاّ تطغوا في الميزان. وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان ﴾ [٤].

---

(١) أخرجه ابو داود في كتاب: الملاحم، باب: مايذكر في قرن المائة، صحيح سنن أبي داود - الألباني ٣/ ٨٠٩ رقم ٣٦٠٦ وللإستزاده انظر: عون المعبود - محمد آبادي ١١/ ٣٨٥- ٣٨٦، شريعة الإسلام خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان - د. يوسف القرضاوي ١١-١٧ بتصرف.

(٢) سورة الملك/ الآية ١٤.

(٣) سورة الأعراف/ الآية ٥٤.

(٤) سورة الرحمن/ الآية ٧-٩.

وقد جاءت رسالة الإسلام نسيجاً وحدها في هذا الجانب فلا إفراط ولاتفريط في تشريعاتها بل توسط واعتدال: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾(١).

والوسط: هو الشيء بين الجيد والردئ وهو بمعنى المتوسِّط، وفي التنزيل ﴿من أوسط ماتطعمون ...﴾(٢) أي من متوسط ماتطعمون، ومنه قوله تعالى: ﴿ قال أوسطهم ...﴾(٣) أي أعدلهم وأقصدهم إلى الحق(٤).

وقال ابن جرير: الوسط هو الجزء الذي بين طرفين مثل وسط الدار، وقد وصف الله هذه الأمة بالوسط لتوسطها في الدين (٥)

وقد أعطى الإسلام للبشرية مزية الوسطية والتكامل إلى حد أن يطمع الكثيرون في أنه سوف يحقق للإنسانية عملاً هاماً.

يقول هاملتون جب: أومن بأن الإسلام لاتزال له رسالة يؤديها إلى الإنسانية جمعاء حيث يقف وسطاً بين الشرق والغرب. وإنّه أثبت أكثر مما أثبت أي نظام سواه مقدرة على التوفيق والتأليف بين الأجناس المختلفة، فإذا لم يكن بدٌّ من وسيط يسوّي مابين الشرق

---

(١) سورة البقرة/ الآية ١٤٣.

(٢) سورة المائدة/ الآية ٨٩.

(٣) سورة القلم/الآية ٢٨.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي-أحمد بن محمد المقرّى الفيومي ٢/ ٨٢١. ٨٢٢.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ٢/ ٦-٧، ط ٢ مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

والغرب من نزاع وخصام فهذا الوسيط هو الإسلام "[1].

وقد نادى الإسلام أتباعه بضرورة التوسط والإعتدال في كل شيء، بلا إفراط ولاتفريط بل إتباع لمنهج الإسلام وإعطاء كل ذي حقٍّ حقّه، يدل على ذلك قول تعالى: ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ [2] وقوله ﴿ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ [3]

وقد أباحت الرأسمالية الملكيّة والكسب والعمل إباحة مطلقة ولو كانت هذه الإباحة تدمرّ المجتمع وتضرّ بالآخرين فالربا والاحتكار والمتاجرة بالزنا... كل ذلك مشروع.

وضيّقت الاشتراكية في الملكية تضيقاً شديداً فصادمت فطرة الإنسان على حبّ التملك وقتلت الحوافز في نفوس الناس فلا يبذل إلا أقلّ الجهد ولايتقنون أعمالهم وصناعاتهم بسبب فقدان الحافز.

وجاء الإسلام بالتوسط والإعتدال فإنه لم يبح الملكية والعمل والإكتساب إباحة مطلقة كالرأسمالية ولم يمنع الملكية منعاً مطلقاً كما فعلت الشيوعيّة وإنما توسط في ذلك فأباح التملّك إباحة مقيدة وتقييدها إنما جاء ببيان الوجوه المشروعة، ومن هذه الوجوه:

١- التملك بالسعي والكسب ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ [4] ويتحقق هذا بالزراعة والصناعة والتجارة والإجارة ونحو ذلك.

٢- إحياء الأرض الموات عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال ﷺ : (من أحيا أرضاً

---

(١) عالمية الإسلام - أنور الجندي ٣٧ط دار الإعتصام القاهرة بدون سنة طبع.

(٢) سورة الفرقان/ الآية ٦٧.

(٣) سورة الاسراء/ الآية ٢٩

(٤) سورة الملك / الآية ١٥.

ميتة فهي له ﴾[١]

٣- إقطاع الإمام لشخص أرضاً ميتة.

٤- الغنيمة من الحرب والفي.

٥- مايأخذه المسلم من غيره على سبيل الهبة.

٦- الوصيه والإرث.

وحريّة التملك مشروطة في الإسلام بشروط في جملتها: التراضي في التبادل التجاري، واجتناب المحرمات كالربا والإحتكار واستغلال النفوذ، وقد حّرم الإسلام السرقة والغصب وأكل أموال الناس بالباطل[٢] ومن أمثلة التوسط والإعتدال في الإسلام: الذكاة، فاليهود لايذبح لهم إلاّ رئيس ديني بسكّين بالغة الحدّ في التحديد، وفي مرةً واحدة يمرّها، ولايخفى مافي ذلك من التضييق، والنصارى فرّطوا حتى فتلوا عنق الزجاجة فقتلوها من غير إسالة دم، وفي الإسلام (فما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه فكل، ليس السنّ والظفر)[٣]

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٣٨/٣ رقم ١٤٧٧، وأخرجه أيضاً في ٣٨١/٣ رقم ١٥١٢٣.
وأخرجه الترمذي في أبواب: الأحكام، ماذكر من إحياء الموات، صحيح سنن الترمذي -الألباني٢/ ٥١ رقم ١١١٤.

(٢) انظر موقف الإسلام من الإشتراكية -مناع القطان ١-٣٣ ط دار الثقافة الإسلامية الرياض بدون سنة طبع، خصائص الشريعة الإسلاميّة - د. عمر الأشقر ٨٩-٩٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الذبائح والصيد، باب: لايذكى بالسنّ والعظم والظفر ٦٣٣/٩ رقم ٥٥٠٦،
وأخرجه مسلم في كتاب الأضاحي، باب جواز الذبح بكل ماأنهر الدم إلاّ السنّ والظفر وسائر العظام ١٥٥٨/٣ رقم ١٩٦٨.
وأخرجه الترمذي في أبواب: الصيد، باب: في الذكاة بالقصب وغيره، صحيح سنن الترمذي -الألباني ٨٦/٢ رقم ١٢٠٦.
وأخرجه ابن ماجة في كتاب: الذبائح، باب: مايذكى به، صحيح سنن ابن ماجة - الألباني ٢٠٩/٢ رقم ٢٥٧٤.

مظاهر الوسطية والإعتدال في الإسلام:

١- الوسطية والإعتدال في الاعتقاد:

أ- والإسلام وسط في الإعتقاد بين الخرافيين الذين يسرفون في الإعتقاد فيصدقون بكل شيء ويؤمنون بغير برهان وبين الماديين الذين ينكرون كل ماوراء الحسّ ولايستمعون لصوت الفطرة ، ولانداء العقل ولاوضوح المعجزة فالإسلام يدعو إلى الإعتقاد والإيمان ولكن بما قام عليه الدليل القطعي والبرهان اليقيني، وماعدا ذلك يرفضه ويعدّه من الأوهام وشعاره دائماً ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (١)

ب- والإسلام وسط بين الملاحدة الذين لايؤمنون بوجود إله قط، وبين أولئك الذين يعدّدون الآلهة حتى عبدوا الأغنام والأبقار وألهوا الأوثان والأحجار.

فالإسلام يدعو إلى ضرورة الإيمان بإله واحد لاشريك له لم يلد ولم يولد، يستحق العبادة وحده.

جـ- والإسلام وسط بين الذين يقدسون الأنبياء حتى رفعوهم إلى مرتبة الألوهيّه أو البنوّة للإله وبين الذين كذبوهم واتهموهم وصبّوا عليهم كؤوس العذاب.

(٢) الوسطية والإعتدال في العبادة:

والإسلام وسط في عباداته وشعائره بين الأديان، والنحل التي ألغت جانب العبادة كالبوذية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده وبين الأديان والنحل التي طلبت من أتباعها التفرّغ للعبادة والإنقطاع عن الحياة والإنتاج كالرهبانيّة المسيحيّة.

فالإسلام يكلف المسلم أداء شعائر محدودة في اليوم والليلة كالصلاة، أو في السنّة

---

(١) سورة البقرة/الآية ١١١.

كالصوم أوفي العمر مرة كالحج ويطلب منه أن يستشعر أن تكون حياته متوجهة كلها لله، ثم يطلقه بعد ذلك ساعياً منتجاً، يمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله ولعل أوضح دليل هنا: الآيات الآمرة بصلاة الجمعة ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾[١].

بل إنّ الإسلام ليؤكد على الإعتدال في العبادة فلا ينبغي أن يرهق المسلم نفسه أو يؤذي جسده عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنّم تقالّوها. وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ماتقدّم من ذنبه وماتأخر قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولاأفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتّي فليس منّي)[٢]

وتعذيب الجسد وتحميله مالايطيق ليس من مناهج الإسلام ووسائله لبلوغ الكمال المنشود، إذ ليس من لوازم هذا الكمال أو مقتضياته فعل ذلك. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: ابواسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولايقعد، ولايستظلّ ولايتكلّم، ويصوم فقال النبي ﷺ: مروه فليتكلّم

---

(١) سورة الجمعة /الآية ٩-١٠ انظر : الخصائص العامة للإسلام - د.يوسف القرضاوي ١٣٥-١٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : النكاح، باب: الترغيب في النكاح ١٠٤/٩ رقم ٥٠٦٣ ،

وأخرجه مسلم في كتاب: النكاح، باب: إستحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤونة، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم ١٠٢٠/٢ رقم ١٤٠١.

وليستظلّ وليقعد وليتمّ صومه)[١] وعن أنس رضي الله عنه قال: (دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال : ماهذا الحبل؟ قالوا: هذا حبلٌ لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ حلوّه ليصلّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد)[٢]

٣- الوسطية والاعتدال في الأخلاق:

الإسلام وسط في الأخلاق بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملاكاً أو شبه ملاك، فوضعوا له من القيم والآداب مالايمكن له، وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوه حيواناً أو كالحيوان، فأرادوا له من السلوك مالايليق به، فأولئك أحسنوا الظنّ بالفطرة الإنسانية فاعتبروها خيراً محضاً وهؤلاء أساؤوا بها الظنّ فعدوّها شراً خالصاً، وكانت نظرة الإسلام بين هؤلاء وأولئك فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مركب فيه العقل وفيه الشهوة قد هدي إلى النجدين وتهيأ بفطرته لسلوك السبيلين، إماً شاكراً وإماً كفوراً، فيه استعداد لاتباع نفسه هواها وفيه استعداد لجهادها وسلوك طريق التقوى ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دسّاها ﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان والنذور ، باب: النذر فيما لايملك وفي معصية ٥٨٦/١١ رقم ٦٧٠٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب :مايكره من التشديد في العبادة ٣٦/٣ رقم ١١٥٠.

وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك ٥٤١/١-٥٤٢ رقم ٧٨٤.

(٣) سورة الشمس /الآية ٧-١٠ انظر: الخصائص العامة للإسلام - د.يوسف القرضاوي ١٣٨ - ١٤٠.

سادساً - الوضوح:

إنّ من أبرز الدلالات القطعيّة على صحة رسالة الإسلام: وضوحها في أصولها وقواعدها ومصادرها وأهدافها ومناهجها ووسائلها.

فليس في الإسلام: ذلك الإيمان القسري، أو الدخول فيه مع غمض العينين عن تدبر بعض أحكامه ومعانيه، إنّ الإسلام ليعطي أصحابه وأتباعه حريّة التفكير والنظر والبحث عن الحكمة والعلة والمدلول ليزداد المؤمن إيماناً وليطلع الناظر على فقه هذه الأحكام فيزداد يقينه وتترسخ عقيدته بل إنّه ليحث أتباعه بالإكثار من النظر في ملكوت الله، ويأمر أتباعه بمجالسة العلماء، والنهل من العلوم بأنواعها ويتمثل هذا الوضوح في كل أوامر وأحكام هذه الرسالة الإسلامية ومنه:

أ- وضوح الأصول الإعتقاديّه:

فتوحيد الله في إلوهيّته هو أهم الأصول الإعتقادية فقد جاءت تعاليم هذه الرسالة لبيان كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، فلا مكان في الإسلام لتأليه بشر ولالتأليه أي شيء غير الخالق سبحانه وهكذا نادت رسالة الإسلام ﴿ فاعلم أنه لاإله إلا الله... ﴾[1] وكانت رسالة الإسلام إلى ملوك الأرض وزعمائها ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد الاّ الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضا بعضاً أرباباً من دون الله...﴾ [2].

ب- وضوح الثواب والجزاء في الإسلام:

فالدنيا مزرعة للآخرة والدنيا دار مر ومتاع إلى حين والآخرة هي دار القرار والجزاء،

---

(١) سورة محمد/الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران/الآية ٦٤.

فيها توفى كل نفس ماكسبت وتجزى بما عملت ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾[١]

وأبان الإسلام لأتباعه بأنّ الناس في الآخرة على فريقين حسب أعمالهم ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير﴾[٢]

فمصير كل إنسان ليس بيد كاهن أو قديّس، إنّما مصير الناس بأيديهم أنفسهم، حسبما تشهد لهم صحائفهم، وتحكم لهم أو عليهم موازينهم ﴿ فمن ثقلت موازنيه فأولئك هم المفلحون. ومن خفتّ موازنيه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنّم خالدون ﴾ [٣]

سابعاً - التوافق مع أصول الرسالات السابقة:

لم تكن دعوة محمد ﷺ ورسالته بدعيّة سواء في أصل الرسالة أم في القضية التي دعا إليها.

فقد سبقه رسل كثيرون نادوا أقوامهم بأمر الله تعالى كما قال تعالى:﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك، وما كان لرسول أن يأتي بآية إلاّ بإذن الله ... ﴾[٤].

ولم تكن قضية النبوة مستغربة بل كان الأنبياء يتعاقبون في الأمم نبياً تلو الآخر، بل لقد اجتمع نبيان في زمن واحد.

---

(١) سورة الزلزلة/الآية ٧-٨.

(٢) سورة الشورى /الآية ٧.

(٣) سورة المؤمنون/الآية ١٠٢ - ١٠٣.

للاستزادة أنظر: الخصائص العامة للاسلام د. يوسف القرضاوي ١٨٧-٢١٣.

(٤) سورة غافر/الآية ٧٨

وقد اتفقت رسالة محمد ﷺ مع أصل الرسالات السابقة من حيث مقصد جميع الرسالات وهو : توحيد الله تعالى ودعوة الناس إلى عبادته كما قال تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول الاّ نوحي إليه أنّه لاإله إلاّ أنا فاعبدون ﴾[١]

وقوله تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ...﴾[٢]

ودين الانبياء واحد وإن تنوعّت شرائعهم كما قال تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى: أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ...﴾[٣]

وعن أبي هريرة رضي الله قال قال رسول الله ﷺ.

(أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة قالوا: كيف يارسول الله قال الأنبياء إخوة من علاّت وأمهاتهم شتّى ودينهم واحد)[٤]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (إنّا معشر الانبياء ديننا واحد)[٥]

واتفقت رسالة محمد ﷺ مع أصل الرسالات السابقة من حيث المصدر، فإنّ مصدر جميع الرسالات هو الله، فالرسالات منزلة من عند الله الواحد القهار كما قال تعالى:

---

(١) سورة الأنبياء/الآية ٢٥.

(٢) سورة النحل/الآية ٣٦.

(٣) سورة الشورى/الآية ١٣.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، ١٨٣٧/٤ رقم ٢٣٦٥.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: الأنبياء ، باب: قول الله تعالى ﴿واذكر في الكتاب مريم إذا نتبذت من أهله.. ﴾ ١٦ مريم، ٤٧٨/٦ رقم ٣٤٤٣.

انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ٣٥٧/١-٣٥٨،

تعريف عام بدين الإسلام - علي الطنطاوي ١٦١ - ١٦٢.

﴿ إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ... ﴾[1]

واتفقت رسالة الإسلام مع الشرائع السماوية السابقة في كثير من القواعد العامة التي لابدّ أنه تعيها البشرية في مختلف العصور، كقاعدة الثواب والعقاب ، وهي أنّ الإنسان يحاسب بعمله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولايؤاخذ بجريرة غيره، ويثاب بسعيه وليس له سعي غيره، قال تعالى ﴿ أم لم ينبأ بما في صحف موسى. وإبراهيم الذي وفّى. ألاّ تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلاّ ماسعى. وأن سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾[2]

فدين الاسلام هو دين جميع الأنبياء كنوح وإبراهيم ويعقوب ، وأتباعهم إلى الحواريين، وهذا تحقيق لقوله تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾[3] وقوله ﴿ إنّ الدين عند الله الإسلام ﴾[4] في كل زمان ومكان قال تعالى عن نوح: ﴿واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه ياقومي إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ ولاتنظرون. فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلاّ على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾[5].

فهذا نوح الذي غرق أهل الأرض بدعوته، وجعل جميع الآدميين من ذريته يذكر أنه أمر أن يكون من المسلمين وأمّا الخليل عليه السلام فيقول الله عنه ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبّل منّا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين

---

(١) سورة النساء/الآية ١٦٣.

(٢) سورة النجم / الآية ٣٦-٤١ انظر: خصائص الشريعة الإسلامية - د. عمر الاشقر ٢٢.

(٣) سورة آل عمران/ الآية ٨٥.

(٤) سورة آل عمران/ الآية ١٩.

(٥) سورة يونس/ الآية ٧١-٧٢.

لك ومن ذريتنا أمّة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾[١] وقال تعالى عن يوسف عليه السلام ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي، في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾[٢]

وقال تعالى عن موسى عليه السلام ﴿وقال موسى: ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾[٣] فهؤلاء الأنبياء كلهم يذكر الله تعالى أنّهم كانوا مسلمين، والإسلام لايختص بمن بعث إليهم محمد ﷺ بل هو حكم عام في الأولين والآخرين ولهذا قال تعالى ﴿ومن أحسن ديناً ممنّ أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾[٤].

ثامناً- حفظها لمصالح العباد:

إنّ رسالة الإسلام لم تأت بالواجب تجاه الله سبحانه فحسب، بل اشتملت على ذلك المنهج المتفرِّد الذي تسعد به حياة الإنسان إذا أخذ به حيث تصلح حاله في الحياة الدنيا وما بعدها.

إنّ رسالة الإسلام أخذت في إعتبارها مصالح العباد فدعت إلى ضرورة حفظها والعناية بها وأنّ للإنسان حرمة في حياته وفي مماته فلا يجوز أن يعتدى عليه في دينه أوحياته أو عقله أو نسله أو ماله فقد كرمّ الله سبحانه في كيانه وفضّله على كثير من

---

(١) سورة البقرة/ الآية ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) سورة يوسف/ الآية ١٠١.

(٣) سورة يونس/ الآية ٨٤.

(٤) سورة النساء / الآية ١٢٥، أنظر دقائق التفسير، الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية-جمع وتقديم وتحقيق - د. محمد السيد الجليند ٢/ ١٠٤-١٠٧، توحّد الملّة وتعدد الشرائع وتنوعّها وتوحّد الدين المليّ دون الشرعي- ابن تيمية وهي ضمن مجموعة الرسائل المنيريّة - ٣/ ١٢٨ - ١٦٥ ط دار إحياء التراث العربي.

المخلوقات الحيّة ﴿ولقد كرمنّا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً ﴾[١]

إن شريعة الإسلام وحدها هي التي تحقق مصالح العباد، وذلك بحفظها لنظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهمين عليه وهو الإنسان، وقد قام العلماء الأعلام باستقراء الشريعة في كلياتها وجزئياتها فهداهم ذلك إلى أنّ الشريعة وضعت لحفظ مصالح العباد، وقطع دابر الفساد، وكان ديدن كل نبي من أنبياء الله أن يتمثل ماجاء في القرآن حكاية عن شعيب عليه السلام ﴿ إن أريد إلاّ الإصلاح مااستطعت... ﴾[٢] ومانادى به موسى أخاه هارون عليها السلام ﴿ وقال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي وأصلح ولاتتبع سبيل المفسدين ﴾[٣] وماقاله صالح عليه السلام لقومه ثمود. ﴿ولاتعثوا في الأرض مفسدين﴾[٤] وقد جاءت في رسالة الإسلام مخاطبة هذه الأمة قاطبة ﴿ ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾[٥]

وقد حثت رسالة الإسلام على أن تدوم الصلة بين الأهل والأقارب وذوي الأرحام ونهت عن خلاف ذلك: ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾[٦]

---

(١) سورة الإسراء/ الآية ٧٠.

(٢) سورة هود / الآية ٨٨.

(٣) سورة الأعراف / الآية ١٤٢.

(٤) سورة الأعراف / الآية ٧٤.

(٥) سورة الأعراف / الآية ٥٦.

(٦) سورة محمد / الآية ٢٢ انظر: خصائص الشريعة الإسلامية - د.عمر الأشقر ٧٨-٨٠

ويقول ﷺ ﴿ لاضرر ولاضرار ﴾[1]

والضرر هو محاولة الانسان إلحاق المفسدة بنفسه أو بغيره، والضرار أن يتراشق اثنان بما فيه مفسدة لهما، وهذه القاعدة إغلاق لمنافذ الضرر والفساد، فلم يبق في تشريع الإسلام إلاّ كل مافيه صلاحهم في دنياهم وآخرتهم.[2]

وتتركز مصالح العباد في حفظ ضروراته الخمس: الدين والنفس والنسل والمال والعقل. وقد جاء الإسلام يأمر بحفظها جميعاً .

أ - ويتمثل نظام حفظ الدين في أربعة عوامل:

١ - التكاليف المفروضة

٢ - الدعوة إلى الدين

٣ - حماية الدين من المعاندين

٤- حماية الدين من الغلوّ والإنحراف.

ب - ويتمثل نظام حفظ النفس في ثلاثة أمور :

١ - حماية النفس من الأمراض.

٢ - حماية النفس من الإعتداء.

٣ - حماية النفس من مشقة التكاليف.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب: الأحكام ، باب: من بنى في حقه مايضرّ بجاره، صحيح سنن ابن ماجة -الألباني ٣٩/٢ رقم ١٨٩٥.

(٢) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية - د. محمد سعيد رمضان البوطي ٧٩.

جـ- ويتمثل نظام حفظ النسل في أمرين :

١ - الاستعداد الحسن لوجود الولد من البحث عن الزوجة الصالحة والنفقة الطيبة وغيرها.

٢ - العناية بالولد بعد مولده.

د - ويتمثل نظام حماية المال في ثلاثة أمور:

١ - إباحة الأسباب المشروعة للتملك.

٢ - تقييد حقوق التملّك

٣ - ربط المال المملوك بوظائف محدّدة.

هـ- ويتمثل نظام حفظ العقل في أمرين :

١ - تقدير الإسلام للعقل

٢ - اعطاؤه قدراً من الحرية[١]

وقد أشير إلى هذه الضروريات الخمس في قوله تعالى : ﴿ ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنّ ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهنّ ولايعصينك في معروف فبايعهنّ واستغفر لهنّ الله .. ﴾[٢]

---

(١) للاستزادة انظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها - د. أحمد أحمد غلوش ٣٥-٧٣.

(٢) سورة الممتحنة / الآية ١٢.

وحفظ هذه الكليات أو الضروريات الخمس معناه حفظها بالنسبة لآحاد الأمة وبالنسبة لعموم الأمة بالأولى، فحفظ الدين معناه حفظ دين كل أحد من المسلمين أن يدخل عليه ما يفسد اعتقاده وعمله اللاحق بالدين، وحفظ الدين بالنسبة لعموم الأمة، أي دفع كل ما من شأنه أن ينقض أصول الدين، ويدخل في ذلك حماية بيضة الإسلام والذب عن الحوزة الإسلامية بإبقاء وسائل تلقي الدين من الأمة حاضرها وماضيها.

ومعنى حفظ النفوس: حفظ الأرواح من التلف أفراداً وعموماً، فتحفظ هذه النفوس عن التلف قبل وقوعه مثل مقاومة الأمراض السارية، كما منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجيش من دخول الشام لأجل طاعون عمواس، ويهتم الإسلام اهتماماً بالغاً باحترام النفوس معصومة الدم أمّا النفوس غير المعصومة كنفس الزاني المحصن فإنه يأمر برجمه حماية للنفوس الصحيحة حتى لا يصيبها عدوى هذا المرض الخطير وهو مرض الزنا.

ومعنى حفظ العقل: أي حفظه من أن يدخل عليه خلل فيفسد ولذا حرّم الإسلام الخمر والمخدرات بأنواعها حتى لاتذهب العقل أو تؤثر في مجريات تفكيره وتوازنه.

وأمّا حفظ المال، فإنّ الإسلام ينهى عن الاسراف والتبذير، والنفقة في غير موضعها الصحيح ويأمر بحفظ مال الصبي، والسفيه، ومن يحتاج إلى ذلك، ويأمر بالسعي طلباً للرزق بل إلى التجارة فيه كل ذلك حفاظاً على قوام الحياة وعصبها وهو المال.

وأمّا حفظ النسل فإنه يأمر ويحث على الزواج الشرعي الصحيح، لتشفى به قلوب مريضة وتصح به أبدان سليمة ويكثر من خلاله نسل أمة محمد ﷺ)[1].

(١) للاستزادة انظر: خصائص الشريعة الإسلامية - د.عمر سليمان الأشقر ٧٨-٨٦، ط١ مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٢م. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية - عبد الرحمن عبد الخالق، ٣٥-٥٤، ط١، مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

تاسعاً - مخاطبة العقل والروح معاً :

إنّ من أبرز ماتمتاز به رسالة الإسلام عن غيرها أنّها تخاطب في المدعو عقله وروحه معاً، فلا يطغى في دعوتها له الجانب العقلي على الروحي ولا الروحي على العقلي لأنّ هذه الرسالة من لدن حكيم عليم، يعلم السّر وأخفى، ويعلم أنّ كيان هذا الإنسان يشتمل على العقل والروح.

ولذا أخطأت بعض الفلسفات المعاصرة حينما أثارت جانباً وغلبته وأهملت الجانب الآخر، فإنّ رسالة الإسلام رسالة تعنى بالتوازن لاسيما فيما يتعلق بدعوة الناس.

ورسالة الإسلام جامعة لحقوق الروح والجسد، ومصالح الدنيا والآخرة،وقد جعل الله أمة الإسلام الأمة الوسط، العدول الخيار، الذين جمعوا بين خيري الدنيا والآخرة، وهؤلاء المسلمون وسط بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجسديّة والمنافع الماديّة كاليهود، والذين تغلب عليهم التعاليم الروحية، وتعذيب الجسد وإذلال النفس والزهد، كالهندوس والنصارى وإن خالف هذه التعاليم أكثرهم.)[1]

وكون رسالة الإسلام تعنى بهذين الجانبين المهمين يدلّ على سعة أفقها حيث اهتمت بإصلاح روح العبد وعقله وفكره وقوله وعمله، وعنيت بالفرد من جميع جوانبه، كما عنيت بالمجتمع من جميع أطرافه، وقد وضعت رسالة الإسلام ذلك النظام الشامل الفريد السياسي والاجتماعي والاقتصادي وغيره مع مراعاة جانبي العقل والروح في الإنسان بل إنّ هذا مما يشهد بعظمة هذه الرسالة الخالدة حيث لاتباعد بين المادة والروح ولا تفصل بين الدنيا والآخرة، بل تنظر إلى الحياة على أنّها وحدة متكاملة بين حق الإنسان لربه، وحقّه لنفسه وحقّه لغيره.. وبهذا يتسنّى للإنسان أن يمارس الحياة العمليّة الواقعيّة بكل طاقاته وأشواقه

---

(١) انظر : الوحي المحمدي - السيد محمد رشيد رضا ٢٠٣.

على أسس من المبادئ الإسلامية توافق الفطرة، وتتلاءم مع واقعيّة الحياة.

فالإسلام بتشريعه المتكامل لايقرّ الحرمان ولا الترهبن ولا العزلة الإجتماعية، وفي الوقت ذاته لايقرّ للإنسان أن ينهمك بكليّته في الحياة الماديّة وينسى ربه والدار الآخرة، بل يهيب به أن يتوازن مع هذا وذاك، وأن يعطي حق الله وحقّ نفسه وحقّ الناس. دون أن يُغلّب حقاً على حقّ أو يهمل واجباً على حساب واجب آخر.

وقد حضّ القرآن على هذا التوازن بين المادة والروح في كثير من آياته التي تلامس المشاعر والوجدان قبل أن تخاطب عقل الإنسان. ففي تذكيره بأداء حق الله في العبادة في غمرة الإنهماك في الأعمال الدنيوية والمزاولة التجاريّة يقول تعالى: ﴿ رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾[1]

وفي تذكيره بأداء حق النفس في التكسّب وابتغاء الرزق في غمرة المناجاة الربّانية يقول تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله .. ﴾[2]

ومن الأصول التي جاءت بها هذه الرسالة الخالدة الموازنة بين ابتغاء الدار الآخرة مع الأخذ بحظوظ الدنيا، قال تعالى ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ [3]

ونهت هذه الرسالة من يحرم على نفسه الزينة والطيبات من الرزق، قال تعالى : ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة

(١) سورة النور / الآية ٣٧.
(٢) سورة الجمعة / الآية ١٠.
(٣) سورة القصص / الآية ٧٧.

الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾[١]

وما ذاك إلاّ ليوازن الإنسان بين الدين والدنيا والآخرة والأولى [٢]

عاشراً- يسر الإسلام وسهولته :

إنّ رسالة الإسلام جاءت تحمل اليسر والسهولة والموافقة لكثير من طبائع الناس وعاداتهم، ووافقت فطرهم السليمة، فرسالة الإسلام قليلة التكاليف، سهلة الفهم، فقد كان الأعرابي يجيء إلى النبي ﷺ من البادية فيسلم فيعلمه ماأوجب الله عليه، وما حرّم عليه في مجلس واحد فيعاهده على العمل به فيقول: «أفلح الأعرابي إن صدق» فعن طلحة بن عبيد الله قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس، نسمع دويّ صوته ولا نفقه مايقول. حتى دنا من رسول الله ﷺ فإذا هو يسأل عن الإسلام. فقال رسول الله : خمس صلوات في اليوم والليلة فقال : هل عليّ غيرهنّ؟ قال لا إلاّ أن تطوّع. وصيام شهر رمضان فقال : هل عليّ غيره؟ فقال: لا إلاّ أن تطوّع، وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة. فقال: هل عليّ غيرها؟ قال لا إلاّ أن تطوع، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لاأزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق)[٣]

ولسهولة فهم الإسلام قبله الناس قبولاً عظيماً [٤]

والمتتبع لرسالة الإسلام الغراء يجدها تمتاز باليسر والبساطة والمعقولية، فتمتاز باليسر لأن مبادئها الأساسية ميسّرة وميسورة، كما قال تعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا

---

(١) سورة الأعراف / الآية ٣٢.

(٢) للإستزادة انظر: الإسلام شريعة الزمان والمكان - عبد الله علوان، ٣٢-٣٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان ، باب: بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، ١/ ٤٠-٤١، رقم ١١.

(٤) انظر الوحي المحمدي - السيد محمد رشيد رضا، ٢٠٥.

يريد بكم العسر ﴾[١]

وقوله : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾[٢] وقوله ﴿ لايكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾[٣]

وقوله ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ﴾[٤]

فهذه النصوص تؤكد تأكيداً جازماً سماحة الإسلام في مبادئه، فلا يكلف الإنسان فوق طاقته ولا يحمل من المسئوليات مالايستطيع لحمله وفوق. استعداده، وكل تكاليف الإسلام تدخل في حيّز الامكان البشري والطاقة الانسانية، لكي لايكون للانسان عذر أو حجة في التخلّي عن أمر شرعي أو ارتكاب مخالفة إسلامية فمن يسر الإسلام أن شرع الحج مرة في العمر، ومن يسرالإسلام أن شرع الزكاة على الأغنياء مرة في العام إذا ملك النصاب، ومن يسر الإسلام أن جعل الصيام مرة في العام، وجعلت الصلوات خمس مرات

في أوقات متفاوتة في اليوم والليلة، وتؤدى هذه الصلوات في أي مكان طاهر، ومن اليسر أن تؤدى بالتيمم إذا فقد الماء أو تعذّر استعماله، وأن تؤدى قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً عند الحاجة لذلك في العجز أو المرض. ومن اليسر: قصر الصلاة الرباعية مع جمع الرباعيتين في السفر.

ومن يسر الإسلام : إباحة تناول المحرم كشرب الخمر أو أكل الميتة عند الضرورة وإذا أشرف الإنسان على الهلاك، فالضرورات تبيح المحذورات.

ومن بساطة هذه الرسالة: أنّ باب التوبة فيها مفتوح لكل من يطرق الباب منيباً

---

(١) سورة البقرة / الآية ١٨٥

(٢) سورة الحج / الآية ٧٨.

(٣) سورة البقرة / الآية ٢٨٦.

(٤) سورة البقرة / الآية ١٧٢.

صادقاً مهما كان والغاً في الكفر متمادياً في العصيان والفسوق بدون واسطة مخلوق.[١]

وقد جعل الله هذا الدين يسراً ونهى عن الغلوّ فيه والعسر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إنّ هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسدّدوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)[٢]

وعن أبي موس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺإذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: بشّروا ولا تنفّروا، ويسّروا ولا تعسّروا)[٣]

الحادي عشر- المساوات بين جميع الناس في الحقوق والواجبات :

تقوم شريعة الإسلام على أساس العدالة والمساواة بين جميع الناس بينما يميّز التشريع الروماني بين الحاكم والمحكوم، وبين الشريف والضعيف. فقد أعلن الإسلام: أن الناس سواسية كأسنان المشط وأن أكرمهم عند الله أتقاهم، وقد وازن بين مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد دون طغيان إحداها على الأخرى، وراعى التقاليد والأعراف التي تعبّر عن تطوير المجتمعات في إطار حدود الله وشريعته فيما لانصّ فيه.)[٤]

إنّ رسالة الإسلام لم تفرق بين الناس في أداء الحقوق الواجبة عليهم بل جعلتهم سواسية

---

(١) انظر: الإسلام شريعة الزمان والمكان - عبد الله علوان ٤٤-٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، وقول النبي ﷺ (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة) ٩٣/١ رقم ٣٩ .

وأخرجه النسائي في كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: الدين يسر ، صحيح سنن النسائي - الألباني ١٠٣٦/٣ رقم ٤٦٦١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير ، باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير، ١٣٥٨/٣ رقم ١٧٣٢ للإستزادة انظر: يسر الإسلام وأصول التشريع العام - السيد محمد رشيد رضا ٤٥.

(٤) الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة - أنور الجندي ٢٥ .

أمام هذه الحقوق، وأهم هذه الحقوق، حقّ الله تعالى فلم يوجب الإيمان أو العبادة بأنواعها على العامة دون الخاصة فعن معاوية بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رِدْفَ النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلاّ مؤخرة الرحل فقال : يامعاذ بن جبل. قلت لبيك يارسول الله وسعديك - ثلاثاً - قال: هل تدري ماحقّ الله على العباد ؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم. قال: فإنّ حقّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة ثم قال : يامعاذ بن جبل قلت لبيك يارسول الله وسعديك. قال: هل تدري ماحقّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال : قلت الله ورسوله أعلم . قال: أن لايعذبهم)[1]

بل كانت تعليم هذه الرسالة موجهة إلى كل البشر كما قال تعالى : ﴿ قل ياأيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض. لاإله إلاّ هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأميّ الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾[2]

فعبادة الله وطاعته وعدم الإشراك به واجبة على جميع الناس، وكذا حقوق الآخرين فإنّ الإسلام يساوي بين أتباعه في المثول أمام القضاء، بل إنّ الإسلام ليحاسب القاضي والوالي بل الحاكم إن وقع منه شيئ من الزلل ولقد غضب رسول الله ﷺ حينما شفع لديه في حدٍّ من حدود الله مع أنّ الشافع من أحبِّ الناس إليه. ولكن الحقّ أحق أن يتبع. عن عائشة رضي الله عنها أنّ قريشاً أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح فقالوا: من يكلّم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلاّ أسامة بن زيد، حبّ رسول الله ﷺ، فأتى بها رسول الله ﷺ فكلّمه فيها أسامة بن زيد. فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال: أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟ فقال له أسامة: استغفر لي يارسول الله. فلمّا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ١/٥٨ رقم ٣٠.

(٢) سورة الأعراف / الآية ١٥٨.

كان العشيُّ قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أمّا بعد فإنّما أهلك الذين من قبلكم، أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه . وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ. وإنّي والذي نفسي بيده لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدُها.

قالت عائشة رضي الله عنها: فحسنت توبتها بعد وتزوجت. وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ.)[١]

إنّ الإسلام لايفضل جنساً على جنس، بل إنّ عقيدة الإسلام أنصفت الناس وعدلت بينهم، ويقفون فيها على قدم المساواة حاكم ومحكوم سواء ﴿ وتمّت كلمات ربّك صدقاً وعدلاً لامبدّل لكلماته وهو السميع العليم ﴾[٢]

الثاني عشر - وفاؤها بحاجات البشر :

جاءت رسالة الإسلام في أمة رسخت تحت أعباء الجاهلية، واكتست من الجهل سربالاً من العقائد المنحرفة والتشريعات الضالة وشيء من الأخلاق الرذيلة، والمجتمع المتفكك، لاسياسة توحّد صفوفهم ولا مصلحة اقتصادية تربط بينهم، ديدنهم توارث الأحقاد والعداوات، وشأنهم إشعال الحروب، يهضمون حقّ المرأة كل الهضم، ويسترقون أحرار الرجال بلا حقّ، ويكبّلون العقول، ويقيدون الأفكار وكان القوم في الجاهلية، يعبدون الأصنام والأوثان، ويسجد أحدهم للتمرة ثم يأكلها وكان المجتمع آنذاك يقوم على العصبيات والفوارق الاجتماعية من التمايز والتفاضل بينهم والذي يقوم على الحسب والنسب، يهجو

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود ٣/١٣١٥رقم١٦٨٨.

(٢) سورة الانعام / الآية ١١٥، انظر العقيدة وأثراها في بناء الجيل - د. عبد الله عزام ٨٧ - ٨٨.

شاعرهم قبيلة ظلماً وعدواناً فيطأطئ أفراد القبيلة رؤوسهم خجلاً، أو ينتقمون من الشاعر ومن قبيلته، تقوم الحروب بينهم لأتفه الأسباب وأحقر الأمور.

وجاءت رسالة الإسلام بإصلاح العقيدة بالتوحيد، والتذكير بالمبدأ والمعاد، وإصلاح القصد في العبادة، بإرشادهم إلى مايزكي النفوس ويطهّر القلوب، وجاءت الرسالة بإصلاح الأخلاق وبيان فضلها والأمر بالتحلي بها، وكشف رذائلها والتحذير منها، وإصلاح المجتمع بإزالة الفوارق الاجتماعية، والإرشاد إلى (لافضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى)[1]

وجاءت الرسالة بإصلاح سياسة البلاد في الداخل والخارج، وإصلاح الإقتصاد وإصلاح المال فأمرت بالزكاة والصدقة وحرّمت الربا وحثّت على الزراعة،والصناعة، والانتاج وحذّرت من البطالة، وأعطت للمرأة حقوقها اللائقة بها ،وأقامت الرسالة النظام الصحيح في الحروب بشروطها وتوضيح مبادئها وغاياتها والوفاء بالمعاهدات وآثرت السلم على الحروب، وحثت الرسالة على عتق الرقاب وتحرير الأرقّاء، وحذّرت من الجور عليهم والظلم لهم، واسترقاق الأحرار بغير حقّ ورسالة الإسلام جاءت مُصْلحة لأحوال البشر من حيث عقولهم وقلوبهم وأجسامهم، وحثت على طلب العلم والتعلّم والافادة من هذا العلم وجعلت طلبه ضرورة، وميّزت العالم على غيره وأبانت رسالة الإسلام ماينبغي فعله في هذه الدنيا، ووافقت في كثير من تعاليمها طبائع الناس وعاداتهم)[2]

إنّ رسالة الإسلام جاءت لتشبع جوعة الإنسان للعبادة، والتي لايسدّها إلاّ منهاج الله سبحانه، فلا تملؤها النظم الفلسفيّة ولا السلطان السياسي ولا الثراء المالي .

وهذه الجوعة الفطرية للجوء إلى قوة عليا تبرز بادية للعيان أمام الأعاصير والكوارث والمحن.

---

(١) أخرجه الامام أحمد في المسند ٥/٤١١ رقم ٢٣٥٣٦.

(٢) للاستزادة انظر : خصائص القرآن الكريم - د. فهد بن عبد الرحمن الرومي ٧٢-٧٥.

فهذا استالين الذي كان يقول : « لاإله والحياة مادّة »
يضعف أمام هول الحرب العالمية الثانية فإذا به يخرج به القساوسة من السجن حتى يدعوا له بالنصر.

وحينما اشتدّ به المرض أرسل وراء القسّيس حتى يصلي له ويستغفر[1].

إنّ حاجات البشر كثيرة ومتعددّة وربّما لبّت بعض الفلسفات المعاصرة بعضها لكن رسالة الإسلام أشبعت جميع حاجات البشر من الحاجات الدينية والنفسية والصحّية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وهذا مما يدلّ على أنّها الرسالة التي ينبغي أن تقدّس وتبقى وتتبع.

١٣- جاءت الرسالة بروح التعارف والأخاء :

لقد حملت رسالة الإسلام بين جنباتها هذه المعاني العظيمة من روح التعارف والإخاء بين المسلمين أنفسهم بل أمرت أن يكون أفراد المجتمع جميعاً كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، وقد حثّ الإسلام في نصوص متعدّدة على ضرورة التعارف بين النّاس عند التلاقي كما قال تعالى : ﴿ ياأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ... ﴾[2]

وجعل الإسلام مفتاح التعارف واللقاء، البدء بالسلام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :(والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا

---

(١) انظر : العقيدة وأثرها في بناء الجيل - د. عبد الله عزام ٨٦ - ٨٧.

(٢) سورة الحجرات الآية / ١٣.

السلام بينكم)[١]، وحثت رسالة الإسلام على التآخي بين المسلمين كما قال تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة...﴾[٢]

بل لقد حصرت صفة الإيمان في التحلي بهذه الصفة الحميدة.

ويشير القرآن الكريم إلى ماكان عليه صاحب هذه الرسالة العظيمة وهو محمد بن عبد الله ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم من التآخي والتواصل والمحبّة فيما بينهم، قال تعالى : ﴿ محمد رسول الله. والذين معه أشداء على الكفّار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً. سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فاستوى فاستغلظ على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾[٣]

وقد سطر المهاجرون والأنصار أروع السير والقصص حول هذه المعاني العظيمة وقد تأثروا بما حملته رسالة الإسلام إليهم فأثرت في نفوسهم ودعتهم إلى التطبيق العملي لذلك.

كما قد أشار القرآن إلى بعض حالهم، ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مّا أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[٤]

ولم تقف النصوص الشرعيّة عند هذا الحدّ بل إنّ الله سبحانه وتعالى ينادي يوم القيامة أولئك المتحابين فيه ليظلّهم بظله يوم لاظلّ إلاّ ظلّه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه لايدخل الجنّة إلاّ المؤمنون، وأنّ محبّة المؤمنين من الإيمان وأنّ إفشاء السلام سبب لحصولها ١/٧٤ رقم ٥٤.

(٢) سورة الحجرات / الآية ١٠.

(٣) سورة الفتح / الآية ٢٩.

(٤) سورة الحشر / الآية ٩ .

قال قال: رسول الله ﷺ : إنّ الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي. اليوم أظلّهم في ظلّي. يوم لاظلّ إلاّ ظلّي)[١] وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله عز وجل : المتحابّون في جلالي، لهم منابر من نور يغبطهم النّبيون والشهداء)[٢]

الرابع عشر - عدم الإكراه على دخول الإسلام :

جاءت رسالة الإسلام تخاطب العقل والروح وتساير الفطرة الصحيحة التي فطرت على الحينفيّة السمحة ملة أبينا إبراهيم ﷺ، ولم تكره الناس على الدخول في هذا الدين، بل حثّتهم عليه وأبانت لهم مزاياه وفضله على سائر الأديان السماوية فضلاً عن المذاهب الانسانية البشريّة.

وقد برزت قاعدة عدم الإكراه على دخول الإسلام كما قال تعالى :

﴿ لاإكراه في الدين... ﴾[٣]

لاسيّما إذا كان الإنسان على دين له أصل سماوي كاليهودية أو النصرانية مثلاً فإنه لايلزم بدخول الإسلام، فإن رغب وإلاّ فرضت عليه الجزية وبقي على دينه الذي يدين الله به وحسابه يوم القيامة على الله، وأمّا الكفار والوثنيون فإنّ الإسلام خالفهم تمام المخالفة لاسيّما بعد أن قويت شوكة الإسلام وظهر سنانه وارتفعت أركانه فإنه يوجب عليهم الدخول في الدين الإسلامي لأنهم يقيمون على الاشراك بالله، ويرى بعض المفسّرين أنّ الآية المتقدمة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: في فضل الحب في الله، ١٩٨٨/٤ رقم ٢٥٦٦.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب: الزهد، باب: ماجاء في الحبّ في الله، صحح سنن الترمذي - الألباني ٢٨٤/٢ رقم ١٩٤٨.

(٣) سورة البقرة / الآية ٢٥٦

نزلت في أهل الكتاب خاصة وأنهم لايكرهون على الإسلام إذا أدّوا الجزية، بل الذين يكرهون هم أهل الأوثان، فلا يقبل منهم إلاّ الإسلام أو السيف وإلى هذا ذهب الشعبي والحسن وقتادة والضحاك رحمه الله ويرى بعض المفسرين : أنه لايكره أحد على الدخول في دين الإسلام فإنه بيّن واضح جليّ بدلائله وبراهينه، فلا يحتاج إلى أن يكره أحد ما على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوّر بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنّه لايفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً، والواجب تقديم الدعوة للناس بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي أحسن إن ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [1]

وكما قال تعالى : ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾[2] وقد كان قادة الفتح الإسلامي يخيّرون أصحاب البلاد المفتوحة في ثلاثة أمور: إمّا قبول الإسلام، أو دفع الجزية أو القتال لمن أبى، فكانت الدعوة تسبق القتال .

ذكر ابن كثير رحمه الله أنّ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله عز وجل قبل وقعة القادسية. فلمّا دخلوا عليه وسألهم عن سبب قدومهم إلى هذه البلاد بيّن له النعمان بن مقرّن رضي الله عنه ذلك : (بأن الله رحم العرب فأرسل لهم رسولاً يدلّهم على الخير وينهاهم عن الشرّ).

---

(١) سورة النحل / الآية ١٢٥.

(٢) سورة يونس / الآية ٩٩.

انظر: فتح القدير- الشوكاني ١/٢٧٤-٢٧٥.

ثم قال (وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الانصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين الإسلام، حسّن الحسن، وقبّح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شرّ منه الجزاء (الجزية) فإن أبيتم فالمناجزة، وإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن أتيتمونا بالجزية قبلنا ومنعناكم وإلاّ قاتلناكم)[1]

ولقد كانت غزوات الإسلام معدودة وكان قتلى هذه الغزوات يعدّون بالعشرات كل ذلك يدلّ على أنّ رسالة الإسلام لم تجئ لتسفك الدماء ولكنّها جاءت لتحرّر العقول من عبادة الطواغيت بأنواعها إلى عبادة ربّ العباد.

هذه أهم الأدلة العقلية على صحة رسالة نبيّنا محمد ﷺ ، وفيما يأتي سأتحدث إن شاء الله عن الأدلة العلمية على وجود الخالق سبحانه وتعالى .

---

(١) انظر : البداية والنهاية - ابن كثير، ٧/ ٤٠-٤١

للاستزادة انظر : خصائص الدعوة الاسلامية - محمد أمين حسن ١٦٤ - ١٦٦.

الفصل الثاني

(الأدلـــة العلمـــية)

المبحث الأول

(الأدلة العلميّة على وجود الخالق)

يمتاز عصرنا الحاضر بالتقدّم العلمي، لوفرة ما اكتشف فيه من دقائق العلم والمعرفة - مع أنّ الذي اكتشف قليل لأنّ علم البشر محدود ﴿ وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً ﴾ [1]-

وقد ساق هذا الاكتشاف كثيراً من العلماء الملاحدة إلى الإيمان بالله تعالى فإنّ العلم في العصر الحديث قد أثبت بما لايقبل الجدل ولا الشك وجود الله سبحانه وتعالى وهذا الإيمان يقوم على أساس متين من العلم والمعرفة والطمأنينة في الاعتقاد، فضلاً عن وجود الفطرة السويّة التي فطر عليها الناس والتي من مستلزماتها: الإقرار بوجود خالق عظيم لهذا الكون يستحق العبادة والتقدير، ولقد أقام الله سبحانه وتعالى مئات الأدلة على وجوده سبحانه ولعلّ منها ماأشار إليها قوله تعالى: ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنّه الحق أو لم يكف بربّك أنّه على كل شهيد ﴾[2]

وسأتطرق في البحث -إن شاء الله- إلى ثلاثة أدلة تشير وتثبت وجود الله عن طريق العلم الحديث فضلاً عن إثباتها لوجوده سبحانه بالشرع والعقل وهي كما يلي :

الدليل الأول : خلق الإنسان .

الدليل الثاني : خلق الحيوان.

الدليل الثالث: خلق النبات .

---

(١) سورة الإسراء / الآية ٨٥.

(٢) سورة فصلت / الآية ٥٣.

الدليل الأول : خلق الإنسان :

إنّ خلق الإنسان بشكله السوي من أكبر الآيات والأدلة العلمية على وجود الخالق سبحانه ولقد ركّز القرآن الكريم على إثارة مافي النفس من ضرورة التفكّر والنظر بعين الاعتبار إلى ذات الإنسان وكيف خلق، وممّ خلق، لعلّ هذا الإنسان يرجع من غيّه وغفلته إلى رشده وفطرته. ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾[1]

قال قتادة : المعنى من تفكّر في نفسه علم أنه خلق ليعبد الله .

وقال ابن شريك : هذا الإنسان يأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين، ولو شرب لبناً محضاً لخرج منه الماء ومنه الغائط، فتلك الآية في النفس)[2]

وهذا المخلوق الإنساني هو العجينة الكبرى في هذه الأرض، ولكنّه يغفل عن قيمته وعن أسراره الكامنة في كيانه وحيثما وقف الإنسان يتأمل عجائب نفسه التقى بأسرار تدهش وتحيّر، تكوين أعضائه وتوزيعها، وظائفها وطريقة أدائها لهذه الوظائف، عمليّة الهضم والامتصاص، عمليّة التنفس والاحتراق، دورة الدم في القلب والعروق، الجهاز العصبي وتركيبه وإدارته للجسم، الغدد وإفرازها وعلاقتها بنمو الجسد ونشاطه وانتظامه وكذا بقية الأجهزة الأخرى في ذات الإنسان، وكل جزئية في حياة هذا المخلوق تقفنا أمام خارقة من الخوارق، لاينقضي منها العجب، وهذه العجائب لايحصرها كتاب، فالمعلوم المكشوف منها يحتاج تفصيله إلى مجلدات، والمجهول منها مايزال أكثر من المعلوم.)[3]

وسأتحدث - إن شاء الله- في هذا الدليل عن كل مايتعلق بالإنسان على وجه الإجمال وما فيه دلالة على إثبات قضية وجود الخالق سبحانه عدا مسألة تكوين الإنسان من نطفة فسأرجئ الحديث عنها لتكون مفصلة في المبحث الثاني من هذا الفصل - إن شاء الله-[4]

---

(١) سورة الذاريات / الآية ٢١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٧/ ٤٠.

(٣) في ظلال القرآن - سيد قطب ٦/ ٣٣٧٩- ٣٣٨٠ بتصرف.

(٤) انظر ص ٢٨٢ من هذا البحث.

□ **الانسان في أرقام وكلمات:**

١ - يزن القلب حوالي ٣١٢ غراماً، حجمه في قبضة اليد، تبلغ ضربات قلب الرجل من ٦٠-٨٠ في الدقيقة وينبض في العام حوالي ٤٠ مليون مرة، وفي كل نبضة يدخل القلب حوالي ربع رطل من الدم ويضخ في يوم واحد ٢٢٠٠ جالون من الدم وحوالي ٥٦ مليون جالون على مدى حياة بأكملها.

فهل يستطيع محرك آخر القيام بمثل هذا العمل الشاق لمثل تلك الفترة الطويلة دون أن يحتاج إلى إصلاح.

٢ - الدم الذاهب إلى الدماغ يعود إلى القلب في ٨ ثوان، بينما يعود الدم الذاهب إلى أصابع القدم في ١٨ ثانية.

٣ - يوجد في الدم خمسة ملايين كرية حمراء في كل ملمتر مكعب واحد من الدم.

٤ - يحتوي الجسم البشري على أكثر من ٦٠٠ عضلة وأكثر من ٢٠٠ عظم وتحتوي العضلة متوسطة الحجم على ١٠ملايين ليف عضلي.

٥ - يتنفّس الإنسان في كل يوم ٢٥ ألف مرّة يسحب فيها ١٨٠ متر مكعب من الهواء منها ٦,٥ متر مكعب من الأوكسجين إلى الدم.

٦ - تحتوي المعدة على ٣٥ مليون غدّة للإفراز.

٧ - يحتوي الدماغ على ١٣ مليار خليّة عصبيّة و ١٠٠ مليار خلية دبقيّة استنادية تشكل سداً ماردا لحراسة الخلايا العصبيّة من التأثر بأية مادّة.

٨ - تشتمل العين على حوالي ١٤٠ مليون مستقبل للضوء وهي ماتسمى بالمخاريط والعصي، ويبلغ عدد المخاريط في كل عين ٧ ملايين وعدد العصبيات ١٣٠ مليون، مهمة الأولى للضوء المركز والألوان، والثانية للضوء الضعيف والعادي، هذه المخاريط

والعصي تمثّل شبكيّة الاستقبال في العين .

٩ - في شبكيّة الأذن حوالي ٣٠ ألف خليّة سمعيّة لنقل كافة أنواع الأصوات.

١٠- في المبيض عند المرأة بويضات جاهزة تصلح كل واحدة أن تكون نصف إنسان، يبلغ عددها في المبيض الواحد (٤٠٠,٠٠٠) بويضة ولا يفرز من هذه البويضات في كل دورة قمريّة (٢٨) يوماً سوى بيضة واحدة، ويتناوب المبيضان في الإفراز بالحالة الطبيعيّة .

١١- يعتبر الكبد أكبر غدد البدن إذ يزن ١٥٠٠ غرام ويحوي ٣٠٠ مليار خليّة، يمكن أن تتجدّد كلياً خلال أربعة أشهر فخلاياه أسرع من خلايا الجنين المعروفة بسرعة الإنقسام، ووظائف الكبد مدهشة مابين مستودعات السكر والدهن والفيتامين أو احتجاز السموم وقلبها إلى مواد غير ضارة أو تحويل الفضلات.

١٢- تزن الكلية الواحدة ١٥٠ غراماً، فيها مليون وحدة وظيفية لتصفية الدم، ويرد إلى الكلية في مدى ٢٤ ساعة ١٨٠٠ لتر من الدم، ومن أبرز وظائف الكلى تصفية الدم من كل شوائبه، وغير ذلك.[١]

ويقف الإنسان أمام هذه الأرقام والكلمات في حيرة أمام عظمة الخالق وإعجاز الخلق ويتبين هاهنا قول الله تعالى ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شئ ﴾[٢] وهذا الإتقان العظيم في الخلق يتحدى به الخالق غيره في إمكانية الخلق ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾[٣]

---

(١) للاستزادة انظر: الطب محراب للإيمان - د. خالص جلبي، ٢/٢٩٥-٣٠٥.

(٢) سورة النمل / الآية ٨٨.

(٣) سورة لقمان / الآية ١١.

إنّ آيات الله ترى وتشهد بوجود الخالق وعظمته ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾[1]
ولقد أبان الخالق أنه سيرينا بعض آياته في الآفاق وفي الأنفس لعلنا نستفيد ونتعظ.
﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق أو لم يكف ربك أنه على كل شهيد ﴾[2].

❑ التوزيع المتوازن للأجهزة والأعضاء :

من الملاحظ أنّ الكائن الحي له جانبان : أيمن وأيسر، ولتحقيق التوازن بحيث يتحرك الكائن الحي متزناً، فلا يكون هناك جانب خفيف وآخر ثقيل يميل إليه، قدّر الخالق العظيم ذلك التوزيع الجانبي المتوازن في مختلف أجهزة الإنسان وأعضائه الظاهرة والباطنة.

فمن الأعضاء الظاهرة التي تتوسط الجسم : الأنف والفم في الوجه، وأعضاء التناسل أسفل البطن ثم يلاحظ بعد ذلك التوازن فمثلاً في التوزيع الجانبي المتوازن لبقية الأعضاء: فنلاحظ ونجد عيناً وأذناً ويداً وثدياً ورجلاً عن يمين ونلاحظ ونجد مثل ذلك عن شمال بنفس الحجم والمقدار ولم يقتصر هذا التوازن على الأعضاء الظاهرة بل شمل الأعضاء والأجهزة الباطنة أيضاً، ففي مقابل الكلية اليمنى نجد كلية يسرى مساوية في الحجم وفي مقابل الرئة اليمنى نجد رئة يسرى لاتقل عنها في الحجم إلاّ قليلاً، كما نجد التفرع الداخلي للقصبة الهوائية في كل من الرئتين متوازناً. ويطرد هذا التوازن في الأجهزة العظمية والعصبيّة والدورية. فسبحان الذي أحسن كل شئ خلقه [3]

وقد خلق جسم الإنسان وقدّر فيه التوازن المائي والتوازن الحراري والتوازن الهرموني

---

(١) سورة الذاريات/ الآية ٢١.

(٢) سورة فصلت/ الآية ٥٣.

(٣) انظر : وجود الله، دلائله من العلم الحديث - جمال الدين عيّاد ١٩-٢٧.

والتوازن السكري والتوازن المعدني، وقدّر في هذا الجسم الصغير الضعيف المعجز لزوجة الدم، بين التخثّر والتميّع، وقدّر تفاعل الدم بين الحموضة والقلوية، وقدّر اتزان خلايا الجسم بين التصنيع والاستهلاك، يعود هذا إلى تقدير العزيز العليم الذي خلق جميع الأشياء وجعل لها مقادير مخصوصة في أجناسها وأنواعها وأفرادها وصفاتها وأفعالها وآجالها ﴿ وخلق كل شئ فقدّره تقديراً ﴾ (١)

□ الهيكل العظمي :

هو مجموعة العظام التي هي دعامة وقوام للإنسان كي يعتمد عليها في القيام والحركة وحفظ أجهزته الداخلية مثل (القلب والرئتين والمعدة والأمعاء) .

وهي مثل الأساس الصلب للبناء، فلولاه لسقط البناء وتهدم، كذلك لولا وجود الجهاز العظمي :

- لسقط الإنسان على الأرض وتبعثرت أجزاؤه .
- ولولا وجود عظام الرقبة لسقط الرأس على الصدر،
- ولولا وجود عظام الرجلين لجلس الإنسان على الأرض ولم يتحرك .(٢)

فالعظام قوام للبدن وعمادٌ له، وقد خلقت بتقادير مختلفة وأشكال مختلفة، فمنها الصغير والكبير والطويل والقصير والمنحني والمستدير والدقيق والمصمت والمجوف، ومن العظام ماتركيبه تركيب الذكر في الأنثى ومنها، تركيبه تركيب اتصال فقط، قد اختلفت أشكالها باختلاف منافعها ولما كان الإنسان محتاجاً إلى الحركة بجملة بدنه وبعض أعضائه

---

(١) سورة الفرقان / الاية ٢ ، انظر : رحلة القلب السليم في آثار رحمة الله عز وجل - محمد بن صفوك العلي ١٦٧-١٦٨.

(٢) وفي أنفسكم أفلا تبصرون - أنس بن عبد الحميد القوز ٨١.

للتردّد في حاجته لم تجعل عظامه عظماً واحداً بل عظاماً متعددة، وجعل بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة، وكان قدر كل واحد منها وشكله على حساب الحركة المطلوبة منه، وقد شُدّت تلك المفاصل والأعضاء وربط بعضها ببعض بأوتار ورباطات.

ولولا المفاصل لتعذّر تحريك البدن، وقد احتوى رأس الإنسان على خمس وخمسين عظماً مختلفة الأشكال والمقادير والمنافع، وهذا يدلّ دلالة قاطعة على دقة خلق الإنسان وتعقيد صنعه وعلى أنّ وراء هذا المخلوق خالق عظيم هو الذي خلق فقدّر فهدى .[١]

❑ حواس الإنسان :

خُلق الرأس في أعلى البدن من جسد الإنسان، ولشرف هذا الجزء من الجسد كان عالياً على البدن وجعلت فيه الحواس الخمس وآلات الإدراك من السمع والبصر والشّم، والذوق واللمس، وجعلت حاسة البصر في مقدّمه ليكون كالطليعة والحرس، والكاشف للبدن، وركبت كل عين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص، ومقدار مخصوص، ومنفعة مخصوصة، لو فقدت طبقة من تلك الطبقات السبع أو زالت عن هيئتها وموضوعها لتعطّلت العين عن الإبصار.[٢] ويعتبر البصر مع السمع: الجهاز المميّز عند الإنسان، والنوافذ التي يطلّ منها على العالم الخارجي ويتلقى منها المدركات، ويكيّف وجوده حسب الأخبار التي تصل إليه من العالم الخارجي .[٣]

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة. ابن القيم ١/١٨٩.

(٢) المرجع السابق ١/١٨٩.

(٣) الطب محراب للإيمان - د.خالص جلبي ١/٢٠٢.

ويذكر القرآن السمع مقدماً دائماً على البصر [١] رغم أنّ النظرة العامة إلى الأمور تنظر إلى البصر بإجلال أكثر رغم أن علوم التشريع والفسيولوجيا التي اهتدت إلى الحقيقة لم تكن معروفة آنذاك ؟!.

إنّ جهاز السمع أرقى وأعقد وأدقّ وأرهف من جهاز الإبصار ويمتاز عليه بإدراك المجردات كالأصوات وإدراك التداخل مثل حلول عدة نغمات داخل بعضها البعض مع القدرة على تمييز كل نغمة على انفراد كما تميّز الأم صوت بكاء ابنها من بين زحام آلاف الأصوات المتداخلة، ويتم هذا في لحظة يسيرة من الزمن. أما العين فإنها تتيه في زحام التفاصيل ولاتعثر على ضالّتها، يتيه الابن عن عين أمّه في الزحام، ولا يتيه عن سمعها، والعلم يمدّنا الآن بألف دليل على تفوّق السمع على البصر ولم يكن هذا العلم موجوداً أيّام نزول القرآن ممّا يدل على إعجازه العلمي الذي يثبت وجود الخالق وقدرته الفائقة [٢]

❑ السمع :

خُلقت الأذن أحسن خلقة وأبلغها في حصول المقصود منها، فجعلت مجوّفة كالصدفة لتجمع الصوت فتؤديه إلى الصماخ، وليحسّ الإنسان بدبيب الحيوان فيها فيبادر إلى إخراجه، وجعل فيها غضوناً وتجاويف واعوجاجات تمسك الهواء والصوت الداخل فتكسر حدّته ثم تؤديه إلى الصماخ.

ومن حكمة ذلك: أن يطول به الطريق على الحيوان فلا يصل إلى الصماخ حتى

---

(١) ومن الأمثلة على ذلك : سورة البقرة آية ٢٠، سورة النحل آية ٧٨، وسورة يونس آية ٣١، وسورة الأحقاف آية ٢٦، وسورة فصّلت آية ٢٠، وسورة مريم آية ٣٨، وسورة المؤمنون آية ٧٨، وسورة الإسراء آية ٣٦، وسورة الأنعام آية ٤٦، وسورة محمد آية ٢٣، وسورة الإنسان آية ٢.

(٢) إعجاز القرآن العلمي - د. محمود مهدي الاستانبولي ١٣٩-١٤٤.

يستيقظ أو ينتبه لإمساكه.

وقد جعل ماء الأذن مرآً في غاية المرارة فلا يجاوزه الحيوان ولا يقطعه داخلاً إلى باطن الأذن. بل إذا وصل إليه أعمل الحيلة في رجوعه [1]

وتتكوّن الأذن من ثلاثة أجزاء :

١ - أذن خارجيّة .

٢ - أذن وسطى .

٣ - أذن داخليّة .

فالأذن الخارجيّة تتكون من صنوان على شكل بوق يقوم بتجميع الأصوات وتركيزها ، ثم قناة طويلة متعرجة تسمى قناة الأذن الخارجية، تحتوي على غدد شمعيّة تقوم بإفراز مادة شمعيّة لاصقة تلتصق بها الأجسام الغريبة.

والأذن الوسطى : هي حجرة عظيمة مكعبة الشكل، تحتوي على عظيمات ثلاث متناهية في الصغر تسمى بالمطرقة والسندال والركاب، وهي متصلة ببعضها.

وطبقة الأذن : هي غشاء رقيق يفصل بين الأذن الخارجية والأذن الوسطى .

والأذن الداخليّة : تتخذ شكل القوقعة العظيمة، وتحتوي على سائل شفاف رقيق وتتصل هذه الأذن الداخلية بالعصب المختص بحاسة الشمع.

وتتم عملية السمع للإنسان بحيث تنتقل الأصوات على هيئة ذبذبات أو موجات صوتيّة ينقلها الهواء إلى الأذن الخارجية وتقع هذه الإهتزازات على طبلة الأذن التي تهزّ

---

(١) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ١/ ١٩٠.

بدورها وتنقل هذه الذبذبات إلى العظيمات الثلاثة الموجودة داخل تجويف الأذن الوسطى، ثم إلى السائل الموجود داخل الأذن الداخلية الذي يهتزّ بدوره أيضاً ثم تنتقل هذه الذبذبات إلى العصب السمعي ومنها إلى مركز السمع الموجود في المخ الذي يقوم بتفسير هذه الذبذبات وتفهم معناها (١)

وفي الأذن مائة ألف خلية سمعية. وتنتهي الأعصاب بأهداب دقيقة. دقة وعظمة تحير الألباب.

وقد نظّم الخالق العمل بين هذه الخلايا، فمنها مايختصّ باستقبال الأصوات ذات الذبذبات القليلة وذات الذبذبات الرقيقة، فسبحان من أعطي كل شئ خلقه.

وأمّا مركز السمع في المخ فإنّه من آيات الله في خلقه والتي يقف أمامها العلم الحديث عاجزاً عن تفسير ماهيته وطبيعته كيف يستقبل الصوت بذبذباته المختلفة، وكيف يفسّر الأصوات المختلفة وكيف يختزنها؟

فإن العلم الحديث لايعرف إلاّ أعصاباً تحمل إشارات كهربائية داخلة إلى المخ ثم أعصاباً تحمل إشارات كهربائية أخرى تخرج من هذا المعمل الرهيب لتحمل رسائل وأوامر إلى مجموعات أخرى من الخلايا والأعصاب والعضلات، وهذه النظريات العديدة والافتراضات الكثيرة وضعت لمحاولة تفسير كيفيّة السمع ولكنّها عاجزة أمام قدرة الخالق التي تعدّ سرا من أسرارها. ﴿وخلق كل شئ فقدّره تقديراً﴾ (٢)

---

(١) جسم الإنسان وكيف يعمل - د. محمد كمال عبد العزيز ١٤٣.

(٢) سورة الفرقان/ الأية ٢، انظر : إعجاز القرآن في حواس الانسان، "دراسة في الانف والأذن والحنجرة في ضوء الطب وعلوم القرأن والحديث" - د. محمد كمال عبد العزيز ٢٢ ومابعدها، الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ص ٤٣.

❐ البصر :

إنّ من أبرز النعم على جسم الإنسان نعمة البصر، وإنّها من أكبر الأدلة العلمية على وجود الخالق وعظمته ووحدانيّته.

فإنّ كرة العين تتركب من ثلاثة أغشية داخل بعضها البعض وتعتبر كرة العين التي تزن ثمانية غرامات تقريباً من أروع غرف التصوير وتتكون من :

أ - الصلبة من الخلف وهي الغشاء الخارجي الذي يحمي العين . والقرنية من الأمام وهي النافذة الأماميّة للعين وهي عبارة عن غشاء رقيق يغطي القزحيّة والبؤبؤ.

ب- المشيمية من الخلف وهي الطبقة التي تلي الصلبة وبها الأوعية الدموية والعروق المغذية للعين. والقزحيّة من الأمام ويوجد بها ثقب متوسط هو الحدقة، وهي التي تعطي للعين لونها الأسود أو العسلي أو الأزرق أو الأخضر، وهي حاجز عضلي يلي القرنيّة.

جـ- الشبكيّة من الخلف وهي التي تلي المشيمة، وتتكون هذه من عشر طبقات لاترى بالعين المجرّدة ومن هذه الطبقات العشر طبقة واحدة تقوم بمهمة الرؤية حيث تتكون هذه الطبقة من (١٤٠) مليون خليّة منها : الخلايات العضوية وهي التي تختص بالإحساس بالنور العادي. والخلايا المخروطيّة وهي التي تختص بالإحساس بالنور المركزّ والألوان.

والعدسة من الأمام وتوجد خلف الحدقة مباشرة وهي عبارة عن: بلّورة شفافة مرنة بها سائل شفّاف، ومربوطة بعضلات من الأطراف لتتحكم بتحدّب العدسة كي تتكون

الصورة واضحة على الشبكيّة [1] وإنّ من أبرز ملحقات العين مايلي :

١- **الأجفان** : فيوجد على كل عين جفنان علوي وسفلي، والأجفان تغطي مقدّم العين إذا انطبقت، وهي مبطنة من الداخل بغشاء رقيق شفاف يسمى بالملتحمة. وفي الطرف السائب للأجفان توجد الأهداب وهي تمنع ذرات الرمل أو التراب أو الأجسام الغريبة من الدخول في العين.

٢ - **الحواجب** : وفائدتها أن تمنع سقوط العرق من الجبهة في العين، ولكمال محاسن الوجه.

٣ - **الجهاز الدمعي** : وهو الذي يفرز الدمع من الغدّة الدمعية، ثم تسيل ومنها إلى القناة الدمعيّة التي تصب في الأنف.

وللدموع وظيفة كبيرة وعظيمة حيث أنّها :

أ - ترطب سطح العين، وتجعله نديّاً نظيفاً، حيث تمسح مايلصق به من أتربة وغبار وأجسام غريبة.

ب- تحتوي الدموع على إنزيمات قاتلة للميكروبات والجراثيم التي قد تهاجم سطح العين.

جـ- تسهّل حركةالأجفان على سطح العين . [2]

---

(١) انظر : جسم الإنسان وكيف يعمل- د. محمد كمال عبد العزيز، ١٤٥، وفي أنفسكم أفلا تبصرون- أنس عبد الحميد القوز ١١٦-١١٧، الطب محراب للإيمان- د. خالص جلبي ١/٢٠٦.

(٢) جسم الإنسان وكيف يعمل- د. محمد كمال عبد العزيز ١٤٦-١٤٧.

جهاز الوقاية :

لقد أودع الخالق هذه العين الباصرة بجهاز عظيم يقيها من كل مايؤذيها ويكدّر صفوها ، فإن العين توجد في منطقة منخفضة من الوجه، ويحيط بها ثلاث تلال مرتفعة، فمن الأعلى الحاجب والبروز العظمى الجبهي وكأنه السقف المظلّل، وبهذه الطريقة تحمى العين من الضربات، والأشعّة والعرق. ومن الأسفل : ارتفاع الوجنة، ومن الجانب الثالث : الهرم الأنفي، بالإضافة إلى أن كرة العين موجودة في تجويف مختصر في عظم الجمجمة، ولم توضع العين بين جدران هذا التجويف مباشرة بل هيأ لها المكان بالوسائد الشحميّة وهذه الحماية من الخارج وهناك وسائل تحمي العين منها ذاتها ، فالعين مغطاة بجفنين يفتحان ويغلقان بمنتهى السرعة حتى ليضرب فيهما المثل فيقال : (طرفة عين) فإذا اتصل الجفنان من الأمام تداخلت الأهداب وهكذا تستر العين كأحسن مايكون، ثم تغلف العين من الأمام والأجفان من الداخل بغشاء رقيق شفاف ساتر هو مايعرف بملتحمة العين، فإذا استطاعت ذرات الغبار، أو نسمات الريح الخفيف أو بعض الجراثيم المتسللة أن تصل إلى العين كانت غدة الدمع لها بالمرصاد حيث تفرز مادة مطهرة، وفي داخل الأجفان تكمن الغدد وكأنها مراصد المراقبة ترطب العين، وتطهرها وتحافظ على رونقها وبريقها.[1]

عمليّة الرؤية :

حينما يدخل الضوء العين ويصطدم بالمخاريط والعصيات يحدث من هذا الاصطدام سلسلة من التفاعلات على مستوى المخاريط والعصبيات تكون نتيجتها أن تتحوّل إلى سيّالة عصبيّة تنتقل عبر حزمة عملاقة من الألياف العصبيّة تبلغ نصف مليون ليف عصبي وهي شبيهة بأسلاك الكهرباء، ومنها إلى الدماغ

---

(١) الطب محراب للإيمان - د. خالص جلبي ٢٠٦/١ - ٢٠٧ .

حيث تستقبل في مركز الرؤية العام وهو مؤخرة الدماغ وهناك :

١ - تنسق المعلومات . ٢ - وتجمع الملاحظات .

٣ - وتكدس التقارير . ٤ - ويصار إلى القرار المناسب.

فتصدر عدة نسخ من الأوامر الجديدة وخاصة إلى مراكز الذاكرة[١]

ولعل من أبرز أسرار الإعجاز في خلق العين ماقد أثبت العلم الحديث من أنّ صورة الشيء المنظور تطبع معكوسة على الشبكيّة، وينقل العصب البصري هذه الصورة المعكوسة الشكل إلى المخ، فيعيدها المخّ إلى العين وقد عكسها مرّة أخرى أي عدلّها، فيراها الناظر معدولة وغير معكوسة فإنّه لم يحدث أن رأى إنسان ما مرّة واحدة صورة معكوسة في تاريخ البشرية الطويل ولن يحدث ذلك أبداً، فهل بعد ذلك آية أبلغ تدلّ على وجود الله؟![٢]

فإنّ عدسات العين تلقي صورة على الشبكيّة، فتنظم العضلات العدسات بطريقة آلية إلى بؤرة محكمة وقد نظمت طبقات الشبكيّة في العين على تناسب محكم بالنسبة لبعضها البعض وبالنسبة للعدسات، ولكن العجيب أنّها تدير ظهورها للعدسات وتنظر نحو الداخل لانحو الخارج، وإذا استطعت أن تنظر في خلال العدسات فإنك ترى عدوك مقلوب الوضع، والجانب الأيمن منه هو الأيسر وهذا أمرٌ يربكك إذا حاولت أن تدافع عن نفسك [٣]

ومن حكمة الخالق : أن جعل ماء العينين مالحاً ليحفظها فإنّها شحمة قابلة للفساد، فكانت ملوحة مائها صيانة لها وحفظاً [٤]

---

(١) وفي أنفسكم أفلا تبصرون - أنس بن عبد الحميد القوز، ١١٧-١١٨.

(٢) الله والعلم الحديث - عبد الرازق نوفل، ٥١-٥٢.

(٣) العلم يدعو إلى الإيمان - أ. كريس موريسون ترجمة: محمود الفلكي ١١٣

(٤) مفتاح دار اسعادة - ابن القيم ١/ ١٩٠.

▢ الـذوق .

من حكم الخلق في جسم الإنسان والتي تدل على وجود الخالق وعظمته أن جُعل للجسد ذلك الفم في أحسن موضع وأليقه به وأودع فيه من المنافع وآلات الذوق والكلام وآلات الطحن والقطع مايبهر العقول عجائبه، فأودع اللسان الذي هو أحد آياته الدالّة عليه وجُعل ترجماناً لملك الأعضاء - القلب - مبنياً مؤدياً عنه كما جعلت الأذن رسولاً مؤدياً مبلغاً إليه فهي رسوله وبريده الذي يؤدي إليه الأخبار، واللسان بريده ورسوله الذي يؤدي عنه مايريد، واقتضت الحكمة في الخلق أن جعل هذا اللسان مصوناً محفوظاً مستوراً غير بارز مكشوف كالأذن والعين والأنف لأن تلك الأعضاء لما كانت تؤدي من الخارج إليه جعلت بارزة ظاهرة، ولمّا كان اللسان مؤدياً منه إلى الخارج جُعل مستوراً مصوناً لعدم الفائدة في إبرازه لأنه لايأخذ من الخارج إلى القلب، وقد جعل هذا اللسان من ألطف الأعضاء وألينها وأشدّها رطوبة، فلو كان بارزاً صار عرضة للحرارة واليبوسة والنشاف المانع له من التصرف [١] ومن أجل أنّ اللسان مفتقر ليكون حساساً قويّ الإحساس ليلوك اللقمة ويدور بها من حنك إلى حنك ومن سن إلى ضرس، ويتقي الكاوي والمحرق واللاذع والشائك والجارح جعل أقوى الحليمات إحساساً هي التي على رأس اللسان.

ومن أجل أنّ اللسان آلة للمضغ والبلع فقد جُعلت عضلته قويّة نشيطة لعابية، ولولا ذلك لما تمّ مضغ ولا بلع.

ومن أجل أن اللسان آلة للكلام فقد خلق مع اللسان شفتان ليكون وسيلة لتقطيع الهواء وإخراج الحروف فلو خلق الإنسان بلا شفتين مكشراً فاغراً فاه يسيل لعابه، ويدخل الغبار إلى صدره والذباب إلى لهاته، لأصيب هذا العضو بالكثير من الأمراض ولتعطلت

---

(١) المرجع السابق ١/١٩١.

وظائفه، ولكنّه خلق في أحسن تقويم وجعلت الشفتان زينة للوجه وستراً للفم وحاجزاً للعاب ومانعاً لدخول الغبار، فهذه الحواس من أكبر النعم على هذا الإنسان .[1]

ويعتبر الذوق من الحواس التي تستقرّ في اللسان وباطن الفم، ويتحسس اللسان بأنواع مختلفة من الطعوم ومنها : الحلو والمرّ والمالح والحامض وغيرها.

ويتكون اللسان من مئات الألوف من الحلمات الذوقيّة فمن بديع الخلق: أنّ كل جزء من اللسان مختص بأحد المذاقات حيث يحتوي على براعم تذوب فيها المادة الحلوة أو الحامضة حيث ترسل الأعصاب إشارة إلى المخّ يترجمها أنّها حلوة أو مرّة أو حامضة أو مالحة .

أمّا وسط اللسان فلا توجد فيه براعم ذوقية ولذلك لايحسّ بطعم المواد إذا مضغت هناك كما أنّ خلايا الفم من الداخل تتجدّد كل خمس دقائق تقريباً. ولقد قدّر عدد البراعم الذوقية في اللسان بحوالي تسعة آلاف برعم ذوقي، ويتكون اللسان من سبعة عشر عضلة للحركة، فسبحان من خلق جلّت قدرته [2]

إذا وقعت المادة التي يريد الإنسان أن يتذوقها على ظهر اللسان فإنها تلتصق بالحلمات العصبيّة، وتنتقل الأعصاب الموجودة بهذه الحلمات طعم هذه المادة خلال العصب المختص بحاسة التذوّق إلى مركز التذوّق في المخ.

ووظيفة التذوق هو إدراك طعم المواد المختلفة : الحلو والمرّ والملح والحامض.

ولا بدّ لهذه المواد من ذوبانها في لعاب الفم لذلك إذا كان الفم جافاً جداً فقدت حاسة

---

(١) رحلة القلب السليم في آثار رحمة الله عز وجل - محمد بن صفوك العلي ١٥٢-١٥٣.

(٢) انظر: الطب محراب للإيمان - د.خالص جلبي ١/٢٢٧-٢٢٩، وفي أنفسكم أفلا تبصرون - أنس القوز ص ١٠١- ١٠٢.

التذوق ووظيفتها[1] ومن رحمة الخالق أن جعل للآكل لذة الأكل، فجعل الذوق في اللسان ليعرف بالذوق مايوافقه ويلائمه من الملذوذ، فيجد في ذلك راحة في الطعام والشراب إذا دعت حاجة إلى تناوله وليجتنب الشيء الذي لايوافقه ويعرف بذلك حدّ ماتصل الأشياء إليه من الحرارة والبرودة."[2]

❑ الشـــم :

درس العلماء حاسة الشم وأعطوا بعض المعلومات الأوليّة البسيطة في هذا البحث، فلقد وُجد أنّ حاسة الشمّ تتركز في الأنف وخاصة في القسم العلوي من الأنف، فلو نظرنا إلى جدار الأنف الداخلي لوجدنا فيه ثلاث قطع عظمية مغلفة بغشاء مخاطي يعلو بعضها البعض وتسمى القرنيات وكأنّها القرون الصغيرة في هذا المكان وهي تشترك في عملية تسخين الهواء أثناء مروره بالأنف وفوق القرين العلوي والمنطقة الشميّة بمساحة تبلغ (٢٥٠) ملم٢ ففي هذه المنطقة تتوزّع ألياف العصب الشمّي بعد أن تجتاز سقف الأنف من خلال صفيحة مثقبة كالغربال هي الصفيحة الغربالية وتتوزع هذه الألياف العصبيّة بحيث يكون لكل خليّة شميّة (٦-٨) أهداب تغطس في سائل مخاطي يعلوها، فإذا وصلت الروائح الشميّة إلى تلك المنطقة انحلت في السائل المخاطي ثم في المواد التي تحويها تلك الأهداب ثم تصعد إلى المخ فتؤدي دورها على الوجه المطلوب ."[3]

لقد أودع الأنف حماية وصيانة الجهاز التنفسي وقد أمدّ بالوسائل والإمكانيات التي تجعله قادراً على أداء هذه المهمة الصعبة .

(١) جسم الإنسان وكيف يعمل - د. محمد كمال عبد العزيز ١٤٤.

(٢) الحكمة في مخلوقات الله - الغزالي، تحقيق د. محمد رشيد رضا قبّاني ٥٩-٦٠.

(٣) الطب محراب للإيمان - د. خالص جلبي ١/٢٢٤-٢٢٦ بتصرف.

تقوم الغدد المخاطية الموجودة في الغشاء المخاطي المبطن للأنف بإفراز كميات من السائل المخاطي الذي يتكون أساساً (٩٦٪) من الماء وقد قدّر العلماء أنّ الأنف يفرز يومياً ماقيمته لتراً من هذا السائل المخاطي، ووظيفة هذا السائل المخاطي الأساسية: أن يقوم بالتقاط حبيبات الأتربة والأجسام الغريبة الموجودة بالهواء لما أودع فيه من صفة اللزوجة، كما وقد زوّد بإنزيمات قاتلة للميكروبات التي تحاول أن تغزو الأنف، وهذا السائل المخاطي في حركة وتجديد باستمرار.

وأمّا الأهداب الموجودة بخلايا هذا الغشاء المخاطي المبطّن لتجويف الأنف فهي في حركة دائبة مستمرة جيئة وذهاباً، يميناً ويساراً تتحرك مايقرب من عشر مرات في الثانية الواحدة، وهذه الأهداب متناهية في الصغر لاتراها العين المجردة ولكن ترى بالمجهر الالكتروني، إنّ كل خليّة تحتوي على مائتين وخمسين من هذه الأهداب وتقوم هذه الأهداب الخلويّة المتحركة بدفع السائل المخاطي إلى البلعوم لكي يتخلّص منه الجسم بعدما التصقت به ذرات الأتربة، والأجسام الغريبة، حيث تجدد مرّة أخرى بواسطة خلايا متخصصة تقوم بإفرازه.

إنّ أي خلل أو عطل في حركة الأهداب الجلدية أو تجديد السائل المخاطي للأنف يجعل الميكروبات تمرّ دون أدنى مقاومة إلى الجهاز التنفّسي [1]

ومن الإحسان في خلق الإنسان نصب قصبة الأنف في الوجه فقد أحسن شكله وهيأته وفُتح فيه المنخران وحجز بينهما بحاجز وأودع فيهما حاسة الشّم التي تدرك أنواع الروائح الطيبة والخبيثة والنافعة والضارة، فيستنشق به الهواء فيفصله إلى القلب فيتروح به ويتغذى به ولم يجعل في داخله من الإعوجاجات والغضون ماجعل في الأذن لئلا يمسك الرائحة

(١) إعجاز القرآن في حواس الإنسان - د. محمد كمال عبد العزيز ٦٧-٦٨.

فيضعفها ويقطع مجراها، وقد جعل مصباً تنحدر إليه فضلات الدماغ فتجتمع فيه ثم تخرج منه، واقتضت حكمة خلق الأنف أن جُعل أعلاه أدقّ من أسفله لأن أسفله إذا كان واسعاً اجتمعت فيه تلك الفضلات فخرجت بسهولة، ولأنه يأخذ من الهواء ملأه ثم يتصاعد في مجراه قليلاً حتى يصل إلى القلب وصولاً لايضرّه ولا يزعجه ثم فُصل بين المنخرين بحاجز بينهما حكمة في الخلق ورحمة فإنه لما كان قصبة ومجرى ساتراً لما يتحدر فيه من فضلات الرأس ومجرى النفس الصاعد منه جعل في وسطه حاجزاً لئلا يفسد بما يجري فيه فيمنع نشقه للنفس بل إمّا أن تعتمد الفضلات نازلة من أحد المنفذين في الغالب فيبقى الآخر للتنفس وإمّا أن يجري فيهما فينقسم فلا يفسد الأنف جملة بل يبقى فيه مدخل للتنفس، وأيضاً فإنّه لما كان عضواً واحداً وحاسة واحدة ولم يكن عضوين ولا حاستين كالأذنين والعينين واللتين اقتضت الحكمة تعددهما فإنه ربّما أصيبت إحداها أوعرضت لها آفة تمنعها من كمالها فتكون الأخرى سالمة فلا تتعطّل منفعة هذا الحسّ جملة، وكان وجود أنفين في الوجه شيئاً ظاهراً. فنصب فيه أنفاً واحداً وجعل فيه منفذين حجز بينهما بحاجز يجري مجرى تعدّد العينين والأذنين في المنفعة وهو واحد، فتبارك الله أحسن الخالقين [1]

---

(١) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ١/ ١٩٠-١٩١.

وظائف الأنف :

١ - حاسة الشم :

يستطيع الأنف تمييز مايقرب من أربعة آلاف رائحة مختلفة، وذلك عن طريق الأعصاب المختصة بهذه الحاسّة الدقيقة والموجودة في الغشاء المخاطي المبطن للأنف، حيث ينتهي العصب الشمّي إلى مركز الشم في المخ.

٢ - تنقية الهواء :

يقوم الأنف بتنقية الهواء الداخل إلى الرئتين من الأتربة وذرات الغبار الموجودة به، وذلك عن طريق الشعيرات الموجودة به، وفرز الغشاء المخاطي للأنف مادة مخاطية لزجة تقوم بجذب الأتربة وذرات الغبار وتلتصق بها وبذلك تحمي القصبة الهوائية والرئتين من هذه الأجسام الغريبة.

٣ - ترطيب الهواء :

يمدّ الأنف الهواء الداخل إلى الرئتين بكميّة من الرطوبة المناسبة له حيث أن الهواء الجاف قد يصيب الرئتين بتلف في أنسجتها الرقيقة، ويستمد الهواء هذه الرطوبة من السائل المخاطي الذي تفرزه الغدد المخاطية الموجودة بالغشاء المخاطي المبطن للأنف.

٤ - تدفئة الهواء :

يتميّز الغشاء المخاطي المبطّن للأنف بوجود كميّة كبيرة من الأوعية والشعيرات الدّموية التي تحتوي على كميّة عظيمة من الدم ، بداخلها فإذا تعرض الإنسان لتنفس هواء بارد كما يحدث في فصل الشتاء مثلاً، فإنّ مرور هذه الهواء البارد على سطح الغشاء

المخاطي المبطن للأنف يكسبه حرارة ودفئاً لما يحتويه هذا الغشاء من كمية عظيمة من الدم الذي تنبعث منه هذه الحرارة، وبذلك يصبح الهواء الداخل إلى الرئتين دافئاً فلا يحدث تلفاً في أنسجتها الرقيقة والدقيقة. وبذلك يعتبر الأنف من أعظم أجهزة التكييف التي تقوم بترطيب وتدفئة الهواء الداخل للجهاز التنفسي [١]

٥ - اللمس :

تمتاز أنامل اليدين بمنتهى الحساسيّة لأنها مراكز تحسّس الموجودات، فيشعر الإنسان بالبرد والحر حيث تمثل فيه أجراس الإنذار فيقي نفسه من البرد والحرّ ولولا هذه الخاصية لهلك الإنسان من البرد والحرّ، ولكنّه مع هذا متزنٌ في حرارته الداخلية مهما تقلّبت الظروف الجويّة التي تحيط به [٢] والجلد هو الغشاء الذي يلفّ الجسم من الظاهر. ويتركّب الجلد من طبقتين :

أ - طبقة سطحية تسمى البشرة .

ب - طبقة تحتها تسمى بالأدمة الجلديّة، وهذه الطبقة تحتوي على الأوعية الدمويّة والغدد العرقية وجذور الشعر، والغدد الدهنية وأعصاب الحس المسئولة عن اللمس ويربط بين كل هذه المكونات وبعضها نسيج ليفي ضام.

---

(١) جسم الإنسان وكيف يعمل - د. محمد كمال عبد العزيز ٤٨ - ٤٩.

(٢) الطب محراب للايمان - د. خالص جلبي ١/ ٢٣١.

وللجلد وظائف هامة جداً منها :

أ - خط الدفاع الأول للجسم ضد الميكروبات والجراثيم .

ب- يؤدى وظيفة اللمس بواسطة الالتهابات العصبية الموجودة به.

جـ- يحتوي على الغدد العرقية التي تقوم بإفراز العرق وهو عبارة عن ماء ذائب فيه بعض الفضلات التي ترشح من الدم كالأملاح وغيرها.

د - يساعد الجلد على تنظيم درجة حرارة الجسم وذلك عن طريق تمدّد الأوعية الدمويّة الموجودة به فيتم تبخير أكبر قدر ممكن من العرق، وكذلك فقد أكبر قدر ممكن من الحرارة بواسطة الإشعاع، ولهذا نلاحظ دائماً أنّ عروق اليدين منتفخة في فصل الصيف والعكس في فصل الشتاء حيث تنكمش هذه الأوعية الدموية وبذلك تقلّ كمية الدم الموجودة بها وكذلك يقلّ فقدان الحرارة من الجسم. وتتمثل حاسة اللمس في إدراك الأشياء المحيطة بالجسم وهي تشمل :

١ - إدراك صلابة وشكل وملمس الأشياء .

٢ - إدراك ثقل الأجسام .

٣ - إدراك حرارة الأجسام .[١]

إنّ انتشار الأعصاب وبأعداد هائلة تحت الجلد شيء لايكاد يصدّق، حيث تنتهي الألياف العصبيّة بجسيمات خاصة يختص كل نوع منها بنقل حسٍ معيّن، فهناك جسيمات تنقل الحرّ وأخرى تنقل البرد وثالثة للمس والضغط، ورابعة لحس الألم وخامسة تختص بنقل

---

(١) جسم الإنسان وكيف يعمل - د. محمد كمال عبد العزيز ١٤٨-١٥٠.

الحسّ العضلي أو مايسمى بالحس العميق وهكذا تتنوع الإحساسات وتتباين.

وتبلغ في تعدادها أرقاماً هائلة فهناك (٣-٥) ملايين جهاز حسّاس للألم و (٢٠٠,٠٠٠) جهاز حساس للحرّ و (٥٠٠,٠٠٠) جهاز حساس للمس والضغط، حيث يمكن أن يقال إنّ الجلد البشري ماهو إلاّ سطح يغطي شبكة هائلة من الألياف العصبيّة.

إنّ وجود نعمة الإحساس في جسم الإنسان عن طريق ملامسة الأشياء الأخرى والغريبة والخطيرة لها أكبر الأثر على سعادة هذا الجسد الإنساني .

فإنّ الإنسان لو لمس شيئاً ساخناً مثلاً فإنه سيبعد يده لاشعورياً وبدون إدراك منه وبسرعة تبلغ جزءاً من مائة من الثانية. إنّ هذا يتمّ بواسطة نقل التنبهات عن طريق الأعصاب الحسّية التي تصل إلى المنطقة الخلفية من النخاع الشوكي حيث تبلغ الأجناس إلى الخلايا وتقوم الخلايا بالإتصال بالمنطقة الأمامية من النخاع حيث ترقد مفاتيح السيطرة على العضلات في خلايا القرون الأمامية ومن هناك تنطلق الأوامر إلى الأعصاب المحركة للعضلات المناسبة فتنسحب اليد مباشرة وبسرعة مدهشة وبشكل انعكاسي.

إنّ شدّة الإحساس وصفته تتوزّع في الجسم حسب الوظيفة التي يقوم بها العضو فهي في الشفتين والأعضاء التناسلية أشدّ وفي قرنيّة العين كذلك بخلاف أخمص القدم فهو ضعيف الإحساس. فسبحان من خلق هذا الطراز العظيم الفريد [1]

وهذا الجلد هو ذلك الستار المحكم البديع الذي يحجب الأسرار التي تجري بداخله.

وهو من أدقّ وأروع الآيات المحكمات الدالّة على جليل صنع الخالق. فالجلد لاينفذ إليه الماء ولا الغازات رغم مسامّه التي تساعد على إخراج الماء من داخل الجسم، فهو يخرج في العرق ولا يسمح بدخوله ! والجلد معرض لهجمات الميكروبات والجراثيم التي تسبح في

---

(١) الطب محراب للإيمان - د. خالص جلبي ١/ ٢٣٠-٢٣٥، بتصرف

الجوّ ولذلك يسلح بإفرازات قادرة على مثل تلك الميكروبات، أمّا إذا تغلّبت الجراثيم واجتازت منطقة الجلد فهناك يبدأ الصداع والاحساس بالألم.

وبالرغم مما وصل إليه العلم الحديث من حقائق وغرائب في جسم الإنسان فهناك أسرار مازالت تكتشف لتضع الإنسان موضع العجب والحيرة التي لايملك بعدها إلاّ التسليم بوجود الله وقدرته وعظمته [١]

□ بصمة الأصابع :

لقد أثبت العلم الحديث اختلاف الناس، وتميّز كل واحد منهم ببصمة أصبعه، فقد كان الأستاذ بركنجي - أستاذ التشريح وعلم وظائف الأعضاء بجامعة برسلاو ببولنده - من أوائل من لاحظوا أنّ بجلد الأصابع بروزات ذوات أشكال معيّنة.

وفي عام ١٨٥٨م أثبت السير وليم هرشل أن الشكل الذي جعله الخالق القدير -جلّ وعلا - على جلد باطن الإصبع يدل على صاحب هذا الإصبع ويثبت فرديّته.

وفي عام ١٨٩٢م أثبت السير فرنسيس جالتون أنّ صورة البصمة لأي أصبع تعيش مع صاحبها طوال حياته فلا تتغيّر .

وعلى الرغم من ذلك بقيت بين الناس والقضاة ريبة بشأن هذه البصمات إلى أن وقعت جريمة في مدينة ديتفورد بانجلترا، واكتشف القاتل بمضاهاة بصمة أصبعه على بصمة تركها بموقع الجريمة، وكانت البصمة في الغد على الصفحات الأولى من صحف لندن وسمّوها : البصمة التاريخية، لأنها أزالت الشكوك بشأن البصمات ودلالتها على كل إنسان بعينه [٢]

---

(١) انظر: الله والعلم الحديث - عبد الرازق نوفل ٤٩-٥٠.

(٢) قدرة الله، "مظاهرها من العلم الحديث" - جمال الدين عيّاد ٧٨ وما بعدها .

إنّ تفرّد كل مخلوق بشري بهذه البصمة التي لايشابهه فيها أحد، دليل واضحٌ على أنّ لهذا الكائن الحي خالق عظيم موجود، هو الذي خلق على هذه الصفة الفريدة وهو القادر على أن يعيدها تحمل أسرار إعجازها، قال تعالى ﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه. بلى قادرين على أن نسوي بنانه ﴾[1] فالله قادر على البعث ولا يعجزه شيء كما قد خلق أصلاً، وقد اختار الله بنان الإنسان ولم يختر عضواً آخر من أعضاء الجسم الكثيرة ؟ لأن أعضاء الجسم كالعين والأنف والأذن وغيرها تتشابه بين إنسان وآخر، ولكن الأصابع لها مميزات خاصة فهي لاتتشابه ولا تتقارب، فبشرة الأصابع لدى الناس جميعاً مغطاة بخطوط على ثلاثة أنواع : أقواس ، أو عراو ، أو دوامات بمعنى دوائر متحدة المركز، وهذه الخطوط لاتتغيّر مدى الحياة وتتميّز بين شخص وآخر وهذه المميزات لم تعرف إلاّ في القرن الماضي بعد نزول القرآن بأربعة عشر قرناً تقريباً، وأنشئ من ذلك علم البصمات من أجل معرفة المجرمين واكتشافهم[2]

والذي يهمنا هنا هو عدم إمكانيّة تطابق بصمتين في العالم لإنسانين، وهذا أمرٌ ملفت للنظر حقاً، فلقد وجد أن إمكانيّة تطابق بصمتين لإنسانين في العالم له احتمال بين (٦٤) مليار من البشر، مع العلم أنّ البشرية حسب آخر الإحصائيات بلغت (٣,٨) مليار فقط[3]

---

(١) سورة القيامة / الآية ٣ - ٤ .

(٢) روح الدين الإسلامي - عفيف طبارة ٦٤، إعجاز القرآن العلمي - محمود مهدي الاستانبولي ١٢٨ - ١٢٩.

(٣) الطب محراب الإيمان - د. خالص جلبي ٢/ ٢٦٠.

وللاستزادة انظر: قضايا وطائف علمية في إثبات نبوة سيد البشر ﷺ - رياض مصطفى عبد الله ،ص ٤٦ وما بعدها ، ط١، المكتبة التجارية، مكة المكرمة: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

❑ اليدان :

ومن أبرز نعم الخالق على جسد الإنسان أن خلق له يدين هي آلة للإنسان وسلاح له ورأس مال معاشه، فطولهما بحيث يصلان إلى ماشاء من بدنه، وعرّض الكفّ ليتمكّن به من القبض والبسط وقسم فيه الأصابع الخمس وقسم كل إصبع بثلاث أنامل والإبهام باثنتين، ووضع الأصابع الأربعة في جانب والإبهام في جانب لتدور الإبهام على الجميع فجاءت على أحسن وضع صلحت به للقبض والبسط ومباشرة الأعمال، ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق أفكارهم وصفاً آخر للأصابع سوى ماوضعت عليه لم يجدوا إليه سبيلاً، فتبارك من لو شاء لسواها وجعلها طبقاً واحداً كالصفيحة فلم يتمكن الإنسان بذلك من مصالحه وأنواع تصرفاته ودقيق الصنائع والخطّ وغير ذلك، فلو كانت أصابعه بسطاً لاتتحرك ولم تجزأ لكانت طبقاً يضع عليه مايريد ولو ضمّت الأصابع وقبضت لكانت آلة للضرب ولو جعلت بين الضم والبسط لكانت مغرفة للإنسان يتناول بها وتمسك فيها مايتناوله، ولكن حكمة الخالق أن جعلها على شكلها المعهود يتصرف بها الإنسان كيفما أراد الإنسان واختار.

ومن الحكمة في الخلق أن رُكب في نهاية اليد وطرفها الأظفار زينة لها وعماداً ووقاية وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لاينالها جسم الأصابع وجعلها سلاحاً لغيره من الحيوان والطير وآلة لمعاشه وليحك الإنسان بها بدنه عند الحاجة، فالظفر الذي هو أقل الأشياء وأحقرها لو عدمه الإنسان ثم ظهرت به حكّة لاشتدّت حاجته إليه ولم يقم مقامه شيء في حك بدنه، لأنه مخلوق لذلك ولغيره فهو لاصلب كصلابة العظام ولا رخو كرخاوة الجلد، يطول ويبلى ويقصّ ويقصّر لمثل ذلك [١]

هذه إطلالة سريعة على بعض أسرار خلقة الإنسان والتي تدلّ على وجود خالق له عظيم ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ﴾[٢].

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة - ابن القيم ١/١٩٢، الحكمة في مخلوقات الله - الغزالي ٦١-٦٢.

(٢) سورة لقمان / الآية ١١.

الدليل الثاني: خلق الحيوان

يعتبر الحيوان كتاباً مفتوحاً لكل من أراد دراسة عجائب الحياة في الأحياء، ويقدّر العلماء عدد فصائل الحيوان بأكثر من ثلاثة ملايين فصيلة، وبالرغم من ذلك فلم يدرس منهاحتى الآن إلاّ الجزء اليسير، وقد كانت نتيجة دراسة هذا الجزء اليسير : التسليم بوجود الله الذي خلق فسوى(١)

لقد أوجد الخالق هذا الحيوان على صورة بديعة عظيمة تدل على وجوده سواء كان الإعجاز متمثلاً في الحيوان ذاته أو لما هيأ له وسخّر من أجله، وسأستعرض بعض عظيم صنع الله في هذا الحيوان الذي ينطق بوجود خالقه بل زاد على ذلك أن سبح ومازال يسبح بحمد ربه بلغته الخاصة به قال تعالى : ﴿ وإنّ لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مّا في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴾ (٢)

فهذه الآية تشير إلى عجيب صنع الخالق سبحانه وتدلّ على ألوهيته بهذا الصنع العجيب، فهذا اللبن الذي تدرّه ضروع الأنعام مستخلص من بين فرث ودم. والفرث هو : ماتبقّى في الكرش بعد الهضم وامتصاص الأمعاء للعصارة التي تتحول إلى دم. وهذا الدم الذي يذهب إلى كلّ خلية في الجسم فإذا صار إلى غدد اللبن في الضرع تحوّل إلى لبن بديع صنع الخالق الذي لايدري أحد كيف يكون (٣)

وقد أسند الخالق سقاية الحليب إلى نفسه - سبحانه - حتى نرى آياته الواضحة في أسرار خلقه للّبن، فإنّ الحيوانات تتناول مختلف الأغذية النباتيّة التي تمتصّها الشعيرات

---

(١) الله والعلم الحديث - عبد الرازق نوفل ٦٣-٦٤.

(٢) سورة النحل / الآية ٦٦

(٣) في ظلال القرآن - سيد قطب ٤/ ٢١٨٠

الدمويّة من الأمعاء والتي تسير في مجاري الدم إلى أن تصل إلى غدتين صماوتين تسميان بالثديين وهناك تقوم هاتان الغدتان بعمليّة التصفية والتمييز والاختيار وانتخابها المواد النافعة الغذائية والابتعاد عن المواد الضارة كالسموم وحمض البولة مع كونهما مختلطان بالدم ويسيران في الجسم مع مجاري الدم فبقدرة الخالق سبحانه تقوم هذه الغدّة الصمّاء باستخراج النافع من الغذاء وتجمعه في كيس الثدي انتظاراً لحلبه. [١]

ولقد هيأ الخالق - سبحانه - جزءاً من الحيوانات ليس بالقليل ليأكله الآدمي وقد هيأ بعضها مراكب مذللة للنقل قال تعالى : ﴿ أولم يروا أنّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون. وذللْناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون. ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾[٢]

وقد جعلت ظهور الدواب مبسوطة ليتهيأ ركوبها وتستقر الحمولة عليها، عدا الإبل فقد جعلت ظهورها مسنّمة لقوتها ولعظم ماتتحمله من الأثقال والمتاع [٣]

وقد منعت البهائم العقل والذهن حكمة من الخالق سبحانه لتذلّ للانسان، فلا تمتنع عليه إذا أكّدها- أي أتبعها - عند حاجته إلى إكدادها في الطّحن وحمل الأثقال وغير ذلك.

وقد زوّدت الحيوانات آكلات اللحم بأسنان حداد وأضراس شداد وأفواه واسعة وأنياب قاطعة، ولماكانت في هجومها تستعمل عضلاتها كانت عضلات أرجلها قويّة وسلحت

---

(١) آيات الله تعالى - الأميري ١/٧٢-٧٣.

(٢) سورة يس / الآية ٧١ - ٧٣

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة - ابن القيم ١/٢٣٧.

بأظافر ومخالب حادّة وحوت معدتها الأحماض والأنزيمات الهاضمة للحوم والعظام [١]

ومن الحكم البالغة في خلق الحيوان وجود تلك القوائم التي تحمله فقد اقتضت الحكمة أن تكون تلك القوائم زوجاً لافرداً إمّا اثنتين وإمّا أربعاً ليتهيأ له المشي والسعي وتتم بذلك مصلحته إذ لو كان فرداً لم يصلح لذلك لأن الماشي ينتقل ببعض قوائمه ويعتمد على بعض، فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على الأخرى، وذو الأربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف لأنّه لو كان ينقل قائمتين من جانب ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لم يثبت على الأرض حال نقله قوائمه ولكان مشيه نقراً كنقر الطير، وذلك مما يؤذيه ويتعبه لنقل بدنه بخلاف الطائر ولهذا إذا مشى الإنسان كذلك قليلاً أجهده وشقّ عليه بخلاف مشيه الطبيعي الذي هو له، فاقتضت الحكمة تقديم نقل اليمنى من يديه مع اليسرى من رجليه، وإقرار يسرى اليدين ويمنى الرجلين، ثم نقل الآخرين كذلك وهذا أسهل مايكون من المشي وأخفّه على الحيوان [٢]

والحيوانات ذوات القوائم الأربع نلاحظ أنّها تتبع أمهاتها بعد ولادتها مستقلة بنفسها فلا تحتاج إلى تربية وحمل ، كما يحتاجه الآدميون إذ لم يجعل في أمهاتها ماجعل في أمهات البشر من العقل والعلم والرفق في أحوال التربية وقد أعطيت الحيوان القدرة على النهوض والاستقلال بأنفسها فإن فراخ بعض الطير مثل الدجاج يلتقط الحبّ عقب خروجه من البيضة وماكان من الحيوانات ضعيفاً لانهوض لها مثل فراخ الحمام جعل في أمهاتها عطفاً عليها فصارت تعين الطعام في حواصلها ثم ترمي به في أفواه أفراخها ولا تزال كذلك حتى تنهض وتستقل، فهل تستطيع هذه الحيوانات على أن تؤدي هذه الأدوار المهمة في حياتها

---

(١) الحكمة في مخلوقات الله – الغزالي ٩٧-٩٨، الله والعلم الحديث- عبد الرازق نوفل ٦٤.

(٢) مفتاح دار السعادة – ابن القيم ١/٢٣٧.

لولا هداية الخالق لها فسبحان ﴿ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ [١]

ومن أبرز الحكم في خلق بهيمة الأنعام بالأسماع والأبصار ليتم تناولها لمصالحها ويكمل انتفاع الانسان بها إذ لو كانت عمياء أو صمّاء لم يتمكن من الإنتفاع بها، وقد سلبت العقول على كبر خلق بعضها، ليتم تسخيرها للإنسان فيقودها ويصرفها حيث شاء، فلو أعطيت العقول على كبر خلقها لامتنعت من طاعة الإنسان واستعصت عليه ولم تكن مسخرة له. فأعطيت من التمييز والإدراك ماتتم به مصلحتها، وليتميّز الإنسان على هذه الحيوانات ويختص بالعقل، وقد سخرت هذه الأنعام للانسان كما قال تعالى : ﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرنين ﴾[٢]

فالبعير على عظم خلقته يقوده الصبي الصغير ذليلاً منقاداً، ولو أرسل عليه لسواه بالأرض ولفصله عضواً عضواً [٣]

والحيوانات كلها تسمع الأصوات التي يكون كثيراً منها خارج دائرة الاهتزازات الخاصة بنا، وذلك بدقة تفوق كثيراً حاسة السمع المحدودة عندنا [٤]

إنّ للحيوانات قدرة فائقة على النظر لاندري مدى مبلغها الفائق من الإحكام والدقّة المتناهية، فإنّ للصقر بصراً نافذاً يرى من خلاله فريسته وهو في العلو الشاهق في السماء، بخلاف الإنسان فإنّه لايصل إلى هذا بدون آلاته المكبّرة كالميكروسكوب الكهربي يرى به البكتيريا والحشرة الصغيرة وتستطيع البومة أن تبصر الفأر وهو يجري على العشب

---

(١) سورة طه ٥٠، انظر: الحكمة في مخلوقات الله - الغزالي، تحقيق : د. محمد رشيد رضا قباني ٩٩.

(٢) سورة الزخرف/ الآية ١٣.

(٣) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ٢٣٤/١.

(٤) العلم يدعوا للإيمان - كريس موريسون ص ١١٦.

الكثيف مهما تكن ظلمة الليل بينما الإنسان لايستطيع هذه الرؤية إلاّ بإحداث إشعاع وضوء .

ولدى الحيوانات القدرة على الكلام بأصوات مختلفة وبلغة خاصة بها وتفهم من خلال أصواتها ولغاتها ماتريده من غيرها ، وقد أشار القرآن إلى أنّ النملة الذي لايسمع الإنسان دبيبها فضلاً عن صوتها لضعف جهازه السمعي تتكلم. قال تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام الذي منح فهم كلام الحيوان ﴿ ياأيها الناس علمنا منطق الطير... ﴾[1] ويتحدث القرآن عن النمل ﴿ حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة ياأيها النمل أدخلوا مساكنكم لايحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون ﴾[2] فمن علّم هذه النملة عمليّة الاستكشاف والإنذار لأخواتها النمل، ومن علّمها المثابرة والدأب على العمل المنظّم الواحد والتعاون مع الجماعة والتكتل وخزن الطعام لاشك أنّه ﴿ ربّنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى ﴾[3].

ومن الحكمة الباهرة في وجه الدابّة خلق أعينها شاخصة أمامها لتبصر مابين يديها أتمّ من بصر غيرها لأنها تحرس نفسها وراكبها فتتقي أن تصدم حائطاً أو تتردى في حفرة فجعلت عيناها كعيني المنتصب القامة، وجعل فوها مشقوقاً في أسفل الخطم لتتمكن من العض والقبض على العلف إذ لو كان فوقها في مقدّم الخطم كما أنّه من الإسنان في مقدم الذقن لما استطاعت أن تتناول به شيئاً من الأرض، فإن الإنسان لايتناول طعامه بفيه لكن بيده، فلما لم تكن الدابّة تتناول طعامها بيدها جعل خطامها مشقوقاً من أسفله لتضعه على العلف ثم تقضمه، وأعينت بالجحفلة[4] وهي لها كالشفة للإنسان لتلتقم بها ماقرب

---

(١) سورة النمل / الآية ١٦.

(٢) سورة النمل / الآية ١٨.

(٣) سورة طه / الآية ٥٠ انظر: آيات الله تعالى - الأميري ١/ ٤٤٢-٤٤٦ ، بتصرف.

(٤) الجحفلة : الشفة الغليظة .

منها وما بعد مما فيه صلاحها وتترك مالا غذاء لها فيه ولا صلاح[1] وإنّ الناظر بعين بصيرة إلى هذا الطير وما في خلقه من الحكم العجيبة ليشهد بوجود خالق عظيم يستحق العبادة والتقدير، يشير القرآن الكريم إلى ذلك : ﴿ ألم يروا إلى الطير مسخّرات في جوّ السماء مايمسكهنّ إلاّ الله .. ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهنّ إلاّ الرحمن إنّه بكل شئ بصير ﴾[3] فإنّ الطائر يحلّق بجناحيه في السماء يفردهما ثم يقبضهما ويضمهما ، وهو في الحالين، حالة الصف الغالبة وحالة القبض العارضة يظل في الهواء يسبح فيه سباحة في يسر وسهولة، ويأتي بحركات يخيل إلى الناظر أحياناً أنّها حركات استعراضية لجمال التحليق والانقضاض والارتفاع! ولا يملّ الناظر مشاهدة كل نوع من الطير في حركاته الخاصة بنوعه، فهو متعة فوق ماهو مثار تفكير وتدبّر في صنع الله البديع، فإنّ الذي يمسك الدواب على الأرض هو الذي يمسك سائر الأجرام في مكانها وهو الذي يمسك بالطير في جو السماء يسبح وينتقل من هنا وهناك فلا يسقط ، إنّه الله ربّ العالمين [4]

ومن أبرز الحكم في خلق الطير : جعله خفيف الوزن وهذه الخفّة تقتضي الطيران، وقد خلق فيه مايحتاج إليه وما فيه قوامه، وصرّف الخالق غذاءه فقسّم لكل عضو مايناسبه، فخلق للطير الرجلين دون اليدين لضرورة مشيه وتنقّله وإيمانه له في ارتفاعه عن الأرض وقت طيرانه ، وقد جُعل لكل جنس من الطير منقاراً يناسب رعيه ويصلح لما يتغذى به من تقطيع ولقط وحفر وغير ذلك.

---

(١) انظر : مفتاح دار السعادة - ابن القيم ١ / ٢٤٠، الحكمة في مخلوقات الله - الغزالي ١٠٥.

(٢) سورة النحل/ الأية ٧٩.

(٣) سورة الملك / الأية ١٩.

(٤) في ظلال القرآن - سيد قطب ٦ / ٣٦٤٢-٣٦٤٣، بتصرف.

فمنه مخلب [1] للتقطيع، ومنه عريض مشرشر جوانبه تنطبق على مايلتقطه انطباقاً محكماً ومنه معتدل اللّقط وهو آكل الخضر ، وقد جعل المنقار صُلباً شديداً شب العظم، وفيه ليونة ماهي في العظم،لكثرة الحاجة إلى استعماله، وهو مقام الأسنان في غير الطائر من الحيوان، وجعل الخالق في ريشه من الحكمة: أن البلل لايفسد ريشه ولا الأدران توسّخه، فإن أصابه ماءٌ كان أيسر انتفاضٍ يطرد عنه بلله فيعود إلى خفّته، وجعل له منفذاً واحداً للبيض وخروج فضلاته لأجل خفّته، وخلق ريش ذنبه معونة له على استقامته في طيرانه فهو الميزان للطيران ولولاه لمالت به الأجنحة في حال الطيران يميناً وشمالاً، فكان له بمنزلة رجل السفينة التي يعتدل بها سيرُها وخلق في طباعه الحذر وقاية لسلامته.

ولما كان طعامه يبتلعه بلعاً بلا مضغ : جعل لبعضه منقاراً صلباً يقطع به اللحم ويقوم له مقام مايقطع بالمدية وصار يبتلع مايأكله صحيحاً وأعين بفضل حرارة في جوفه تطحن الطعام طحناً يستغنى به عن المضغ وثقل الأسنان ثمّ إنّه خلقة يبيض ولا يلد: لئلا يثقل عن الطيران، فإنّه لو خلقت فراخه في جوفه حتى يكمل خلقها لثقل بها وعُوّق عن النهوض للطيران. وقد ألهم الطير الرّقاد على البيض فيحضنه مدة الحضانة.

إنّ الطير لاعقل له: فمن أين له إدراك هذه العلوم والمعارف ومن أين له هذا الإلهام وهذا العطف والحنان إنّه من الخالق الذي دلّل على وجوده سبحانه بوجود بعض مخلوقاته وظهور بديع صنعه فيها، وإذا خرج الفرخ من البيضة أسنده الطائر إلى جنبه لئلا يفقد الحرارة دفعة واحدة، فيضرّ ذلك به ويتعاقب ذكر الحمام وأنثاه على عملية التسخين خوف أن يفسد بيضهم، فيعتب هذا صاحبه كأنّه ألهم علماً بأن عدم هذا التدبير يَفسُدُ به بيضهم.

---

(١) المخلب : للطائر والسباع بمنزلة الظفر للإنسان .

وفي خلق البيضة من الحكم العظيمة مالايعلم قدره إلا الله تعالى، ففيها المح[١] الأصفر الحابر[٢] والماء الأبيض الرقيق، فبعضه لينشأ منه جسدُه وبعضه يتغذى به إلى أن تنشقّ عنه، ومافي ذلك من التدبير المحكم العجيب، فكيف جعل معه غذاؤه في بيضة مغلقة، تلتقي به إلى حين كماله فيها وخروجه منها. [٣]

ويختلف الجهاز الهضمي للطيور اختلافاً كبيراً عن جهاز الحيوان الهضمي ، ممّا يؤكد دقة المرمى، ويظهر حسن القصد، ويوضح جميل الصنع، إذ يمتد من رأس كل طائر جزء صلب خال من الأسنان، عظمى التركيب هو المنقار الذي يستخدم في التغذية بدلاً من الفم والشفتين والأسنان عند سائر الحيوانات، إذ يبتلع الطير غذاءه بلا مضغ، وتختلف مناقير الطيور بإختلاف أنواع غذائها.

وأماً باقي الجهاز الهضمي للطير فهو غريب عجيب، فلماً لم يعط أسناناً فقد خلقت له حوصله وقانصة تهضم الطعام، ويلتقط الطير مواد صلبة، وحصى لتساعد القانصة على هضم الطعام [٤] وقد خفّف الخالق جسم الطير ليقدر على الطيران وأدمج خلقته واقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين، ومن الأصابع الخمس على أربع، ومن مخرج البول والزبل على واحد يجمعهما جميعاً، واحتوت خلقته على جناحين وذنب هو عبارة عن ريشات طوال متان لينهض بها للطيران، وكسى جسمه كلّه الريش ليتداخله الهواء فيحمله، أفلا يدلّ هذا وذاك

---

(١) المحّ: صفرة البيض .

(٢) الحابر: شدة الصُفار.

(٣) انظر : الحكمة في مخلوقات الله - الغزالي ٨٧-٩٥.

(٤) الله والعلم الحديث - عبد الرازق نوفل ٦٦-٦٧.

على وجود الخالق اللطيف الخبير؟!"[1]

وتختلف أجهزة التنفسّ في الحيوانات قدر اختلاف أجهزة الهضم بمايلائم بيئتها المعيشيّة. فالحيوانات التي تعيش على الأرض لها رئات تشبه في عملها رئات الإنسان، وفي كل مايلزم لعمليات تبادل ثاني أكسيد الكربون الذي يخرج بالزفير، وبالاوكسجين الذي يدخل الجسم بالشهيق من فتحات الأنف والحنجرة والقصبة الهوائية.

أمّا الحيوانات البرمائيّة، وهي التي تعيش على الأرض والماء فلها رئات تستعملها عندما تكون على البرّ، وخياشيم تستعملها في الماء كخياشيم السمك. تلك الأجهزة الجبّارة الصنع والتي تستلخص الأوكسجين من الماء. ومن عجائب أجهزة التنفّس مايوجد في بعض الديدان التي لايمكن أن تكون لها رئات أو خياشيم، فلها عبارة عن أنابيب مفتوحة على جلد الديدان للتنفس.

ومن طريف ماأكدّه العلم حالياً أنّ معظم الحيوانات الثديية تمتاز بحاسة شّم قوية حادّة وحاسة بعد ضعيفة ، بعكس الطيور فانّها ذات بصر قويّ وشّم ضعيف، وماذاك إلاّ لأن الأولى لها أن تهتدي إلى غذائها الذي يكون دائماً على الأرض في طريقها بحاسة الشمّ، بينما الطير وهو في السماء يحتاج إلى حّدة بصره ليرى غذاءه من على بعُد مرتفع[2]

❑ الفيل:

ومن الحكم البالغة في خلق الفيل وجود شَفْر له فإنه يقوم له مقام اليد في تناول العلف والماء وإيرادهما إلى جوفه، ولولا ذلك مااستطاع أن يتناول شيئاً من الأرض لأنه ليست له عنق يمدّها كسائر الأنعام فلما عُدم العنق أخلف عليه مكانه الخرطوم الطويل ليسدّ مسدّه،

---

(١) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ٢٤٤/١.

(٢) الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٧١-٧٢.

وجعل قادراً على سدله ورفعه وثنيه والتصرّف به كيف شاء، وجعل وعاءً أجوف، لينّ الملمس، فهو يتناول به حاجته ويحمله ماأراد إلى جوفه ويحبس فيه مايريد ويكيد به إذا شاء، ويعطي ويتناول إذا أراد. وقد منع الفيل من العنق، وعوض عنه بذلك الشفر الطويل، ولعلّ من الحكم في ذلك والله أعلم بحكمته في مصنوعاته: لأن رأس الفيل وأذنيه أمرٌ هائل عظيم وحمل ثقيل، فلو كان ذا عنق كسائر الأعناق لانهدت رقبته بثقله ووهنت بحمله، فجعل رأسه ملصقاً بجسمه لئلاً يناله منه شيء من الثقل والمؤنة. فسبحان من فاتت حكمه عَدّ العادين وحصر الحاصرين[1] وهذا الشفر يقوم مقام اليدين في تناول العلف وإيصاله إلى فمه، فلولا ذلك مااستطاع أن يتناول شيئاً في الأرض ، وهو وعاءً يحمل فيه الماء إلى فمه، ومنخرٌ يتنفّس منه، وآلة يحمل بها ماأراد على ظهره ويناول من هو راكب عليها [2].

❑ الجمل:

فالجمل قد أعطى الصورة الخلقية التي تلائم عيشته وأسفاره في الصحراء ، فلهذا خلق برقبة طويلة تُعلي رأسه وتنأى بعينه عن غبار الرمل، كما فتح شفة مشقوقة يستطيع أن يتناول بها أشواك البوادي دون أن تؤذيه، وأعطي سناماً يختزن فيه الدهن إن أعوزه الطعام يوماً في الصحاري القاحلة ، ولم تنته رجله بحافر يغوص في الرمل كحوافر الخيل والبغال والحير، بل انتهت بخفّ يقدر به على إجتياز الرمال دون أن يغوص فيها ولهذا سموه «سفينة الصحراء»[3]

ويحمل الجمل أهداباً طويلة حول عينيه والتي هي أشبه بشبكة تحمي عينيه من ذرات

---

(١) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ١/ ٢٤٠-٢٤١.

(٢) الحكمة في مخلوقات الله - الغزالي ١٠٧-١٠٨.

(٣) وجود الله - د. يوسف القرضاوي ٣٤ الناشر مكتبة وهبة القاهرة، بدون سنة طبع.

الرمال إذا هبّت عاصفة رملية أثناء سيره في الصحراء، وفي الوقت نفسه يستطيع الإبصار من خلال هذه الشبكة، وبذلك لايضطر إلى إقفال عينيه كما يفعل الإنسان لوقاية عينه من التراب.

ويستطيع الجمل التحكّم في فتحة أنفه أثناء العواصف ليمنع دخول الرمل فيه.

لقد أدهش الجمل العلماء بتحمله إذا غاب عنه الماء، وأدهشهم أكثر استعداد الجمل لأن يشرب الماء المالح إذا عطش دون أن يصيبه ضررٌ، ومازالوا في حيرة من أمر أجهزته التي تتكيّف عند الجوع، فلا تفرز كليته نسبة ملحوظة من الماء بل وتنخفض درجة حرارة جلده في الحرّ عند العطش لتقليل تبخّر الماء منه ﴿ إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[1]

ولذا أمر القرآن بأهمية النظر إلى خلق الإبل ومايحويه من أسرار بالغة وعجيبة ، فإنّ البعرة تدل على البعير، وإنّ الأثر يدلّ على المسير فماذا يدل عليه وجود البعير؟!

قال تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ... ﴾[2]

❑ السمك :

وقد خُلق في البحار والأنهار من الحيوان المختلف الصور والأشكال مافيه آيات بينات على وجود خالقها وهو الله سبحانه فإنه تعالى لما جعل مسكن السمك الماء لم يخلق له قوائم ولم يخلق فيه رئة لأنّه لايتمشى وهو منغمس في لجّة الماء وخلق له مكان القوائم أجنحة شدادة يحركّها من جانبه فيسير بها حيث شاء، وكسا جلده كسوة متداخلة صلبة تخالف لحمه، متراصة كأنها درع حماية له من كل مايؤذيه وخلق لبعضها جلداً غليظاً

---

(١) سورة الرعد/ الآية ٣.

(٢) سورة الغاشية /الآية ١٧، أنظر : الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٧٤-٧٥.

متقناً يقوم له مقام تلك الكسوة، وخلق له بصراً وسمعاً وشماً ليستعين بذلك على نيل قوته والهرب؛ ممّا يؤذيه.

ومن حكمة الخالق: أن جعل بعضه غذاءً لبعض ولذا كثّره وجعل أكثر أصنافه يحمل، ولم يجعل الحمل منه مخصوصاً بالأنثى دون الذكر كحيوان البريّة بل جعل الذكر والأنثى منه جنساً واحداً، فيخلق في بطونها مرة واحدة في وقت معلوم عدداً لايحصى. وقد أعطي السمك قدرة على السرعة في الحركة وإن لم تكن له آلة كغيره من الحيوان. ويستطيع السمك أن يحرك ذيله وقد قسمه الخالق ليعتدل بذلك في سيره كما تعتدل السفينة برجلها في سيرها[1]

وللسمك حاسّة غريبة هي حاسّة تفادي الإصطدام بالصخور والحوافر في ظلمات البحار وقد درس العلماء، هذه الظاهرة فقرروا من نتائج دراستها أنّ للسمك خطاً طوليا على كل جانب من جانبيه وبفحص هذه الخطوط بالمجهر، وجُدت أنّها أعضاء دقيقة حسّاسة إلى درجة كبيرة، فإذا اقتربت السمكة من حاجز أو صخرة تحسّ هذه الأعضاء باختلاف ضغط الماء نتيجة اصطدامه بالحاجز حتى ولو كان تماوج الماء قليلاً فتتفادى بذلك الاصطدام إذا تغيّر طريقها، فمن الذي علّم السمك ذلك ومن الذي أوجد له هذه الخاصة والحساسية الشديدة؟! إنّه الله تعالى.[2]

ومن أعجب أدلة الإلهام التي أوجدها الخالق تلك التي نراها في تناسل بعض أصناف السمك التي تعيش في الأعماق الغائرة، واهتداء ذكور كل صنف إلى إناثه في هذا الخضّم الهائل ووسط الظلام الدامس.

---

(١) انظر: الحكمة في مخلوقات الله - الغزالي ١٢٠ - ١٢٤.

(٢) الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٧٢-٧٣.

وكانت هذه إحدى دراسات العلماء التي اتضح منها أنّ الأسماك التي تعيش في الأعماق السحيقة، تنبعث من أجسامها أشعة لامعة قويّة، تشابه أشعة النجوم في شدّة تألقها وجمال بريقها، وقد عرفوا أن هذه الأشعّة بمثابة إشارات ضوئية تتحدّ في أشكالها وتتشابه في نظامها وطريقة إشعاعها، وذلك في كل من الأنواع الواحدة، فبعضها يحمل صنفاً واحداً من بقع مضيئة ممتدة على طول أجسامها، وفي البعض الآخر نجد صفوفاً متراصة فوق بعضها، وفي غيرها تشّع أنوار زاهية كأنّها الألعاب الناريّة، وهكذا يعرف كل نوع أليفه ويتمّ التناسل ﴿حكمة بالغة ...﴾[1]

❑ النحل:

النحل حشرة اجتماعية يعيش في جماعات وثيقة الصلة دقيقة التنظيم، ومن عجيب صنع الخالق في النحل أن ألهمت طريقة بناء بيوتها على شكل مسدس وهذا الشكل من أتّم الأشكال وأحسنها صنعاً فإذا انضم بعضها إلى بعض لم يكن بينها فرجة ولاخلل، ويتم هذا بغير مقياس ولا آلة لكنه إلهام وإيحاء من الخالق للنحل في طريقة صنعه لبيوته ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[2]

وهذا الوحي والإلهام لهذا النوع من الحشرات خاص به فإنّ الذباب والفراش لايصنع لنفسه ذلك النوع القويّ من البيوت، ولعلّ في ذلك حكمة حتى يستطيع النحل أن يحفظ

---

(١) سورة القمر / الآية ٥ أنظر : المرجع السابق ٩٠.

(٢) سور النحل/ الآية ٦٨-٦٩.

عصارة حياته وهو العسل، وقد أعدت النحلة إعداداً عجيباً وجهزت تجهيزاً يناسب الوظيفة التي كلفت بها [1]

نقل القرطبي عن ابن العربي قوله:

ومن عجيب ماخلق الله في النحل أنّ ألهمها لاتخاذ بيوتها مسدّسة، فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة، وذلك أنّ الأشكال من المثلث إلى المعشر إذا جمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل، وجاءت بينهما فُرَج، إلاّ الشكل المسدس فإنّه إذا جمع إلى أمثاله اتصّل كأنه كالقطعة الواحدة [2]

إنّ النحل لايعرف في حياته إلاّ الجدّ والعمل الدؤوب، فينقسم النحل إلى ثلاثة أقسام : الملكة والعاملات الشغالات والذكور. وتمتاز الملكة بكبر حجمها إذ يبلغ طولها ضعف طول النحلة العاملة ومهمتها الحيويّة هي التناسل ففي كل يوم تضع الملكة في المسدسات مابين (١٠٠٠ - ٢٠٠٠) بيضة ملقّحة، تفقس إمّا عن ملكة جديدة أو عن عاملات حسب نوعية الغذاء الذي يقدّم لها، كما أنّ الملكة تضع بيضاً غير ملقح يفقس عن الذكور، وتقوم العاملات بإطعام الملكة من الغذاء الملكي الخاص وهو عبارة عن إفراز تخرجه العاملات من غدة خاصة بين فكّيها، وهو غذاء مركز جداً من البروتينات والدهنيات والسكاكر والأملاح المعدنيّة والفيتامينات، وعلى مواد لها خواص الهرمون الأنثوي، مما يساعد على نضج البيوض في أعضاء الملكة التناسلية، ومتوسط عمر الملكة يتراوح بين (٥-٦) سنوات، وينحصر عمل الذكر من النحل في تلقيح الملكة ولايستطيع الذكر إطعام نفسه بل يعتمد على العاملات، وتقضي العاملات عمرها القصير في عمل دائب فمنذ اليوم

---

(١) رحلة القلب السليم في آثار رحمة الله - محمد العلي ٨٧-٨٨ بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٠/١٣٤.

الرابع من مولدها تبدأ النحلة الصغيرة عملها بإطعام اليرقات وتقسيط العمل على العاملات فمنهن من يتكفل بغذاء الملكة ومنهنّ من يطير بحثاً عن رحيق الأزهار وعن الماء فهي تجمع عدداً كبيراً من حبوب اللقاح ثم تبللها بلعابها الممزوج مع الرحيق وتحملها إلى الخلية في سلال حبوب اللقاح الموجودة في أرجلها الخلفيّة ومن العاملات من يصبّ الشمع على شكل أقراص مكونّه من خلايا سداسيّة ومنهنّ من يقمن بتنظيف الخليّة وبمهارة فائقة لسّد كلّ الشقوق وتصقل حيطان منزلها بمادة تصنعها لذلك هي غراء النحل ويقوم بعض العاملات بالمحافظة على تهوية الخليّة والمحافظة على ثبات درجة الحرارة فيها عند مستوى ثابت ففي أيام الصيف مثلاً تقوم بعض العاملات بتحريك أجنحتها بقوة كالمروحة لإدخال تيارات قويّة من الهواء البارد إلى الخليّة، ويوجد مجموعات من العاملات مهمتهنّ طرد الهواء الساخن، وهناك من العاملات مايقوم بحماية مدخل الخليّة فتلسع كل من يقترب إليها. فسبحان من سخر كل مخلوق لما خلق له[١] ولتجمع النحل رطلاً واحداً من العسل لابّد لها من زيارة خمس وعشرين ألف زهرة، فتظلّ تنتقل من زهرة إلى زهرة وتدخل رأسها في كل منها وتمدّ خرطوم فمها بين ثناياها حتى تصل إلى الرحيق فتمصّه داخل معدتها حيث يهضم فيها ثم تصبه في عيون الخليّة، وقد صار سائلاً سكرياً مهضوماً، ويقوم فريق آخر من النحل بالتأكد من أنّ العسل قد نضج فتغلق العيون بطبقة رقيقة من الشمع لتحتفظ به نظيفاً. أماّ الذكور فإنها لاتعمل شيئاً ولاتضع عسلاً ولاتربي نحلاً بل تعيش على أمل الفوز بالملكة فقط فإذا ماطارت الملكة العروس خارج الخليّة وارتفعت ارتفاعاً كبيراً لاحقتها الذكور وحاولت الوصول إليها.. وكلما وهنت قوى بعضها سقطت على الأرض، أمّا الذكور

---

(١) انظر: العسل - د. محمد نزار الدقر ٤٢-٤٥ وهذا الكتاب هو الحائز على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية في مسابقتها عام ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

القويّة فإنها تستمر في ملاحقتها حتى يصل أقواها إلى الملكة فيلقحها ثم يموت فوراً، ثم تعود الملكة إلى خليتها فتستقبلها العاملات بفرح وحفاوة وتنظف جسمها ثم تبدأ الملكة في وظيفتها الكبرى وهي وضع البيض في استمرار حتى تملأ الخليّة بالنحل الجديد كلمّا انقرض القديم، وتقوم كل نحلة بوظيفتها خير قيام كما أوحى إليها ربّها، وأمّا الذكور التي تعود مع الملكة فإنّ العاملات تقتلها لتتخلص منها وتلقي بها خارج الخلية إذ لافائدة لها ولانفع منها. وللنحلة جناحان مزودان بعضلات مذهلة تنقبض لتضرب الهواء خمس مائة مرة في الثانية، فهناك عددٌ لاعمل له إلاّ الضرب بأجنحته باستمرار لدفع الهواء إلى داخل الخليّة لتجديد الهواء.

ومن العجيب فإن النحلة لاتتبرز قطعاً في الخليّة، بل تخرج إلى الفضاء لتقضي حاجتها، فواعجباً! من الذي علمّها هذه النظافة ومنها هذا النشاط في السعي لإتقان صنع العمل وجمع مواد من الأزهار ومن الذي ألهمها هذا النظام في إدارة هذا العمل العظيم فاختصّ كل منها في عمل يقوم به خير قيام ومن حباها هذه الفطنة ، وهذه الحكمة لتسعى دائماً دائبة وتحاول جاهدة إتقان عملها بلا أجر ولاكسب؟

إنّ في صنع الحشرات للعسل في هذا النظام العجيب وهذا التصرف الحكيم لآيات لأولي الألباب وفيه أكبر دليل على أنّ وراء هذا التصرف من هذا المخلوق الضعيف وجود خالق عظيم قدير أوجدها وألهما هذه الطريقة وسيرّ أمرها على هذا النموذج الفريد وهو الله سبحانه وتعالى.

فالنحل يجمع ثم يصنع ثم يجمع ثم يصنع فينتج غذاءً وشفاءً للناس حلو المذاق فكيف صنعته وطبخته بلا أدوات طبخ، هذه الحشرة الصغيرة التي لاعقل لها بعد ماجمعته من

الأزهار ثم أخرجته من بطونها لذيذاً نظيفاً؟!"[1]

ومن العبرة في النحل بإنصاف النظر وإلطاف الفكر في عجيب أمرها ، فيشهد اليقين بأن ملهمها الصنعة اللطيفة مع البنية الضعيفة، وحذقها باحتيالها في تفاوت أحوالها هو الله سبحانه وتعالى فإنها تأكل الحامض والمرّ والحلو والحامض والحشائش الضارّة فيجعله الله تعالى عسلاً حلواً وشفاءً وفي هذا دليل كبير على قدرته سبحانه وتعالى فضلاً عن وجوده[2]

❑ النمل:

النمل جمع لنملة والنملة حشرة صغيرة تحكم شأن معيشتها وتنظم حياتها في جدٍّ وإجتهاد وعمل وسمى النمل بهذا الإسم لتنمله وكثرة حركته، وهو عظيم الحيل في طلب الرزق ، فإذا وجد شيئاً أخبر الباقين ليأتوا إليه، ومن طبعه أن يحتكر قوته من زمن الصيف إلى زمن الشتاء"[3] وقد ألهم النمل في إحتشاده وفي طريقة جمع قوته وتعاونه على ذلك، وإعداده لوقت عجزه عن الخروج والتصرّف بسبب حرٍّ أوبرد ، وألهمت في التغلبّ على الصعاب والمشاق، فإذا عجز بعضها عن حمل شيء، أعانه نمل آخر فصاروا متعاونين على النقل، كما يتعاون الناس على العمل الجماعي وقد ألهم النمل حفر بيوت في الأرض، تبتديء في ذلك بإخراج ترابها وتقصد إلى الحبّ الذي فيه قوتها فتقسمه خشية أن ينبت

---

(١) آيات للموقنين - محمد الصرايرة ١٠٢-١٠٨ بتصرف.

(٢) انظر : الجامع لاحكام القرآن - القرطبي ١٠/ ١٤٠.

(٣) رحلة القلب السليم في آثار رحمة الله - محمد العلي ٩٠ بتصرف.

بنداوة الأرض، ولو أصاب الحبَّ بللٌ أخرجته فنشرته حتى يجف[1]

والنملة حشرة ضعيفة ولكن الخالق أعطاها شيئاً من الفطنة أو الحيلة لتستعين بها في حياتها سواء كان ذلك في جمع القوت وادّخاره ودفع الآفة عنه، فإنّ عمل النملة في ذلك آية من آيات الله تعالى، ومن عجيب أمر الفطنة في النملة : أنها إذا نقلت الحبّ إلى مساكنها كسرته لئلا ينبت فإن كان مما ينبت الفلقتان منه كسرته أربعاً، فإذا أصابه ندا وبلل وخافت عليه الفساد أخرجته للشمس ثم تردّه إلى بيوتها، ولهذا يشاهد في بعض الأحيان حبًا كثيراً على أبواب مساكنها مكسراً ثم يعود المُشاهد عن قريب فلا يرى منه واحدة.

ومن فطنتها: أنّها لاتتخذ قريتها إلاّ على نشز من الأرض لئلاّ يفيض عليها السيل فيغرقها، فلا توجد قرية نمل في بطن وادٍ، ولكن في أعلاه، ومالرتفع عن السيل منه ويكفي من فطنتها مانصّ الخالق في كتابه من قولها لجماعة النمل وقد رأت سليمان عليه الصلاة والسلام ﴿ ياأيها النمل: ادخلوا مساكنكم لايحطمنكّم سليمان وجنوده وهم لايشعرون ﴾[3] ولذلك أعجب سليمان من قولها وتبسّم ضاحكاً منه وسأل الله أن يوزعه شكر نعمته عليه لمّا سمع كلامها ﴿ فتبسم ضاحكاً من قولها وقال: ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾[4]

ولاتستبعد هذه الفطنة من أمة من الأمم تسبّح بحمد ربّها، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (نزل نبيٌ من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج

---

(١) آيات للموقنين – محمد الصرايرة ١٠٩ مكتبة المنار الزرقاء، الأردن ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٣) سورة النمل / الآية ١٨.

(٤) سورة النمل / الآية ١٩.

من تحتها ثم أمر بها فأحرقت. فأوحى الله إليه: فهلاً نملة واحدة)[١]

إنّ الناظر في حياة النملة يرى تلك الدقة والفطنة التي ألهمتها لتقوم بدورها في الحياة على الوجه المطلوب، وكأنّها أعطيت عقلاً، وإنّ ذلك لامحالة مما يدلّ دلالة كبيرة على أنّ خالقاً خلقها وأبدعها على هذا الصنع بل إنّها قد أعطيت قدرة عجيبة على حمل الأثقال، فكثيراً مانرى النملة تحرك شيئا أكبر كثيراً من حجمها، ولقد أخبر بعض العارفين أنّه شاهد من النمل يوماً عجباً، قال : رأيت نملة جاءت إلى شقّ جرادة فزالته فلم تطق حمله من الأرض فذهبت غير بعيد، ثم جاءت بجماعة من النمل، قال: فرفعتُ ذلك الشقّ من الأرض فلما وصلت النملة برفقتها إلى مكانه ودارت حوله ودرن معها فلم يجدن شيئاً فرجعت فوضعتُه. ثم جاءت فصادفته فزاولته فلم تطق رفعه فذهبتْ غير بعيد، ثم جاءت بهنّ فرفعتهُ فدرن حول مكانه فلمّا لم يجدن شيئاً فذهبن فوضعتُه فعادت فجاءت بهنّ فرفعتُه فدرن حول المكان فلمّا لم يجدن شيئاً تحلقن حلقة واحدة وجعلن تلك النملة في وسطها ثم تحاملن عليها فقطعنها عضواً عضواً وأنا أنظر[٢]

الدليل الثالث : خلق النبات :

النبات عالم قائم بذاته، مازال العلماء يجتهدون في دراسته، وفي كل يوم يقطعون في كشف خصائصه أشواطاً شاسعة.. وقد قسّم العلماء النباتات إلى عدة أقسام مختلفة بالنسبة لصفاتها التشريحيّة أو تناسلها أو بيئاتها. وينبت النبات عموماً من بذرة تتوافر لها ظروف خاصة، أهمّها حيويّة الأجنّة فيها وتحافظ البذور على حيويتها لمدد طويلة تعتبر

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: النهي عن قتل النمل ٤/١٧٥٩رقم ٢٢٤١ انظر: مفتاح دار السعادة - ابن القيم ١/٢٤٢-٢٤٣.

(٢) المصدر السابق ١/٢٤٣.

في ذاتها دليلاً على وجود الله سبحانه فقد أمكن استنبات حَبات قمح وجدت في قبور الفراعنة ويجب توفّر الماء الضروري للإنبات والحرارة المناسبة، فكل بذرة تنبت في درجة حرارة معينّة، والهواء ضروري للنبات، فهو كائن حيٌّ يعيش ويحيا ويتنفسّ بل ويحس ودرجة إحساسه واستجابته للمؤثرات قوية وسريعة"[١]

ولعلّ من أبرز الأدلة على وجود الله ماينظر فيه وإليه العقل من إنبات الأرض للنباتات والحبوب والفواكه وهو ماأشار إليه قول الله تعالى ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنّات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إنّ في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾[٢]

فإنّ الخالق يخرج الحبّ من النبات الأخضر وهذا ما أدركه العلم من أن النبات ينتج المواد الغذائيّة بواسطة خلايا الورقة الخضراء، إنّ أحسن معمل لدى الإنسان لايقارن بنشاط ذلك المعمل الموجود في خلية الورقة الخضراء، ويبينّ القرآن الكريم: اختلاف النبات في الطعم رغم اتحاد التربة والماء ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾[٣] فترابها واحد وماؤها واحد، وفيها زروع وجنات، ثم تتفاوت في الثمار والتمرّ، فيكون البعض حلواً والبعض حامضاً ، والغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثّمر فيه من الصغر والكبر واللون والطعم، وإن انبسط الشمس والقمر على الجميع على نسق واحد في هذا أدلّ دليل على وحدانيته وعظم صمديتّه، والإرشاد لمن ضلّ

---

(١) الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٧٦.

(٢) سورة الأنعام/ الآية ٩٩.

(٣) سورة الرعد / الآية ٤.

عـن معرفته[١].

يقف العلم مدهوشاً أمام هذه القدرة العجيبة التي جعلت الأرض الواحدة تنبت أنواعاً مختلفة من النبات، فيقول العلماء: إنّ العناصر التي تتألف منها كل النباتات معلومة، وكلّها تمتصّ غذاءها من الأرض من تراب واحد، وتسقى بماء واحد، وتتنفّس من هواء واحد، وتصنع غذاءها وثمارها من كربون واحد، فالأقرب إلى المصادفة، أن تنبت كلّها نوعاً واحداً فما هو السرّ الذي يجعلها تختلف بعضها عن بعض في الثمرات والأكل؟! حتى لو زرعنا في مساحة صغيرة لاتزيد على ذراع مربع من الأرض الحلو والحامض والمرّ والسّام وسقيناها بماء واحد، نجد أن كل صنف يُخرج ثماره المختلفة المتميزّة من دون أقلّ اختلاط أو امتزاج..؟

لقد عرف العلم اليوم، أنّ الله جلّت قدرته جعل في بذور النبات كما في بيوض الحيوانات، عناصر التخطيط النووي للخليّة، حسب نوع النبات، وبهذا التخطيط يتبع سيره في تكوين الثمرات والأكل على اختلاف ألوانها وثمراتها،[٢] وهذه الظاهرة يدركها الإنسان البدائي الأمّي الفطري، فتدله على أنّها فعل خالق مدبّر مختار، ويدركها العالم الباحث المتفكّر فتدلّه على أنّها أثرٌ لإبداع، وفعل لحكيم مختار[٣]

وإنّ الناظر بعين بصيرة يرى اختلاف الألوان فيما تنبته الأرض كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٩/ ٢٨١ للاستزادة انظر: روح الدين الاسلامي - عفيف طبارة ٧٥ ومابعدها.

(٢) قصّة الإيمان -نديم الجسر ٣٦٢.

(٣) براهين وأدلة إيمانيّة- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ٣٦٢.

مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً إنّ في ذلك لذكرى لأولي الألباب﴾ (١)
فالحياة النباتيّة التي تعقب نزول الماء وتنشأ عنه، حارقة يقف أمامها جهد الإنسان حسيراً، ورؤية النبتة الصغيرة وهي تشقّ حجاب الأرض عنها، وتزيح أثقال الركام من فوقها، وتتطلع إلى الفضاء والنور والحريّة، وهي تصعد إلى الفضاء رويداً رويداً .. هذه الرؤية كفيلة بأن تملأ القلب المفتوح ذكرى وأن تثير فيه الإحساس بالله الخالق المبدع الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، والزرع المختلف الألوان في البقعة الواحدة. بل في النبتة الواحدة بل في الزهرة الواحدة إن هو إلاّ معرض لإبداع الإله سبحانه، ونمو النبتة في مراحلها ذكرى للذين يتدبرون فيذكرون، وينتفعون بما وهبوا من عقل وإدراك (٢)

نمو النبات:

يتساءل الدكتور: لسترجون زمرمان (٣) عن كيفيّة نموّ النبات فيقول:

«لايكفي أن يكون هنالك ضوء ومواد كيماوية وماء وهواء لكي ينمو النبات، إنّ هنالك قوة داخل البذرة تنبثق في الظروف المناسبة فتؤدي إلى قيام كثير من التفاعلات المتشابكة المعقّدة والتي تعمل معاً في توافق عجيب. والبذرة التي بدأت من اتحّاد خليتين مجهريتين تتألف كل منهما من عدد كبير من العناصر والعمليات، تكونّ فرداً جديداً يشقّ طريقه في الحياة ويكون مشابهاً للنبات الذي انتجه بحيث لاتنتج حبّة القمح إلاّ قمحاً ولابذرة البلوط إلاّ شجرة البلوط. ورغم مابين أنواع النبات من تشابه تجد لكل صفاته وخواصّه المميزّة ....»

---

(١) سورة الزمر/ الآية ٢١

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب ٣٠٤٧/٥ - ٣٠٤٨.

(٣) أستاذ الزراعة والرياضيات بكلية جوشن وعضو الجمعية العلميّة لدراسة التربية بأمريكا.

وبينما تختلف النباتات الراقية اختلافات فرديّة بعضها عن بعض ، نجد لها بعض الصفات العامّة التي تشترك فيها جميعاً، فكلّها مثلاً تقوم بعملية التمثيل الضوئي الذي يُنتج فيه النبات المواد الغذائيّة من ثاني أوكسيد الكربون والماء في وجود الضوء، وهنالك التشابه في تركيب البذور والسيقان والأوراق والأزهار ومايؤديه كل منها من الوظائف المتماثلة في النباتات المختلفة. وهنالك الإستجابة الموحدة للمؤثرات الخارجيّة، فكلّها تنتحي نحو الضوء وتموت عندما تحرم من الضوء أو الأوكسجين، إلى غير ذلك من الصفات العديدة التي تشترك فيها جميع النباتات.

فمن الذي قدّر وأوجد تلك القوانين العديدة التي تتحكم في وراثة الصفات وفي نمو النبات؟ وسوف يقودنا هذا السؤال إلى سؤال آخر أشدّ تعقيداً وأكبر عمقاً، وهو: من أين جاءت النباتات الأولى؟ أو بعبارة أخرى: كيف خلق النبات الأول؟

ونحن لانستطيع أن نصل بعقلنا الطبيعي ومنطقنا السليم إلى أنّ هذه الأشياء قد أنشأت نفسها بنفسها أو نشأت هكذا بمحض المصادفة، ولابدّ لنا من البحث عن خالق مبدع، ويعتبر التسليم بوجود الخالق أمراً بدهياً تفرضه عقولنا علينا [1]

ولما كانت الأشجار وأصناف النباتات محتاجة إلى الغذاء الدائم كحاجة الحيوانات، ولم يخْلق فيها حركات تنبعث بها، ولا آلات [2] توصل إليها غذاءها، جُعلت أصولها[3] مركوزة في الأرض، لتجذب الماء من الأرض فتغتذي به أصولها وماعلا منها من الأغصان والأوراق والثمار، فصارت الأرض كالأمّ المربيّة لها، وصارت أصولها وعروقها كالأفواه

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم - أشرف على تحريره جون كلوفر مونسما - ترجمة د. الدمرداش عبد المجيد سرحان ص١٢٢-١٢٤.

(٢) يقصد بالآلات هنا: اليدان.

(٣) يقصد بالأصول: الجذور.

الملتقمة لها، وكأنّها ترضع لتبلغ منها الغذاء، كما يرضع أصناف الحيوان من أمهاتها والنبات له عروق منتشرة في الأرض ممتدة إلى كل جانب تمسكه وتقيمه ولولا ذلك لم تثبت الأشجار العالية [١].

تختلف الجذور وهي أول أجزاء جهاز النبات الغذائي عن بعضها البعض اختلافاً بيّناً بالنسبة لحاجات النبات فهناك الجذور الوتديّة والجذور الدرنّية والليفية والهوائية والتنفسيّة وكل هذه الأشكال لتتواءم مع إمكان حصول النبات على حاجته من الغذاء. وأمّا التي لايوجد لها جذور مناسبة فيكون لها ممصّات للتغذية، وماخلقت كل هذه إلاّ لتساعد على تغذية النبات وتهيئة حياته.

وللجذر فائدة هامة غير ذلك ألا وهي تثبيت النبات إذ يقع عليه أمر قيام النبات والإحتفاظ به. فلا يسقط أويقع. وعندما تنظر إلى هذه الأشجار الضخمة الكبيرة واقفة شامخة. فإننا نتذكر الجذر الذي يمسكها وعندما نرى هذه السموات العظيمة التي خلقت بغير عمدٍ نراها فإنّا نتذكر أنّ وراءها خالقاً خلقها وهو الذي يمسكها أن تقع أو تزول سبحانه وتعالى [٢]

تكوين الغذاء:

ومن آيات الله الدالة على وجوده وعظيم صنعه: تكوين الغذاء في النبات.

فقد ذكر علماء النبات أنّ الغذاء يتكون في النبات وتعرف هذه العملية بالتمثيل الضوئي: وهي تتمّ بدخول ثاني أكسيد الكربون من الجو إلى النباتات عن طريق الثغور التي تمتلئ بها أوراقها وبعد ذلك يقابل هذا الغاز المادة الخضراء والماء، ولكن عمليّة التمثيل هذه

---

(١) الحكمة في مخلوقات الله - الغزالي ١٢٨.

(٢) انظر : الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٧٧-٧٨.

تحتاج إلى طاقة ضوئيّة، والوسيط الوحيد الذي يستطيع الحصول على الطاقة الضوئيّة من الشمس هو المادة الخضراء، وتتم الطبخة الغذائية بطريقة عجيبة فتتحد العناصر البسيطة، وتوجد المادة الغذائية للكائنات الحيّة. فالورقة الخضراء معملٌ معقّد كيميائي مدهش، لصناعة غذاء الإنسان والكائنات الحية التي تتغذى أعلى النباتات، على الرغم من صغر حجمها، وعدم ملاحظة التعقيد في مظهرها، واستهانة الناظر العادي بشأنها وقيمتها، إنّ ورقة النبات نوع من الآلات الدقيقة الصنع التي تعمل وهي مكشوفة في الصحراء وفي مختلف الأحوال الطبيعيّة في الجوّ. إنّها العضو النباتي الذي يقوم ويؤدي وظيفتين حيويتين للنبات هما: التنفسّ وصناعة الغذاء. وقد أعدّت إعداداً ملائماً لاستقبال أشعة الشمس الساطعة الحارّة طوال ساعات النّهار وتحّمل وابل المطر "(١).

ففي الورقة الواحدة من جملة العروق الممتدة فيها والمبثوثة فيها مايبهر الناظر، فمنها غلاظ ممتدة في الطول والعرض ومنها: دقاق تتخلّل تلك الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجباً لو كان مما يتولى البشر صنع مثله بأيديهم لما فرغوا من ورقة في عام كامل ولاحتاجوا فيه إلى آلات وحركات وعلاج تعجز قدرتهم عن تحصيله فبثّ الخلاّق العليم في أيّام قلائل من ذلك مايملأ الأرض سهلها وجبالها بلا آلات ولامعين ولامعالجة إن هي إلاّ إرادته النافذة في كل شيء وقدرته التي لايمتنع منها شيء، فمن وظائف تلك العروق المتخللّة للورقة سقيها لتحفظ عليها حياتها ونضارتها فهي بمنزلة العروق المبثوثة في الأبدان التي توصل الغذاء إلى كل جزء منه، ومن فوائدها ووظائفها: إمساك الورق بصلابتها ومتانتها لئلا تتمزق وتضمحّل فهي بمنزلة الأعصاب لبدن الحيوان "(٢)

---

(١) براهين وأدله إيمانيّة - عبد الرحمن الميداني ٣٤٥-٣٤٦.

(٢) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ٢٢٥/١ - ٢٢٦.

حمل النبات

ومن كرم الخالق على الإنسان والحيوان أن جعل الأشجار تحمل كل عام، فهي في حمل ووضع فإذا أذن الخالق للأشجار بالحمل احتبست الحرارة الطبيعيّة في داخلها واختبأت فيها ليكون فيها حملها في الوقت المقدرّ لها فيكون ذلك الوقت بمنزلة وقت العلوق. ومبدأ تكوين النطف فتعمل المادّة في أجوافها عملها وتهيئها للعلوق حتى إذا آن وقت الحمل دبّ فيها الماء فلانت أعكافها وتحركّت للحمل وسرى الماء في أفنانها وانتشرت فيها الحرارة والرطوبة حتى إذا آن وقت الولادة كسيت من سائر الملابس الفاخرة من النور والورق ماتبختر فيه، فإذا ظهرت أولادها وبان للناظر حملها علم حينئذ كرمها وطيبها من لؤمها ونجلها، فتولى تغذية ذلك الحمل الذي تولى غذاء الأجنة في بطون أمهاتها، وكساها الأوراق وصانها من الحرّ والبرد، فإذا تكامل الحمل وآن وقت الفطام تدلت أفنانها كأنّها تناول ثمرة درّها وتهيأت للقطاف، فسبحان من يسر كل شيء لما خلق له - وهو الله تعالى -[1]

والنخلة إحدى آيات الله الناطقة بوجوده وعظمته، فإنّ فيها مايبهر العقول، فإنّه لما قدرّ أن يكون فيه إناث تحتاج إلى اللقاح جعلت فيها ذكور تلقحها بمنزلة الحيوان وإناثه ولذلك اشتّد شبهها من بين سائر الأشجار بالإنسان خصوصاً بالمؤمن[2]

الذكورة والأنوثة في النبات:

إنّ من الآيات الدالة على وجود الله: حدوث الإنقسام في أعضاء النبات من تذكير وتأنيث، فبعض النباتات تلقح نفسها بنفسها، وبعضها يأتيها اللقاح بواسطة الهواء

---

(١) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ١/٢٢٨ - ٢٢٩.

(٢) المصدر السابق ١/٢٣٠.

والحشرات من نبتة أخرى ولهذا يقول الله تعالى: ﴿ أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم. إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾[١]

فإخراج النبات الحيّ من الأرض وجعله زوجاً ذكراً وأنثى معجزة، سواء منفصلين كما في بعض فصائل النبات أو مجتمعين كما هو الغالب في عالم النبات، حيث تجتمع أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث في عود واحد .. هذه المعجزة تتكرر في الأرض في كل لحظة، والأمر لايحتاج من العاقل أو من الناظر سوى رؤية فقط[٢] فعمليّة الإزدواج والذكورة والأنوثة وعملية التناسل في كل نوع وجنس من أنواع النبات والتي هي من أبدع ماصوّر الخالق سبحانه وأعجز به وكان آية دالة على إبداعه وخلقه المتقن فضلاً عن وجوده سبحانه فهذا الجنين للنبات الموجود في البذرة يكون فيها في حالة سكون تام، ولديه كل مايحتاج إليه أثناء الإنبات من غذاء مدّخر، وله أغلفة تحميه من المؤثرات الخارجيّة، أمّا الجنين نفسه فيتكون من نفس الأعضاء الأساسية للبالغ، فله جذر وساق وأوراق في صورة مصغرة جداً، ويتفاوت هذا الجنين في الصغر والكبر ففي حبّ البلح صغيرٌ جداً، أمّا في الفول فهو على العكس. فمن ركبّه هذا التركيب الدقيق المتقن المحكم؟ ومن نظمّ أجزاءه على نطاق جزئي صغير جداً؟ ومن حماه من المؤثرات؟ ومن هندسه وأنشأه وأبدعه؟ لاشك أنّه الإله العظيم سبحانه خالق كل شيء[٣]

---

(١) سورة الشعراء/ الآية ٧-٨.

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب ٥/ ٢٥٨٥.

(٣) آيات الله تعالى - الأميري ٢/ ٢٨٠ للإستزادة انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم - موريس بوكاي، ترجمة: الشيخ حسن خالد ٢٢٨ ومابعدها ط٢ المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

تحصين الحبوب

ومن الأدلة العلميّة على وجود الخالق: ذلك الإبداع في خلق النبات فإنّ الحبوب تخرج في أوعية تشبه الخرائط، لتصونها وتحفظها إلى أن تشتد وتستحكم كما تخلق المشيمة على الجنين، فأمّا البذر وماأشبهه من الحبوب فإنه يخرج من قشور صلبة، على رؤوسها أمثال الأسنّة لتتحصن من الطير [1] فالحبّة تخرج مدرجة في قشور، فلو صادف الطير الحبّ بارزاً لاصوان عليه ولاوقاية تحول دونه لتمكن منه كل التمكنّ فأفسد وعاب وعاث وأكبّ عليه أكلاً مااستطاع وعجز أرباب الزرع عن رده فجعل اللطيف الخبير عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطير منه مقدار قوته ويبقى أكثره للإنسان فإنه أولى به لأنه هو الذي كدح فيه وشقي به وكان الذي يحتاج إليه أضعاف حاجة الطير [2]

نوى الثمرة:

ومن الحكم التي أودعها الخالق سبحانه في بعض مخلوقاته والتي تنطق شاهدة بوجود خالقها وباريها ماهو مكنون في جوف الثمرة من النوى، فإنّ للنوى في جوف الثمرة عدة فوائد منها:

أ- أنّه كالعظم لبدن الحيوان فهو يمسك بصلابته رخاوة الثمرة ورقّتها ولطافتها ولولا ذلك لشدخت وتفسخّت ولأسرع إليها الفساد فهو بمنزلة العظم ، والثمرة بمنزلة اللّحم الذي يكسوه الله عز وجل العظام.

---

(١) الحكمة في مخلوقات الله - الغزالي ١٢٧.

(٢) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ٢٢٧/١.

ب- أنّ في ذلك بقاء المادّة وحفظها إذ ربّما تعطّلت الشجرة أو نوعها فخلق الله فيها مايقوم مقامها عند تعطلها وهو النوى الذي يغرس فيعود مثلها.

جـ- أنّه قوت للحيوانات وفيه من المنافع والإدّهان والأدوية والأصباغ وضروب أخر من المصالح التي يتعلّمها الناس، وماخفي عليهم منها أكثر.[1]

تنفسّ النبات:

ذكر علماء النبات عدة أمور عجيبة، تشهد بعظم صنعة الخالق وجليل حكمته ورائع إتقانه، ومنها: أن النباتات تتنفسّ، وبتنفّسها تأخذ الأكسجين من الجوّ ليلاً، وتطرح مايسمى بثاني أكسيد الكربون، مثلها في ذلك كمثل الكائنات الحيّة المتحركّة بالإرادة، ويصحب تنفسّ النبات ارتفاع في درجة الحرارة [2] وقد تّم اكتشاف عملية تنفسّ النبات في عام ١٧٧٩م وعلى أنّه يتنفّس في الليل والنهار إلاّ أنّه في النّهار لاتظهر نتيجة التنفّس واضحة بالنسبة لعملية التمثيل الكربوني التي يجريها النبات بسرعة بأكثر من علميّة التنفّس فيخرج الأكسجين ويمتص ثاني أكسيد الكربون لذلك فقد عرف بأن ارتياد الحدائق يكون نهاراً ولايحسن ارتيادها ليلاً حيث يتنفسّ النبات، ولايوجد تمثيل كربوني، وبذلك ينطلق ثاني أكسيد الكربون ويأخذ النبات الأكسجين.

وقد دلّت الأبحاث : على أن عملية التمثيل الكربوني كانت كفيلة وحدها باستهلاك ثاني أكسيد الكربون الموجود في العالم لو أنّ الأمر قد اقتصر عليها، ولكنّ العليم الخبير قدرّ ذلك فجعل الكائنات الحيّة تخرج في تنفّسها ثاني أكسيد الكربون كما أنّ الأجسام

---

(١) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ٢٢٧/١.

(٢) براهين وأدلة إيمانية - عبد الرحمن الميداني ٣٤٥.

الميّتة في تحللهَا تخرج ثاني أكسيد الكربون وكذلك بعض التفاعلات الأخرى ولم يترك أمر استهلاك ثاني أكسيد الكربون وإنتاجه على غاربه، فقد اقتضت حكمة الخالق أن تكون نسبة ثاني أكسيد الكربون في الجوّ دائماً من ثلاثة إلى أربعة أجزاء في كل عشرة الآف جزء هواء، وأنّ هذه النسبة ينبغي أن تكون ثابتة على الدوام لعمار العالم، فلم يحدث قط مهما اختلفت عمليات الإستهلاك وعمليّات الإنتاج أن اختلفت هذه النسبة، فهل وجد كل هذا مصادفة دون تقدير أو تدبير[1]

تبخير الماء «النتح»

تتجلى قدرة الخالق في عمليات النتح، والنتح عبارة عن تبخّر الماء من النبات عن طريق الأوراق، الأمر الذي يساعد على صعود العصارات من الأرض خلال الجذور.

وينبغي ألاّ يستهان بتلك العمليّة فشجرة واحدة قد تنتج في اليوم العادي مايقرب من (٥٠٠) لتر من الماء. وإذا ارتفعت درجة الحرارة، وجفّ الجوّ ، واشتدت قوة الرياح، زاد النتح عن ذلك .. ويعزى إليه تلطيف الجوّ في المناطق المعتدلة، وسقوط الأمطار في المناطق الأستوائيّة ذات الغابات الغزيرة بالأشجار الضخمة. وليست فائدة النتح مقصورة على صعود العصارة الذائبة في الماء إلى النبات، ثمّ تبخير الماء وبقاء الأملاح الذائبة التي يكوّن منها النبات موادّه الغذائيّة فحسب، بل هي تلطف درجة حرارة الأنسجة الداخليّة وتنظّمها. وتتمّ عمليّة النتح بواسطة ثغور موجوده على الورقة.

ومن عجائب آيات الخالق في هذه العمليّة أن الثغور في النبات يختلف بما يلائم بيئته، فعدد ثغور النباتات الصحراوية أقلّ من نباتات الحقل، مما يقلّل النتح في الأولى عن الثانية والجهاز الثغري نفسه آية من آيات الخالق سبحانه إذ يتكوّن من خليتين حارستين

---

(١) الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٨٠-٨١.

بينهما ثغر، وهذه الخلايا الحارسة تحرس الثغر فتنظم عملية فتحة وإغلاقه تباعاً لحاجة النبات، فإذا ازداد تركيز السائل في الخلايا الحارسة سبحت الماء من الخلايا المجاورة، وتمتلىء حتى تأخذ شكلاً كروياً، وبذلك يتفتح الثغر، فتتبخّر المياه، ويمتص الجذر الماء من التربة.

أمّا إذا كانت عصارة الخلايا الحارسة غير مركّزة، فتكون متهدِّلة الجوانب، متماسة الجدار فيقفل بذلك الثغر[١]

تعاقب الحبوب والفواكه حسب الفصول :

ومن حكمة الخالق سبحانه أن جعل الأقوات والثمار والحبوب والفواكه متلاحقة شيئاً بعد شيء متتابعة، ولم يخلقها كلّها جملة واحدة حتى لايدخلها الخلل، وحتى لاتفوت المصالح التي رتبت على تلاحقها وتتابعها. فإنّ كل فصل يقتضي من الفواكه والنبات غير مايقتضيه الفصل الآخر، فهذا حارٌ وهذا بارد، وهذا معتدل، وكل في فصله موافق للمصلحة لايليق به غير ماخلق فيه[٢]

فمن رحمة الله وحكمته أن جعل أصناف الفواكه والثمار توافي الناس حسب الوقت المشاكل لها المقتضى لها فتوافيهم كموافاة الماء للظمآن، فتتلقّاها الطبيعة بانشراح واشتياق منتظرة لقدومها كانتظار للغائب، فلو كان نبات الصيف إنّما يوافى في الشتاء لصادف من الناس كراهية واستثقالاً بوروده مع ماكان فيه من المضرّة للأبدان، والأذى لها! وكذلك لو وافى مافي ربيعها في الخريف، أو مافي خريفها في الربيع لم يقع من النفوس ذلك الموقع ولا

---

(١) أنظر: الله والعلم الحديث - عبد الرزاق نوفل ٧٨-٧٩، براهين وأدلة إيمانية - عبد الرحمن الميداني ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ٢٢٤/١.

استطابته واستلذته ذلك الإلتذاء، ولهذا نرى المتأخر منها عن وقته مملولاً محلول الطعم، ولا يظن أن هذا لجريان العادة المجرّدة بذلك، فإنّ العادة إنّما جرت به لأنّه وفق الحكمة والمصلحة التي لايخلّ بها الحكيم الخبير."[1]

الرمّان :

ومن الحكم والعجيب في خلق النبات والتي تدلّ على قدرة خالقها وعظمته ودقّة خلقه فضلاً عن وجوده سبحانه ماهو موجود في داخل الرمّانة كأمثال القلال شحماً متراكماً في نواحيها، وذلك الحبّ المرصوف فيها رصفاً، والمنضود فيها نضداً، لاتمكن الأيدي أن تنضده، والحب مقسوماً أقساماً وفرقاً، وكل قسم وفرقة منه ملفوفاً بلفائف وحجب، منسوجة أعجب نسج وألطفه وأدّقه على خير منوال، ولا يستطيع الحبّ أن يمدّ بعضه بعضاً إذ لو مدّ بعضه بعضا لاختلط وصار حبة واحدة، فجعل ذلك الشحم خلاله ليمدّه بالغذاء، لذا كان أصول الحبّ مركوزاً في ذلك الشحم بخلاف حبّ العنب فإنه استغنى عن ذلك بأن جعل لكل حبّة مجرى تشرب منه فلا تشرب حق أختها بل يجري الغذاء في ذلك العرق مجرى واحداً، ثم ينقسم منه في مجاري الحبوب كلّها فينبعث منه في كل مجرى غذاء تلك الحبّة، فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم إنّه لفّ ذلك الحبّ في تلك الرمّانة بتلك اللفائف ليضمّه ويمسكه فلا يضطرب ولا يتبدّد ثم غشى فوق ذلك بالغشاء الصلب صوناً له وحفظاً وممسكاً له بإذن الله وقدرته، فهذا قليل من كثير من حكمة هذه الثمرة الواحدة "[2]

---

(١) المصدر السابق ١/ ٢٣٠.

(٢) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ١/٢٢٧-٢٢٨.

طعام الإنسان النباتي :

ومما يدل على وجود الخالق وكمال قدرته، طعام الإنسان النباتي ، فإنّ قصة طعامه مفصلة مرحلة مرحلة، وليس للانسان من يدٍ فيها ، بل إنّ الذي أخرج الإنسان إلى الحياة هو الذي أخرج طعامه ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه أنّا صببنا الماء صبّاً ثم شققنا الأرض شقاً فأنبتنا فيها حبّاً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾[1].

فصبَّ الخالق المطر على الأرض بقدرته ثمّ شق الأرض وجعل الماء يتخلل تربتها وبدأ ينمو على وجهها ويمتدّ في الهواء فوقها ، فينبت به الخالق جميع الحبوب التي يأكلها الناس ويتغذى بها الحيوان في كل حالاته،وأنبت الخالق أنواع الفواكه والخضار من العنب وعلف البهائم والزيتون والنخيل وأوجد الحدائق كثيرة الأشجار والفواكه متعدّدة الأصناف فضلاً من الله ونعمة وليس للإنسان دور في ذلك [2].

وقد اختار القرآن الكريم من أنواع النباتات التي تبلغ الملايين الحبَّ والنخيل والأعناب والفواكه والخضروات وغيرها ، وخصّها بالذكر من بين كل الثمرات التي تنفع الناس ليشير إلى وجود القصور والعناية في الخلق، فإنّ حاجة جسم الإنسان إلى غذاء يتكون من مواد نشويّة سكريّة وكربونيّة ومواد دهنيّة وبروتينيّة، وتوجد هذه في الأنواع الغذائية المذكورة في الآية السابقة، فسبحان الخالق ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ... ﴾ [3]

---

(١) سورة عبس/ الآية ٢٤-٣٢

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب ٦/ ٣٨٣٢-٣٨٣٣ بتصرف.

(٣) سورة السجدة / الآية ٧ انظر: قصة الإيمان - نديم الجسر ٣٦٢-٣٦٣ بتصرف.

هذه إطلالة سريعة على بعض أنواع المخلوقات وكان هذا الاستعراض العلمي حول خلق الإنسان، وخلق الحيوان، وخلق النبات، والذي ينطق كل مخلوق من هذه الأصناف بأن خالقنا هو الله سبحانه

وهذه آيات تدل على إثبات هذه القضايا الرئيسة:

قال تعالى ﴿ ربنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى ﴾[1]

وقال تعالى ﴿ وخلق كل شيء فقدّره تقديراً ﴾[2]

وقال تعالى ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾[3]

---

(١) سورة طه / الآية ٥٠.

(٢) سورة الفرقان / الآية ٢.

(٣) سورة الرعد / الآية ٨.

المبحث الثاني

(الأدلة العلميّة على أسرار الخلق «فترة الجنين»)

يقرّر القرآن أن أصل خلق الإنسان من تراب أو من طين أو من صلصال أو من حمأ مسنون في آيات كريمات ومنها :

قوله تعالى : ﴿ إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له : كن فيكون ﴾ [١]

وقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من طين ثمّ قضى أجلاً، وأجلٌ مسمى عنده ثم أنتم تمترون ﴾[٢]

وقوله : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾ [٣]

وقوله : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخّار ﴾[٤]

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الصلصال هو الطين الحرّ المخلوط بالرمل، فصار يتصلصل إذا جفّ وإذا طبخ بالنّار - فهو الفخّار . وأصله التراب متفرّق الأجزاء، فلمّا بُلّ صار طيناً ثم ترك فصار حمأ مسنوناً - أي متغيّراً - ثم يبس فصار صلصالاً.

والحمأ هو : الطين الأسود، وقد عبّر عن خلق الإنسان بهذه الألفاظ المتعدّدة والمتّفقة في المعنى، وذلك أنه أخذ من تراب الأرض فعجنه فصار طيناً، ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون ثم انتقل فصار صلصالاً كالفخّار، فكلّها إذاً تراب بإضافة الماء أو بغير إضافته [٥]

---

(١) سورة آل عمران / الآية ٥٩.

(٢) سورة الأنعام / الآية ٢.

(٣) سورة الحجر / الآية ٢٦.

(٤) سورة الرحمن / الآية ١٤.

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٣/١٠، ١٧/ ١٦٠-١٦١.

وعمليّة خلق الإنسان من الطين خضعت لمراحل متعاقبة هي :

١ - مرحلة التراب:

وقد تعددت الآيات التي تذكر خلق الإنسان من طين وتراب كمرحلة أوليّة كقوله : ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾[١] وقوله : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ﴾ [٢]

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (إنّ الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض: جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك)[٣]

٢ - مرحلة الطين اللازب :

وهذه المرحلة عقبت المرحلة الأولى، وفيها اختلط الطين بالماء فأصبح الطين لزجاً يلتصق باليد، ويشير القرآن إلى هذه المرحلة بقوله: ﴿ إنّا خلقناهم من طين لازب﴾[٤]

٣ - مرحلة الحمأ المسنون :

وفي هذه المرحلة ترك الطين اللازب ليجفّ ويصيبه الإنتان ويصبح مسوداً منتنا متغيّراً ويشير القرآن إلى هذه المرحلة في قوله: ﴿ وإذ قال ربّك للملائكة إنّي خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون ﴾ [٥]

والحمأ هو الطين الأسود، والمسنون هو المتغيِّر المنتن .

---

(١) سورة السجدة / الآية ٧.

(٢) سورة الروم / الآية ٢٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٤٠٠ رقم ١٩٥٩٧ وأخرجه في ٤/٤٠٦ رقم ١٩٦٥٩.

(٤) سورة الصافات / الآية ١١.

(٥) سورة الحجر / الآية ٢٨.

٤ - مرحلة الصلصال :

وفي هذه المرحلة يصبح الطين يابساً بحيث يسمح له صلصلة إذا نقر، وهو ما عبّر عنه القرآن في قوله: ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخّار ﴾[1]

والصلصال هو الطين الحرّ إذا خلط برمل ونحوه ثم ترك حتى ييبس فهو يصلصل أي يعطي صوتاً يشبه صوت : صَلْ . صَلْ . صَلْ .

٥ - نفخ الروح :

وفي هذه المرحلة ينفخ فيه الروح فتدبّ فيه الحياة الإنسانية وقد أمر الله ملائكته بالسجود لهذا الإنسان البشري والمخلوق الأول من البشر ﴿ إنّي خالق بشراً من طين. فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾[4]

وقد أثبت العلم الحديث أنّ جسم الإنسان يحتوي من العناصر ماتحتويه الأرض، فهو يتكوّن من الكربون، والأكسجين، والأيدروجين ، والفوسفور، والكبريت، والآزوت، والكالسيوم، والبوتاسيوم، والصوديوم، والكلور، والمغنسيوم، والحديد، والمنجنيز، والنحاس، واليود ، والفلورين، والكوبالت، والزنك، والسلكون، والألمنيوم. وهذه نفسها هي العناصر المكونّة للتراب، وإن اختلفت نسبها في إنسان عن الآخر، وفي الإنسان عن التراب إلاّ أنّ أصنافها واحدة. ولقد قرّر القرآن الكريم هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرناً من الزمان قبل أن يكتشف العلم الحديث هذه النسب في التراب وما يماثلها في ذات الإنسان، وهذا يدل دلالة قاطعة على أنّ القرآن الكريم حقٌ، وعلى أنّ لآياته قائل ومتكلّم وهو الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة الرحمن / الآية ١٤.

(٤) سورة ص / الآية ٧١-٧٢. انظر: رحلة الإيمان في جسم الإنسان - د. حامد أحمد حامد ، ٢٥٥-٢٥٦.

بل لقد زاد القرآن على هذه الحقيقة من أنّ أصل خلق الإنسان الأول من تراب، وذكر أنّ الإنسان يتكوّن من النطفة التي تنشأ من اتحادّ الحيوان المنوي الذي يفرزه الذكر بالبويضة التي تفرزها الأنثى، وهذه الحيوانات والبويضات تتولّد من الدم، الذي يتكون من المادّة اللبنية الناتجة من الكيلوس، وهو عبارة عن نواتج هضم الغذاء الذي هو نبات وحيوان وماء وكلها مكوّنة من عناصر التراب، فالأصل كلّه إلى تراب، فالإنسان أصلاً آدم أول البشر خلق من تراب بدليل تحليل عناصر جسم الإنسان التي تتكون من عناصر التراب ثمّ توالى خلق ذريّته من النطفة التي هي خلاصة التراب كما قال تعالى : ﴿ أولم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة ... ﴾[1]

وقوله: ﴿ إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاجٍ نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ [2]

النطفة :

النطفة ثلاثة أنواع هي :

أ - النطفة المذكرة : وهي الحيوانات المنويّة الموجودة في المنيّ والتي تفرزها الخصية.

ب- النطفة المؤنّثة : وهي البويضة التي يفرزها المبيض مرة في الشهر.

جـ- النطفة الأمشاج : وهي النطفة المختلطة من الحيوان المنوي الذي يلقّح البويضة.

وقد تكرر لفظ النطفة في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً منها : قوله تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾[3]

---

(١) سورة يس / الآية ٧٧.

(٢) سورة الانسان / الآية ٢ انظر: الله والعلم الحديث - عبد الرازق نوفل ١٦١ - ١٦٢، رحلة الإيمان في جسم الانسان - د. حامد أحمد حامد ٢٥٠ - ٢٥٤.

(٣) سورة المؤمنون / الآية ١٢ - ١٣. وانظر: الآيات التالية من سورة النحل آية ٤، وسورة الكهف آية ٣٧، وسورة الحج آية ٥، وسورة المؤمنون آية ١٣-١٤، وسورة فاطر آية ١١، وسورة يس آية ٧٧، وسورة غافر آية ٦٧، وسورة النجم آية ٤٦، وسورة القيامة آية ٣٧، وسورة الإنسان آية ٢، وسورة عبس آية ١٩.

ويطلق لفظ المنّي: على الإفرازات التناسليّة للرجل والتي تفرزها الخصية والبروستاتا والحويصلة المنويّة، والمني مكوّن من شقّين :

الأول: هو الحيوانات المنويّة التي تتكون من القنوات المنويّة في الخصية، وهي ذاتها المسماة بالنطفة.

الثاني: هو السائل المنوي الذي يحمل هذه الحيوانات ويغذيها والتي تسبح فيه حتى تصل الرحم وقد ورد لفظ المنيّ في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع وهي قوله تعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ؟ ألم يك نطفة من مني يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى. أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ [١]

وقد ميّز القرآن بين النطفة والمنيّ فجعل النطفة جزءاً من المنيّ كما في الآية السابقة ﴿ ألم يك نطفة من منيّ يمنى ﴾ [٢]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن العزل ؟ فقال : (ما من كل الماء يكون الولد وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء) [٣]

وقد قال تعالى : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون ﴾ [٤].

---

(١) سورة القيامة آية ٣٦-٤٠، وفي سورة الواقعة آية ٥٨، وسورة النجم آية ٤٦..

(٢) سورة القيامة / الآية ٣٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب : النكاح، باب: حكم العزل ١٠٦٤/٢ رقم ١٤٣٨.

(٤) سورة السجدة / الآية ٧-٩.

والسلالة : هي الخلاصة، فقد جعل نسل بني آدم من خلاصة من الماء المهين وهو المني ونحن نعلم الآن أنّ جزءاً يسيراً جداً من المنيّ هو الذي يُخلق منه الولد. فالدفقة الواحدة من المنيّ تحمل مائتي مليون حيوان منوي أو تزيد والذي يلقّح البويضة هو حيوان منوي واحد فقط، فلا يصل إلى البويضة إلاّ بضع مئات، وأنّ عدداً كبيراً منها يهلك في الرحلة الطويلة من المهبل فعنق الرحم فقناة الرحم حيث تلتقي الحيوانات المنويّة بالبويضة، ولا شك أنّ هناك اختياراً بعد اختيار لهذه الحيوانات فلا يصل منها إلاّ ماقدّر له أن يصل، وأن خلاصة (سلالة) هذا الماء المهين هي التي تصل إلى البويضة لتلقيحها.

بل إنّ هناك اختيار واصطفاء للبويضة أيضاً، فمبيض الطفلة وهي لاتزال جنيناً في بطن أمّها يحتوي على ستّة ملايين بويضة، فإذا ماخرجت إلى الدنيا مات الكثير منها، وتستمر هذه البويضات في اندثارها حتى إذا بلغت الفتاة المحيض لم يبق منها إلا ثلاثين ألفاً، وما ينمو منها ويخرج من المبيض لايزيد عن أربعمائة بويضة في حياة المرأة كلّها، وفي كل شهر تنمو مجموعة من البويضات ولكن الخالق سبحانه يختار واحدة منها فقط لتكمل نموّها وتخرج لملاقاة الحيوان المنوي السعيد في الثلث الوحشي لقناة الرحم.

فهناك اختيار واصطفاء للحيوان المنوي وهناك اختيار واصطفاء للبويضة، بل إنّ هناك اختياراً واصطفاء للبويضة الملقحة والكرة الجرثومية، فليست كل بويضة ملقحة تصبح جنيناً كاملاً، كلا فإنّ الأبحاث الحديثة تقول: أنّ ٧٨٪ من كل حمل يجهض ويتمّ اسقاطه وأن مايقرب من ٥٠٪ تسقط قبل أن تعلم الأم أنّها حامل .

ولم يعرف العلم الحديث الحيوانات المنويّة ومكوّنات المنيّ إلاّ في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي حيث علم دور الحيوانات المنويّة في إيجاد الإنسان على

ضوء المعلومات الطبيّة الحديثة .[1]

ولم يكتف القرآن بذكر دور المنيّ في خلق الإنسان بل إنّه أثبت أنّ له الدور الرئيس في تحديد مايختاره الخالق المبدع من ذكورة أو أنوثة في الجنين، فإذا أراد الخالق إيجاد ولد ذكر لقحّ حيوان منوي شارة الذكورة البويضة وإن أراد الخالق إيجاد أنثى جعل الحيوان المنوي الذي يحمل شارة الأنوثة هو الذي يلقح بويضة المرأة ﴿ يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً ﴾ [2]

ويقول تعالى: ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. من نطفة إذا تمنى ﴾ [3]

فخلايا الرجل على الجسيمات الملوّنة بينما xy خلايا المرأة تحتوي على الجسيمات الملوّنة xx فإذا انقسمت خلايا الخصية انقساماً اختزالياً فإن ناتج هذا الانقسام هو خلايا أو حيوانات منويّة تحتوي على x فقط أو y فقط أي أنّ هذه الحيوانات المنويّة إمّا أن تكون حيوانات منويّة مذكرة أو حيوانات منويّة مؤنثة.

فالحيوان المنوي الذي يحمل شارة الذكورة y يختلف عن الحيوان المنوي الذي يحمل شارة الأنوثة X وقد استطاع العلماء أن يفرقوا بينهما في الشكل والمظهر كما فرقوا بينهما في الحقيقة والمخبر.[4]

وفي ظلال العلم اللطيف الشامل الذي لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء يلمس المشاعر الإنسانية لمسة رفيقة عميقة، تتعلق بالنشأة الإنسانية. النشأة المجهولة في ظلام الغيب وظلام الأرحام، حيث لاعلم للإنسان ولا قدرة ولا إدراك ﴿ هو الذي يصوّركم

---

(١) انظر : خلق الإنسان بين الطب والقرآن - د. محمد علي البار ، ١٠٩-١١٢.

(٢) سورة الشورى / الآية ٤٩- ٥٠. للاستزادة انظر : المرجع السابق ١١٣.

(٣) سورة النجم / الآية ٤٥-٤٦.

(٤) انظر : المرجع السابق ١٣٤-١٣٨.

في الأرحام كيف يشاء. لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم ﴾ [1]

فيمنح الخالق هذا الجنين هذه الصورة التي يشاؤها، ويمنحه الخصائص المميّزة لهذه الصورة، وهو وحده الذي يتولى التصوير، بمحض إرادته ومطلق مشيئته.[2]

وعن أنس بن مالك أنّ أمّ سليم حدّثت أنها سألت نبيّ الله ﷺ عن المرأة ترى في منامها مايرى الرجل فقال رسول الله ﷺ :(إذا رأت ذلك المرأة فلتغتسل، فقال : أمّ سليم: واستحييت من ذلك . قالت: وهل يكون هذا ؟ فقال : نبي الله ﷺ: نعم فمن أين يكون الشبه، إنّ ماء الرجل غليظ أبيض. وماء المرأة رقيق أصفر. فمن أيّها علا أو سبق يكون منه الشبه) .[3]

وعن عائشة رضي الله عنها أنّ امرأة قالت لرسول الله ﷺ - (هل تغتسل المرأة إذا احتلمت وأبصرت الماء؟ فقال نعم فقالت لها عائشة: تربت يداك. قالت: فقال رسول الله ﷺ: دعيها هل يكون الشبه إلاّ من قبل ذلك. إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله، وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه)[4]

وعن ثوبان رضي الله عنه قال كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبرٌ من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يامحمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال : لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يارسول الله فقال اليهودي إنّما ندعوه باسمه الذي سمّاه أهله. فقال رسول الله ﷺ أينفعك شيء إن حدثتك؟ قال : اسمع بأذنيّ. فنكت رسول الله ﷺ بعود معه فقال: سل فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسماوات؟

---

(١) سورة آل عمران ./ الآية ٦.

(٢) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب ٣٦٨/١-٣٦٩.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الحيض، باب: وجوب الغسل على المرأة بخروج المنيّ منها ١/ ٢٥٠ رقم ٣١١.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب : الحيض، باب: وجوب الغسل على المرأة بخروج المنيّ منها ١/ ٢٥١رقم ٣١٤.

فقال رسول الله ﷺ : هم في الظلمة دون الجسر.

قال : فمن أوّل الناس إجازة ؟

قال : فقراء المهاجرين.

قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنّة ؟

قال : زيادة كبد النوّن.

قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟

قال: يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها.

قال: فما شرابهم عليه ؟

قال: من عين فيها تسمى سلسبيلاً.

قال : صدقت.

قال: وجئت أسألك عن شيء لايعلمه أحد من أهل الأرض إلاّ نبيٌّ أو رجل أو رجلان؟

قال: ينفعك إن حدثتك؟

قال: أسمع بأذنيّ.

قال: جئت أسألك عن الولد ؟

قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر. فإذا اجتمعا، فعلا منيّ الرجل منيّ المرأة أذكرا بإذن الله. وإذا علا منيّ المرأة منيّ الرجل آنثا بإذن الله.

قال اليهودي: لقد صدقت وإنّك لنبيّ. ثم انصرف فذهب.

فقال رسول الله ﷺ لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه. ومالي علم بشيء منه حتى

أتاني الله به)[١]

فالولد متولد من ماء الرجل وماء المرأة، فأيهما غلب كان الشبه له، ويجوز أن يكون المراد بالعلو الوارد في الحديث المتقدّم: السبق، ويجوز أن يكون المراد: الكثرة والقوّة بحسب كثرة الشهوة. [٢]

ومن أبرز الأدلة على أنّ الجنين يخلق من ماء الرجل وماء المرأة قوله تعالى: ﴿ فلينظر الإنسان ممّ خلق؟ خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ [٣]

وسبق أحد المائين سبب لشبه السابق ماؤه، وعلوّ أحدهما سببٌ لمجانسة الولد للعالي ماؤه فهاهنا أمران: سبق وعلو، وقد يتّفقان وقد يتفرقان، فإن سبق ماء الرجل ماء المرأة وعلا، كان الولد ذكراً والشبه للرجل، وإن سبق ماء المرأة وعلا ماؤها كانت أنثى والشبه للأم وإن سبق أحدهما وعلا الآخر كان الشبه للسابق والإذكار والإيناث لمن علا ماؤه.[٤]

ولا ينفي هذا أن يأتي الولد على غير شبه أبيه أو أمّه لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إنّ امرأتي ولدت غلاماً أسود. فقال النبي ﷺ هل لك من إبل؟ قال نعم. قال: فما ألوانها؟ قال حمرٌ. قال: هل فيها من أورق؟ قال: إنّ فيها لوُرْقاً قال: فأنّى أتاها ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرْق. قال:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الحيض، باب: صفة منيّ الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما ١/٢٥٢-٢٥٣ رقم ٣١٥.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٣/٢٢٢ - ٢٢٣.

(٣) سورة الطارق / الآية ٥-٧.

(٤) انظر: تحفة المودود بأحكام المولود- ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري ٢٣٦-٢٣٩، ط دار الريان - القاهرة بدون سنة طبع.

وهذا عسى أن يكون نزعه عرق﴾.[1]

نطفة الرجل :

تفرز الخصية مئات الملايين من الحيوانات المنويّة، وفي كل دفقة منيّ مابين مائتين إلى ثلاثمائة حيوان منوي والحيوان المنوي كالقذيفة الصاروخيّة له رأس مصفح مدبّب وله عنق صغير وله ذيل طويل بواسطته يتحرك وينطلق ليقطع المفاوز حتى يصل إلى البويضة أو يموت،ورأس الحيوان المنوي المصفّح لايزيد عن خمسة ميكرونات،[2] وهو يحتوي على أسرار الوراثة كاملة ينقلها من الأب إلى الإبن أو البنت.

وليست كل هذه الملايين من الحيوانات المنويّة صالحة لتلقح البويضة، بل إنّ فيها مايقرب من ٢٠٪ غير صالحة للتلقيح ابتداءً ويموت عددٌ كبير أثناء الرحلة من الإحليل إلى قناة الرحم ولا يصل من هذه الملايين إلى البويضة القابعة في الثلث الأخير من قناة الرحم إلاّ خمسمائة حيوان منوي فقط ويفلح واحد من هذه الملايين التي انطلقت من الإحليل إلى المهبل فالرحم فقناة الرحم.

وتبلغ عدد الحيوانات المنويّة التي تفرزها الخصية في القذفة الواحدة من المنيّ مايبلغ تعداد سكان الهند بأكملها ويستطيع الرجل منذ البلوغ إلى سنّ الشيخوخة المتأخّرة أن يفرز ملايين الحيوانات المنويّة كل يوم.

وتحتاج الحيوانات المنويّة لتقطع رحلتها من المهبل إلى الرحم حتى تصل إلى البويضة في قناة الرحم إلى ست ساعات على الأقل وهي المدة التي تقطعها الحيوانات المنويّة القويّة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الطلاق، باب: إذا عرض بنفي الولد ٩/٤٤٢ رقم ٥٣٠٥.
وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: اللعان ٢/١١٣٧ رقم ١٥٠٠.

(٢) الميكرون: واحد على المليون من الميتر.

والتي تحمل شارة الذكور غالباً، وأمّا الحيوانات المنويّة الأبطأ حركة فهي الحيوانات التي تحمل شارة الأنوثة فإنها تحتاج إلى مابين ١٢و٢٤ ساعة لتقطع هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر، ويموت عدد كبير آخر من الحيوانات المنويّة نتيجة للإفراز الحامضي الموجود في المهبل كما يموت عددٌ آخر عند عنق الرحم.[١]

فلو أنّ ربع الحيوانات المنويّة التي يقذفها الرجل الواحد حيَتْ ونَمَتْ وكوّنت أجنّة لتولد لدينا أكثر من جميع سكان المملكة العربية السعودية، وهذا مالايطيقه آلاف الأرحام فضلاً عن رحم امرأة واحدة، وفي هذا دليلٌ واضح وكبير وأكيد على أن لهذه النطفة قدرة ترعاها وحكمة تصونها وهي حكمة وقدرة الخالق سبحانه الذي دلّ على وجوده كل شيء في عالم هذا الجنين الصغير الذي أصله نطفة من ماء مهين، ولقد تأخّر اكتشاف العلم الحديث للنطفة، فقد تمّ اكتشاف النطفة لأوّل مرّة عام (١٥٩٠م) غير أنّ تركيبها لم يعرف إلاّ بعد ذلك بسنوات طويلة قد تزيد عن الثمانين عاماً.

وفي سنة (١٨٢٧ م) تمّ اكتشاف البيضة في المبيض، وعرف كيف تنزل إلى الرحم[٢].

بينما أبان لها القرآن الكريم ونبينا محمد ﷺ هذه الحقيقة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، وقد تكاثرت النصوص لإثبات هذه الحقيقة ومنها:

قوله تعالى : ﴿ ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم ونقرّ في الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل

---

(١) للاستزادة انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن - د. محمد البار ١٥٩-١٦٨.

(٢) النشأة الأولى - د. أحمد كنعان، محمد شوشره ٤٧/١.

العمر..﴾[1] وقوله ﴿ إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ... ﴾[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنارسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق أنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمّه أربعين يوماً ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع: برزقه وأجله، وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح ...) الحديث [3]

نطفة المرأة :

تولد الأنثى ولدى مبايضها حوالي مليونين من البويضات الأوليّة، تتناقص تدريجياً حتى سنّ البلوغ، ولا يصلح منها للإخصاب إلاّ (٤٠٠-٥٠٠) بويضة تكفي لمتوسط عمر الإخصاب من البلوغ إلى سنّ اليأس (١٢-٥٠) سنة، ويبلغ قطر البويضة (٢٠٠) ميكرون [4]، ولملئ جالون بالبويضات سنحتاج إلى مليارى بويضة ...!

وتبدأ رحلة تطوّر البويضة مع بداية الدورة الشهريّة، حيث تفرز الغدّة النخامية هرمونات الحث التناسليّة، فتبدأ الخلايا الجريبيّة التي تبطّن الجريب الذي يحيط بالبويضة وسط السائل الأليوميني في إفراز هرمون الاستروجين ممّا يؤدي إلى نموّ الجريب وتضاعف حجمه حتى يصل إلى خمسة أضعاف بعد قرابة أسبوعين، وأثناء ذلك تكون البويضة قد انقسمت اختزالياً، وأصبحت نواتها تحمل (٢٣) كروموسوماً، وتصبح قابلة للتلقيح في

---

(١) سورة الحج / الآية ٥.

(٢) سورة الإنسان / الآية ٢.

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب: القدر، باب: في القدر ٤٧٧/١١ رقم ٦٥٩٤.

وأخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: كيفيّة الخلق الآدمي في بطن أمّه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ، ٢٠٣٦/٤ رقم ٢٦٤٣.

(٤) الميكرون: خمس مليمتر.

اليوم الرابع عشر من الدورة عندما تنطلق خارج الجريب، وتلتقطها أهداب فوّهة قناة فالوب من البطن، لتدفع بها إلى داخل البوق، لتسكن الثلث البعيد من القناة في انتظار الحيوان المنويّ الذي يفوز باقتحامها والالتحام معها -إذا شاء الله- وإذا شاء الله وتمّ هذاالإلتحام يتحول الجريب الذي كان يغلّف البويضة إلى مايسمّى بالجسم الأصفر الذي يستمر فى إفراز هرمون البروجستون ليمنع أي تبويض آخر أثناء فترة الحمل.

وإذا لم يتمّ الحمل، يضمر الجريب، ويتناقص هرمون البروجستون بعد أسبوع من تمام الإخصاب السابق لتعود الدورة الشهرية منتظمة مرة أخرى، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثمّ هدى.

﴿ الله يعلم ماتحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ﴾[1]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : مرّ يهودي برسول الله ﷺ وهو يحدّث أصحابه، فقالت قريش: يايهودي إنّ هذا يزعم أنّه نبيّ، فقال لأسألنّه عن شيء لايعلمه إلاّ نبي، قال: فجاء حتى جلس ثمّ قال: يامحمد ممّ خلق الإنسان؟ قل: يايهودي، من كلٌّ يخلق، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، فأمّا نطفة الرجل فنطفة غليظة، منها العظم والعصب، وأمّا نطفة المرأة فنقطة رقيقة، منها اللحم والدم، فقام اليهودي فقال: هكذا كان يقول من قبلك)[2]

والبويضة هي أكبر خليّة في جسم الإنسان فهي تبلغ في قطرها (٢٠٠) ميكرون بينما الحيوان المنوي لايزيد عن خمسة ميكرونات ومع هذا فإن الحيوان المنويّ يساهم بنصف

---

(١) سورة الرعد / الآية ٨ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٤٦٥ رقم ٤٤٣٨ وقال أحمد شاكر: إسناده ضعيف ٦/ ١٩٩ رقم ٤٤٣٨.
للاستزادة انظر: رحلة الإيمان في جسم الإنسان- د. حامد أحمد حامد ٤٨ وما بعدها.

مكوّنات الجنين تماماً كما تساهم البويضة، ويكمن هذا السّر في أنّ البويضة هي المسئولة عن تغـذية هذه النطفـة الأمـشـاج المكوّنة من كـرومـوسـومـات الحـيـوان المنوي (الأب) وكروموسومات البويضة (الأم) وعليها أن تقوم بالتغذية حتى تعلق النطفة وتنشب في جدار الرحم لتصبح العلقة ."[1]

مقارنة بين النطفة والبيضة:

هناك فروق أساسيّة بين نطفة الرجل وبويضة المرأة ومن أبرزها :

١ - أنّ حجم البيضة كبير جداً (قطرها وسطياً ١٣٥ ميكرون) بينما حجم النطفة صغيرٌ جداً إذ لايزيد طولها عن (٧ ميكرون) وأكبر قطر معترض لها (٣ ميكرون).

٢ - لاتتحرك البيضة بذاتها، بينما النطفة سريعة الحركة (١-٣ملم / دقيقة).

٣ - تحتوي البيضة على كميّة غزيرة من الهيولي الحاوية على حبيبات الآحين، وبذلك تؤمن التغذية خلال الأسبوع الأوّل من التنامي، بعكس النطفة حيث الهيولي قليلة جداً أو متناثرة، وهذا مايسهّل حركتها.

٤ - مدّة حياة البيضة عدة ساعات (١٢-٢٤ساعة) بينما مدة حياة النطفة عدة أيّام (٤-٥) أيام.

٥ - تقذف المرأة في كل دورة طمثية بيضة واحدة، بينما يقدّر عدد النطاف في الدفقة الواحدة عند الرجل بنحو (٣٠٠ - ٥٠٠) مليون نطفة.

٦ - يستمر إنتاج البويضة عند المرأة من البلوغ وحتى سنّ اليأس، ويقدّر عدد البيوض التي يعطيها المبيضان خلال سنّ النشاط التناسلي بنحو (٤٠٠) بيضة بينما يستمر إنتاج النطاف عند الرجل منذ البلوغ وحتى الموت.

---

(١) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن - د. محمد البار ١٦٤.

٧ - تصل النطفة مرحلة النضج التام قبل التلقيح، بينما تبقى البيضة في مرحلة الخليّة البيضيّة الثانويّة، ولا يتم انقسامها النضجي الثاني حتى تلقحها النطفة.

٨ - تعطي كل خليّة نطفيّة ابتدائية في النهاية أربع نطف، كلّ منها قادرة على الإلقاح عموماً، أمّا الخليّة البيضية الإبتدائية فتعطي بيضة واحدة صالحة للإلقاح، وثلاث جسيمات قطبيّة صغيرة مصيرها التقوّض والموت ."[1]

إنّ هذه النطفة لتدعونا إلى التأمّل في حالها أولاً ثم إلى ماصارت إليه ثانياً، وأنّه لو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا لها سمعاً أو بصراً، أو عقلاً، أو قدرة، أوعلماً أو روحاً، بل عظماً واحداً من أصغر عظامها بل عرقاً من أدقّ عروقها، بل شعرة واحدة لعجزوا عن ذلك، بل ذلك كلّه من آثار صنع الله الذي أتقن كل شيء في قطرة من ماء مهين، فمن هذا صُنْعه في قطرة ماء فكيف صُنْعه في ملكوت السموات وعلوها وسعتها واستداراتها وعظم خلقها وحسن بنائها وعجائب شمسها وقمرها وكواكبها ومقاديرها وأشكالها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا ذرّة فيها تنفكّ عن حكمة بل هي أحكم خلقاً وأتقن صنعاً ."[2]

---

(١) للاستزادة انظر : النشأة الأولى، بحث في نشأة الإنسان وتكوينه- د. أحمد كنعان، محمد كمال شوشرة، ٦٧/١ وما بعدها، إعجاز القرآن العلمي- محمود مهدي الاستانبولي ١١٠ وما بعدها.

(٢) مفتاح دار السعادة - ابن القيم ١٩٦/١.

النطفة الأمشاج :

أثبت العلم الحديث في أواخر القرن التاسع عشر وفي أوائل القرن العشرين الميلاديين أنّ أصل تكوّن الجنين هو من النطفة الأمشاج وأنّه يمرّ بأطوار مختلفة من الخلق خلقاً من بعد خلق، وقد أبان هذه الحقيقة وكشف عنها القرآن الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمن في مثل قوله تعالى : ﴿ إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ (١)

قال ابن عباس رضي الله عنهما يختلط ماء الرجل وهوأبيض غليظ بماء المرأة وهو أصفر رقيق فيخلق منهما الولد، فما كان من عصب وعظم وقوّة فهو من ماء الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ماء المرأة (٢)، والأمشاج هي: الأخلاط (٣)، وربّما كانت هذه إشارة إلى تكوّن النطفة من خليّة الذكر وبويضة الأنثى بعد التلقيح، وربّما كانت هذه الأخلاط تعني الوراثات الكامنة في النطفة، والتي يمثلها مايسمّونه علمياً (الجينات) وهي وحدات الوراثة الحاملة للصفات المميّزة لجنس الإنسان أولاً، ولصفات الجنين العائليّة أخيراً وإليها يعزى سير النطفة الإنسانية في رحلتها لتكوين جنين إنسان، لاجنين أيّ حيوان آخر. كما تعزى إليها وراثة الصفات الخاصة في الأسرة.. ولعلّها هي هذه الأمشاج المختلطة من وراثات شتّى (٤)، وتخرج البويضة من المبيض مرة واحدة في الشهر تبحث عن الحيوانات المنويّة التي بدأت في التساقط والهلكة عبر القناة الرحمية وتهلك معظمها قبل الوصول إلى البويضة.. وتختار القدرة المبدعة واحداً من ملايين الحيوانات المنويّة لتوصله سالماً إلى

---

(١) سورة الإنسان / الآية ٢، للاستزادة انظر : الإعجاز الالهي في مراحل خلق الجنين - كمال محمد درويش،٣٨ وما بعدها.

(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٢١/١٩ .

(٣) مختار الصحاح - الرازي ٦٢٥.

(٤) في ظلال القرآن - سيد قطب ٣٧٧٩/٦ - ٣٧٨٠.

البويضة فتهتش له وتفتح له كوة في جدارها حتى يلج من خلال ذلك الجدار المصمت فإذا ماولج أو صدت الباب وأحكمت الرتاج وأضافت إلى الجدار جداراً آخر حتى تمنع عنها أيّ راغب وتصدّ بابها دون كل لامس.

ويحتوي الحيوان المنوي على نصف عدد الكروموسومات (الجسيمات الملوّنة التي تحمل الصفات الوراثية) الموجودة في أيّ خليّة جسديّة أخرى .. وكذلك البويضة تحتوي على نصف عدد الكروموسومات، ويعتبر كلا من الحيوان المنوي والبويضة نصف خليّة فقط من ناحية عدد الكروموسومات إذ تحتوي الخلية الجسدية على (٤٦) كروموسوماً بينما تحتوي البويضة على (٢٣) كروموسوماً فقط وكذلك الحيوان المنوي. وعند تكوّن النطفة الأمشاج يكتمل عدد الكروموسومات الحاملة للصفات الوراثية من الأب والأم بالتساوي ..

وعبر هذه الكروموسومات تنتقل الصفات الوراثية من الآباء والأجداد منتقاة مختارة حتى تصل إلى الأبناء دون أن يتطابق منهما اثنان .[1]

إنّ العقل لسيتنتج أنّ الذي يخلق النطفة الذكريّة ناقصة في حواملها الوراثيّة، يعلم أنّ مصير هذه النطفة المذكّرة أن تتّحد بالنقطة المؤنثة وبالاتحاد تنتج الخليّة الإنسانيةالكاملة. فهل تعلم الخصية في الرجل وكذا باقي التفاعلات الكيماويّة ماأعدّ في مبيض الأنثى من تكميل للنقص في عدد الحوامل الوراثيّة في الخليّة المنويّة المذكرة التي تنشأ في الخصية ؟

وهل تعلم الخصية وكذا المبيض أنّ مصيرماينتجانه من خلايا ناقصة هو الاتحاد وتكميل بعضها البعض؟.

إنّ العاقل ليسخر من هذه الأوهام كما أنّه لايشكّ لحظة أنّ خالق النطف المنويّة المذكرة والمؤنثة عليم بما يصنع في أعماق أحشاء الرجل والمرأة على السواء، حكيم في تقديره وتدبيره. كما لايشك العاقل في أنّ الطبيعة ليست هي صاحبة ذلك العلم والتقدير،

---

(١) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن - د. محمد البار ١٩٥-١٩٨.

قـال تعالى : ﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون. أفرأيتم ماتمنون. أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقـــون ﴾[١]

وهذه النطفة الأمشاج هي خلية واحدة تبدأ في الإنقسام والتكاثر، فإذا هي بعد فترة ملايين الملايين من الخلايا كل مجموعة من هذه الخلايا الجديدة ذات خصائص تختلف عن خصائص المجموعات الأخرى، لأنّها مكلّفة أن تنشئ جانباً خاصاً من هذا الجنين، فهذه خلايا عظام، وهذه خلايا عضلات، وهذه خلايا جلد، وهذه خلايا أعصاب.. ثم ... هذه خلايا لعمل العين، وهذه خلايا لعمل لسان، وهذه خلايا لعمل أذن، وهذه خلايا لعمل غدد.. وهي أكثر تخصصاً من المجموعات السابقة.. وكل منها تعرف مكان عملها، فلا تخطئ خلايا العين مثلاً، فتطلع في البطن أو في القدم، مع أنّها لو أخذت أخذاً صناعياً فزرعت في البطن مثلاً صنعت هنالك عيناً! ولكن ماهي بإلهامها لاتخطئ فتذهب إلى البطن لصنع عين هناك ! ولا تذهب خلايا الأذن إلى القدم لتصنع أذناً هناك! إنّها كلها تعمل وتنشئ هذا الكيان البشري في أحسن تقويم تحت قدرة الخالق سبحانه حيث لاعمل للإنسان في هذا المجال.[٢]

وهذه النطفة التي أصلها من الماء المهين الضعيف لومرّت عليها ساعة من الزمان لفسدت وأنتنت، وقد استخرجت من بين الصلب والترائب، منقادة مذلّلة، على ضيق طرقها واختلاف مجاريها إلى أن سيقت إلى مستقرها ومجمعها، وقد قدّر اجتماع ذينك المائين مع بعد كل منها عن صاحبه، وسيقت من أعماق العروق والأعضاء، وجمعت في موضع واحد، جعل لها قراراً مكيناً، لايناله هواء فيفسده، ولا برد فيجمده، ولا عارض يصل إليه، ولا

(١) سورة الواقعة / الآية ٥٧-٥٩، للاستزادة انظر : كتاب توحيد الخالق - عبد المجيد عزيز الزنداني ٤٢/٢-٤٣.

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب ٣٤٦٧/٦ - ٣٤٦٨.

آفة تتسلط عليه، ثم أخذت هذه النطفة تتقلّب إلى أن خرجت من طورها إلى أطوار أخرى من النطفة إلى العلقة ثمّ إلى المضغة المجرّدة عن العظام وعن الكساء ثمّ بعد ذلك شكلت العظام واللحم وسائر الأعضاء فأصبحت النطفة جنيناً له شكل وهيئة وقدر وملمس، وهذه المراحل التي مرّت بها النطفة المهينة الضعيفة إلى أن كوّنت لنا إنساناً سمعياً بصيراً عاقلاً، تدل على أنّ وراءها خالق عظيم صيّرها على هذا النظام والدقّة المتناهية وهو الله سبحانه، فإنّ الإنسان العاقل الكامل لايستطيع أن يخلق ذبابة أو بعوضة فضلاً عن أن يخلق إنساناً كاملاً ﴿ ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له. وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾[1]

بل إنّ مرور هذه النطفة بمراحلها إلى أن أصبحت إنساناً سوياً من أكبر الأدلة على وجود خالقها وبارئها وهو الله تعالى: ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه. بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ [2]

ودور البشر في هذا الخلق لايزيد على أن يودع الرجل مايُمني رحم المرأة، ثم ينقطع عمله وعملها، ويعنى الخالق سبحانه بأمر هذه النطفة وتنميتها وبناء هيكلها ونفخ الروح فيها، ومنذ اللحظة الأولى وفي كل لحظة تالية تتم المعجزة، وتقع الخارقة التي لايصنعها إلاّ الله والتي لايدري البشر كنهها وطبيعتها ﴿ أفرأيتم ماتمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾[3]

---

(١) سورة الحج / الآية ٧٣.

(٢) سورة لقمان / الآية / ١١ للاستزادة انظر: مفتاح دار السعادة - ابن القيم ١٨٨/١ وما بعدها.

منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان - د. علي الفيقهي ٧٠ ومابعدها.

(٣) سورة الواقعة / الآية ٥٨-٥٩، انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب ٣٤٦٧/٦.

لقد أودع الله تعالى المواد الأوليّة الضرورية لتكوين وإنشاء الإنسان في زوجين مختلفين، والحكمة من ذلك - أو إحدى الحكم- جمع أفضل الصفات الموجودة في هذين الزوجين فإن كان قلب الأم أقوى ورث الطفل منها ذلك، وإن كانت عضلات الأب أقوى ورث منه ذلك، لكي يكون بدن الطفل المولود أقوى وأصح فإنّه يرث الصفات الجيّدة من أبويه.

والحقيقة أنّه كان من الأسهل إدامة حياة الجنين من خليّة واحدة، ومع وجود طريقة سهلة فقد اختيرت هنا طريقة صعبة وصعبة جداً ولكنّ ذلك من أجل تأمين صحة وسلامة النسل، تقطع الخليّة الآتية من الأب (أي الحيمن) طريقاً يبلغ طوله مائة ألف ضعف طولها لكي تلتقي بخلية الأم. وهي تعبر في طريقها نظاماً معقداً مؤلفاً من قنوات عديدة ملتفاً بعضها حول بعض، وهي تضطر في هذه المسيرة أن تعدو عدواً للإلتقاء مع خلية الأم لتأليف نظام أو «بطاقة وراثية جديدة» هكذا يتكون في رحم الأم مانطلق عليه اسم الجنين وهذا الأسلوب هو الطراز الذي اختاره الخالق لإظهار كمال قدرته سبحانه في ترتيب وتنظيم هذه الحادثة، وإن حصول هذه الحادثة عن طريق الصدفة بقياس حساب الإحتمالات يعتبر صفراً.[1]

وإذا لاقى ماء الرجل ماء المرأة بالجماع، وأراد الله أن يخلق من ذلك جنيناً هيأ أسباب ذلك، لأنّ في رحم المرأة قوتين: قوة انبساط عند ورود منيّ الرجل حتى ينتشر في جسد المرأة، وقوة انقباض بحيث لايسيل من فرجها مع كونه منكوساً، ومع كون المنيّ ثقيلاً بطبعه، وفي منيّ الرجل قوة الفعل، وفي منيّ المرأة قوة الانفعال، فعند الامتزاج يصير منيّ الرجل كالأنفحة للبنّ [2]

---

(١) للاستزادة انظر: الإنسان ومعجزة الحياة - د. خلوق نورباقي، ترجمة أورخان محمد علي ٤٩ وما بعدها.

(٢) فتح الباري -ابن حجر ١١/٤٧٩-٤٨٠.

وداخل الرحم خشن كالأسفنج، وجعل فيه قبولاً للمني كطلب الأرض العطشى للماء، فجعل طالباًمشتاقاً إليه بالطبع فلذلك يمسكه ويشتمل عليه ولا يزلقه بل ينضمّ عليه لئلا يفسده الهواء، فيأذن الله لملك الرحم في عقده وطبخه أربعين يوماً وفي تلك الأربعين يجمع خلقه.[1]

(١) انظر التبيان في أقسام القرآن - ابن القيم ٢١١ توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

مراحل نمو الجنين :

إنّ من أبرز الأدلة والبراهين العلميّة على وجود الله سبحانه وعلى كمال علمه وقدرته التي لايحيطها شيء بل له العلم والكمال المطلق، حيث أخبر الله سبحانه عن أصل قضية خلق الجنين منذ أن كان في بطن أمّه نطفة وماهي المراحل التي يمرّ بها حتى يخرج طفلا سويا له سمع وبصر وعقل وإحساس وإدراك .. الخ كما قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله ربّ العالمين﴾ [١]

والتعبير القرآني يجعل النطفة طوراً من أطوار النشأة الإنسانية، تاليا في وجوده لوجود الإنسان .. وهي حقيقة ولكنّها حقيقة عجيبة تدعو إلى التأمل، فهذا الإنسان الضخم يختصر ويلخّص بكل عناصره وبكل خصائصه في تلك النطفة، ومن النطفة إلى العلقة حينما تمتزج خليّة الذكر ببويضة الأنثى، وتعلق هذه بجدار الرحم نقطة صغيرة في أول الأمر، تتغذى بدم الأم، ومن العلقة إلى المضغة حينما تكبر تلك النطفة العالقة، وتتحولّ إلى قطعة من دم غليظ مختلط.. وتمضي هذه الخليقة في ذلك الخط الثابت الذي لاينحرف ولا يتحولّ، ولا تتوانى حركته المنظمة الرتيبة.

وبتلك القوّة الكامنة في الخليّة التي منحت تستمر في طريقها حتى تصل إلى مرحلة تكوين العظام ثم كسوتها باللحم ثم ينفخ فيه الروح.[٢]

---

(١) سورة المؤمنون / الآية ١٢-١٤.

(٢) انظر : في ظلال القرآن -سيد قطب ٢٤٥٨/٤ وما بعدها .

وبداية الجنين هي النطفة الأمشاج المختلطة حيث يلقح الحيوان المنوي البويضة في الثلث الوحشي من قناة الرحم ﴿ إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾[١] فإذا مالقحت البويضة وصارت بويضة ملقّحة ابتدأت انقسامات متعددة ثم تتحول النطفة الأمشاج إلى مايشبه التوتة ثم تنتقل فتصير مثل الكرة المجوّفة وتدعى عندئذ الكرة الجرثومية ، ويبلغ قطر النطفة الأمشاج بعد أن تصبح كرة جرثومية لايزيد عن $\frac{١}{٤}$ مليمتر وتستغرق هذه المرحلة أسبوعاً كاملاً حتى تعلق في جدران الرحم منذ اليوم السابع من بداية التلقيح ثمّ إنّ هذه الكرة الجرثوميّة تنقسم إلى كتلة خلايا خارجيّة آكلة وظيفتها العلوق بجدار الرحم وامتصاص الغذاء منه ويتعلق الجنين بواسطة معلاق يربطه بالغشاء المشيمي (الكوريون) وتستغرق هذه المرحلة أسبوعين تقريباً ينمو خلالها القرص الجنيني إلى لوح كمشري الشكل وذو ثلاث طبقات متمايزة ويبدأ ظهور أوّل كتلة بدنيّة في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح وعندئذ تكون العلقة قد تحولّت إلى مضغة، وفي هذه المرحلة نجد أنّ الكرة الجرثومية التي كانت قبل العلوق لاتزيد عن $\frac{١}{٢}$ مليمتر قد أصبحت بعد العلوق بأسبوع واحد فقط مليمتر ونصف، وفي نهاية الأسبوع الثالث من التلقيح يصبح طول اللوح الجنيني مليمترين ونصف.

وفي الأسبوع الرابع تتحول هذه العلقة إلى مضغة ويبدأ هذا الطور بظهور الكتل البدنية ويكون أوّل ظهورها في أعلى اللوح الجنيني جهة الرأس ثم يتوالى ظهور هذه الكتل من الرأس إلى مؤخرة الجنين .

ولقد أحسن وصف القرآن لهذه المرحلة من مراحل الجنين بالمضغة وهي القطعة من اللحم التي مضغتها الأسنان ولاكتها ثم قذفتها وهو أصدق وصف وأدقّ لهذه المرحلة.

---

(١) سورة الإنسان / الآية ٢.

ثم يعقب هذه المرحلة مرحلة تكوين العظام وكسوة الجنين باللحم وتستغرق هذه المرحلة الأسبوع الخامس والسادس والسابع وتتحول الكتل البدنيّة إلى جزئين :

١ - جزء أمامي ويسمى القطعة الهيكليّة وهي التي تكوّن عظام الفقرات والأطراف العليا والأطراف السفلى والجمجمة وتتكون الأضلاع من نتوءات من العمود الفقري في المنطقة الصدريّة وبذلك يتشكل معظم الجهاز الهيكلي من هذه الكتلة البدنيّة يتلوها تكوّن عظام الوجه والفكّين وعظام الأذن الوسطى.

٢ - جزء خلقي وظهري ويسمى المقطع العضلي الأدمي وسرعان ماينقسم بدوره إلى قسمين :

أ- آدمي وهو يشكل آدمة الجلد وما تحت الجلد من أنسجة.

ب- عضلي وهو يشكل معظم عضلات الجسم وخاصة تلك الموجودة في الجذع، وعضلات الطرف العلوي والأطراف السفليّة وفي الأسبوع السادس تكون هذه الهياكل الغضروفية لعظام الأطراف العلوية والسفلية قد ظهرت بوضوع ثم بعد ذلك تكسى هذه العظام باللحم .

ثم يعقب ذلك مرحلة التصوير والتسوية والتعديل ثم النفخ في الروح ، قال تعالى : ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ (١)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ﴿ إنّ الله عز وجل قد وكّل بالرحم ملكاً فيقول: أي ربّ نطفة، أي ربّ علقة . أي ربّ مضغة . فإذا أراد الله أن يقضي خلقاً قال : الملك أي ربّ ذكر أوأنثى ؟ شقي أو سعيد؟ فما الرزق ؟ فما الأجل؟

---

(١) سورة آل عمران / الآية ٦ ، انظر خلق الإنسان بين الطب والقرآن ٣٦٥-٣٧٦، النشأة الأولى - د. أحمد كنعان وزميله ١/ ٢٠٥ - ٢٢٤ ، رحلة الإيمان في جسم الإنسان - د.حامد حامد ٤١ وما بعدها.

فيكتب كذلك في بطن أمه ﴾[1].

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً فصوّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال : ياربّ أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ماشاء، ويكتب الملك ثم يقول: ياربّ أجله ،فيقول ربك ماشاء ويكتب الملك، ثم يقول : ياربّ رزقه، فيقضي ربك ماشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فلا يزيد على ماأمر ولا ينقص)[2].

وعن حذيفة بن أسيد أيضاً رضي الله عنه عن النبيﷺ قال: (يدخل الملك على النطفة بعد ماتستقر في الرّحم بأربعين، أو خمسة وأربعين ليلة، فيقول: ياربّ أشقيّ أو سعيد؟ فيكتبان. فيقول: أي ربّ أذكر أو أنثى؟ فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد عليها ولا ينقص"[3]

وفي نهاية الأسبوع السادس (٤٢) يوماً تكون النطفة قد بلغت أوج نشاطها في تكوين الأعضاء.. وهي قمة المرحلة الحرجة الممتدة من الأسبوع الرابع وحتى الثامن، فيكون دخول الملك في هذه الفترة تنويهاً بأهميتها وإلاّ فللملك ملازمة ومراعاة بالنطفة الانسانيّة في كافة مراحلها نطفة وعلقة ومضغة، ودخولها هنا لتقسيمها وتصويرها وشق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها.. ثم بعد ذلك يحددّ جنس الجنين ذكر أم أنثى حسبما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: القدر، باب: في القدر ٤٧٧/١١ رقم ٦٥٩٥.
وأخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي ، في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ٢٠٣٨/٤ رقم ٢٦٤٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وشقاوته وسعادته ٢٠٣٧/٤ رقم ٢٦٤٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وشقاوته وسعادته٢٠٣٧/٤ رقم ٢٦٤٤.

يؤمر به، فيحوّل الغدّة إلى خصية، أو إلى مبيض، والدليل على ذلك مايشاهد في السقط حيث لايمكن تمييز الغدة التناسلية قبل انتهاء الأسبوع السابع وبداية الثامن أي أنه لايمكن تمييزها قبل دخول الملك لتحديد جنس الجنين ذكر أم أنثى كمايؤمر به من خالقها[1]، وفي هذه المرحلة يسوى هذا الجنين حسبما يأمر به الخالق سبحانه من حسن وقبح سواد وبياض وطول وقصر وسلامة وعاهة[2] والغالب أن يكون هذا الجنين على صورة حسنة معدّلة كما يعنّت القرآن بعض المعاندين الذين لم يستجيبوا لندائه ﴿ يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ماشاء ركبك ﴾[3].

إنّ الإنسان لمخلوق جميل، سويّ الخلقة ، معقول التصميم، وإنّ عجائب الإبداع في خلقه لأضخم من إدراكه هو، وأعجب من كل مايراه حوله.

وإنّ الجمال والسواء والإعتدال لتبدو في تكوينه الجسدي، وفي تكوينه العقلي ، وفي تكوينه الروحي سواء، وهي تتناسق في كيانة في جمال واستواء.[4]

وعمليّة التسوية والتعديل في الجنين مستمرة وبشكل مثير، إذ كل يوم بل كل ساعة تشهد جديداً .. فهذه أنبوبة القلب المستطيلة تتحوّل إلى شكل «S» ثمّ تتكون الغرف المتتالية : الأذين العام، والبطين العام وبصلة القلب والجيب الوريدي، ثم يعاد التركيب ليدخل الجيب الوريدي في الأذين الأيمن، وتدخل بصلة القلب في البطين الأيمن والأيسر، ومن بصلة القلب أيضاً تنشأ جذور الشريان الأورطي والشريان الرئوي.

---

(١) انظر : خلق الإنسان بين الطب والقرآن - د. محمد البار ٣٩٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٨/٤ .

(٣) سورة الانفطار/ الآية ٦-٨.

(٤) في ظلال القرآن - سيد قطب ٣٨٤٨/٦.

وهناك جهاز واحد فقط لايشمله التغيير والتبديل المستمر ألا وهو الجهاز العصبي والمتكوّن من: الدماغ والنخاع الشوكي والأعصاب.

لايتغيّر بعد الولادة من حيث الهدم والبناء ولكنّه يتغيّر من حيث اتصالات الخلايا العصبيّة ببعضها، إنّ كل مرحلة من مراحل بناء جسم الإنسان تُدلف إلى المرحلة التي بعدها، وما استخدم من أدوات في المرحلة السابقة ولم يعد له حاجة فلا بدّ من إزالته حتى لايعيق الطريق."[1]. ولهذا الجنين نمو سريع وتطور خلال أشهر الحمل تدريجياً، ففي الشهر الثالث: يبلغ طوله ٣سم ووزنه ١١غراماً فقط، ويكون الرأس كبيراً مخيفاً يقارب في حجمه ثلث حجم الجنين، وأمّا الأحشاء فهي بارزة مع الكبد في حالة فتق.، وفي نهاية الشهر الثالث : يبلغ طول الجنين ١٠ سم ووزنه ٥٥ غراماً أي أن طوله أصبح ثلاثة أضعاف خلال شهر، ووزنه تضاعف إلى خمسة أضعاف، ولا يلبث ذلك الفتق أن يزول وترجع الأحشاء مع الكبد إلى الداخل، وفي نهاية الشهر الرابع: يصبح طوله ٢٠سم ووزنه ١٧٠ غراماً أي تضاعف الطول خلال شهرين سبع مرات، وتضاعف الوزن ١٧مرّة، كما يتكوّن الجهاز الهضمي، ويبدأ الكبد بالعمل، ولكنّ الجنين مع هذا يبدو أحمر اللون أصْلع، كما أنه يبدو بشع المنظر متجعّد الشعر.

وفي نهاية الشهر الخامس : يصبح طوله ٣٠ سم ووزنه ٦٥٠ غراماً كما يظهر شعر الرأس وتبدأ غدد الجلد في العمل، فتبدوا مظاهر الجمال في الجنين.

وفي نهاية الشهر الثامن: يكون طوله ٤٥ سم ووزنه ٢٥٠٠غراماً، وتنفصل الأجفان،ويخفي الشحم التجعدات في الجلد، ويصبح لون الجلد أبيض ورديّاً جميلاً وهاجرت الخصيتان من الظهر إلى الصفن.

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن - د. محمد البار ٣٧٤ - ٣٧٥.

وفي نهاية الشهر التاسع: يكون طوله ٥٠ سم أي تضاعف طوله مايقرب من ١٧ مرّة والوزن ٣٢٥٠ غراماً أي تضاعف الوزن قرابة ٣٢٥ مرّة، كما أن الأجهزة تكون كاملة، ويكون الجنين في تمام تخلّقه لاينقصه شيء.

إنّ سير الجنين على هذا الطريق يبدأ في مرحلة تتلو مرحلة أخرى، ولا ينتقل إلى الأخرى حتى تتم الأولى لأكبر شاهد على وجود هذا الخالق المبدع الذي أحاط بكل شيء علماً وقدرة[1] وقد أخبر القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمن عن مراحل تطوّر الجنين ونموه وانتقاله من مرحلة إلى مرحلة أخرى بينما تأخر العلم التطبيقي في الكشف عن هذه الحقيقة، حيث نادى : العالم وولف (١٧٧٩م) بالمراحل التطوّرية للجنين والتي لم تقبل في الدوائر العلميّة إلاّ في أواخر القرن التاسع عشر وتأكدت بما لايقبل الشك في القرن العشرين.[2] وتلي مرحلة التصوير والتسوية مرحلة نفخ الروح.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق أنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع: برزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح...)[3].

وظاهر هذا الحديث أنّ إرسال الملك يكون بعد مرور مائة وعشرين يوماً على الجنين. وأمّا الأحاديث التي تُثبت أنّ الملك يدخل على النطفة بعدما تستقرّ في الرّحم بأربعين أو باثنين وأربعين أو بخمس وأربعين ليلة ، فيجمع بينها على النحو الآتي:

إنّ للملَك ملازمة ومراعاة لحال النطفة وأنّه يقول: ياربّ هذه علقة، هذه مضغة في كل

---

(١) انظر : الطب محراب للإيمان - د. خالص جلبي ١/ ٨٠-٨٢.

(٢) الوجيز في علم الأجنّة القرآني - د. محمد البار ص ٧٧.

(٣) سبق تخريجه في ص ٢٩٥.

أوقاتها، فكل الوقت يقول فيه ماصارت إليه بأمر الله تعالى وهو أعلم سبحانه، ولكلام الملك وتصرّفه أوقات :

أ - عند خلقها نطفة ثم ينقلها علقة، وهو أوّل علم الملك بأنّه ولد لأنه ليس كل نطفة تصير ولداً وذلك عقب الأربعين الأولى، وحينئذ يكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته أو سعادته.

ب- عند تصويره وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظمه وكونه ذكراً أم أنثى،وذلك إنّما يكون في الأربعين الثالثة، وهي مدة المضغة وقبل انقضاء هذه الأربعين،وقبل النفخ فيه.

جـ- عند نفخ الروح فيه عقب الأربعين الثالثة حين يكمل له أربعة أشهر، وقد اتفق العلماء على أنّ نفخ الروح لايكون إلاّ بعد أربعة أشهر[1].

إنّ حياة هذا الجنين كلّها عجائب وأسرار، أسئلة كثيرة تطرح على هذا الجنين ماهذاالإنسان؟ مم خلق؟ وكف كان؟ وكيف صار؟ وكيف قطع رحلته الكبيرة حتى جاء إلى هذا الكوكب؟. ألم يك نطفة من الماء من منيّ يمنى ويراق؟ ألم تتحوّل هذه النطفة من خليّة صغيرة إلى علقة ذات وضع خاص في الرحم، تعلق بجدرانه لتعيش وتستمد الغذاء؟

فمن ذا الذي ألهمها هذه الحركة؟ ومن ذا الذي أودعها هذه القدرة؟ ومن ذا الذي وجّهها هذا الاتجاه؟ ثم من ذا الذي خلقها بعد ذلك جنيناً معتدلاً منسق الأعضاء؟ مؤلفاً جسمه من ملايين الملايين من الخلايا الحيّة، وهو في الأصل خليّة واحدة مع بويضة؟ والرحلة المديدة التي قطعها من الخليّة الواحدة إلى الجنين السويّ -وهي أطول بمراحل من مرحلته من مولده إلى مماته- والتغييرات التي تحدث في كيانه في الرحلة الجنينيّة، أكثر وأوسع مدى

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ١٩٠، وما بعدها، وفتح الباري -ابن حجر ١١/ ٤٨٥ وما بعدها، وجامع العلوم والحكم - ابن رجب الحنبلي ٤١-٥١، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - محمد بن علان الصديقي ٢/ ٢٨٩ وما بعدها، والجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٢/ ٧ وما بعدها، وتحفة المودود بأحكام المولود - ابن القيم ٢٢١ وما بعدها.

من كل مايصادفه من الأحداث في رحلته من مولده إلى مماته.

فمن ذا الذي قاد هذه الرحلة المديدة، رحلة هذه الخليّة الصغيرة الضعيفة التي لاعقل لها ولا مدارك ولا تجارب؟. ثم في النهاية، من ذا الذي جعل من الخليّة الواحدة .. الذكر والأنثى؟ وأي إرادة كانت لهذه الخليّة في أن تكون ذكراً ؟ وأي إرادة لتلك في أن تكون أنثى؟ أم من ذا الذي يزعم أنه تدخل فقاد خطواتهما في ظلمات الرحم إلى هذا الاختيار؟

إنّه لامفرّ من الإحساس بوجود الله وقدرته وحسن تدبيره وكماله المطلق التي قادت النطفة في طريقها الطويل، حتى انتهت بها إلى ذلك المصير.[١]

أغشية الجنين :

وإنّ من أبرز الأدلة العلمية على وجود الله سبحانه وعلى كمال دقّته في الخلق هو وجود تلك الأغشية الحافظة للجنين والتي تمدّه بالأسباب المعينة له على الحياة وتصرف عنه الموانع والمكاره التي ربّما كدّرت عليه صفو حياته، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الأغشية في قوله سبحانه ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لاإله إلاّ هو فأنّى تصرفون ﴾[٢] قال بعض المفسرين: إنّ الظلمات الثلاث هي : ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقد نقلوا هذه التفسير عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والسّدي والضحاك[٣]، والظلمة مهمّة جداً في نمو الجنين حيث وجد أنّ الضوء يعيق مراحل النمو المختلفة وهو ماأخبرت عنه الآية الكريمة المتقدمة [٤] إنّ

---

(١) انظر : النشأة الأولى "بحث في نشأة الإنسان وتكوينه" - د. أحمد كنعان و محمد شوشرة ١/٧١.

(٢) سورة الزمر/ الآية ٦ .

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٤ / ٤٥-٤٦، الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٥/٢٣٦، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمان السعدي تحقيق محمد زهدي النجار - ٦/ ٤٥٠.

(٤) انظر : الوجيز في علم الأجنة القرآني - د. محمد البار ٧٦.

لجدار البطن لظلمة تليها ظلمة جدار الرحم ثم تليها ظلمة الأغشية المحيطة بالجنين، وإذا دققنا النظر في الأغشية المحيطة بالجنين وجدناها ثلاثة:

١- غشاء السلي أو الأمنيون، ويحيط بالجنين مباشرة .

٢- غشاء الكوريون « الغشاء المشيمي » . ٣- الغشاء الساقط.

أولاً: غشاء السلي أو الأمنيون

ويعرف بالغشاء الباطن لأنه يحيط بالجنين من كل جانب وهو عبارة عن كيس غشائي رقيق ومقفل يحيط بالجنين إحاطة تامّة وبه سائل يزداد مع نمو الجنين حتى يبلغ أوجه في الشهر السابع، وللسائل الأمنيوني فوائد جمّة لايمكن الاستغناء عنها في تكوين الجنين ونموه في الرحم ونجملها فيما يلي:

١- تغذية الجنين، حيث يحتوي السائل على مواد زلالية وسكريّة وأملاح غير عضوية يمتصها الجنين مما يساعد على تغذيته ونموه .

٢ - حماية الجنين ووقايته من الصدمات المفاجئة والحركات العنيفة والسقطات التي تتعرض لها الأم.

٣ - يسمح للجنين بالحركة الكاملة داخل الرحم.

٤ - يحتفظ للجنين بحرارة ثابتة تقريباً فهو مكيّف جيد بحيث لاتزيد الحرارة ولا تقل إلاّ في حدود ضئيلة جداً.

٥ - يمنع السائل الأمنيوني غشاء الأمنيون من الإلتصاق بالجنين وذلك لأن التصاق الغشاء بالجنين من العوامل الهامّة في حدوث التشوّهات الخلقيّة، فوجود السائل عاملٌ مهم في تجنّب هذه التشوهات الخلقيّة.

هذه جملة وظائف السائل الأمنيوسي أثناء الحمل، أمّا وظائفه أثناء الولادة فلا تقل أهميّة عن ذلك، إذ أنّ السائل الأمنيوسي يكوّن جيب المياه الذي يوسّع عنق الرحم الذي

لايتّسع حتى للخنصر، فإذا به يتّسع للوليد بكامله، وفي نفس الوقت يقي الجنين من أن ينحشر وينضغط بين جدران عنق الرحم أثناء الولادة وما يكون فيها من ضغطٍ عالٍ جداً.. ولولا لطف الله سبحانه ثم جيب المياه هذا لتهشّم رأس الجنين أثناء الولادة، ولا يكتفي السائل الأمنيوسي بكل هذا ولكنّه يقوم بتمهيد وتعقيم الطريق للجنين عندما ينفجر جيب المياه فيقتل الميكروبات الموجودة في المهبل قبيل الولادة مباشرة حتى يضمن للجنين طريقاً ممهداً ومعقّماً في نفس الوقت.

ثانياً : غشاء الكوريون « الغشاء المشيمي »

وهو الثاني من الأغشية التي تحيط بالجنين ويتوسط بين غشاء الساقط من الخارج والغشاء الأمنيوسي من الداخل ويتركب هذا الغشاء من ورقتين هما :

أ - **خارجيّة**: وبها زغابات وخملات كثيرة تنتقل بواسطتها الأغذية والأكسوجين من الأم إلى الجنين كما ينتقل غاز ثاني أكسيد الكربون والبلورينا من الجنين إلى دم الأم.

ب - **داخليّة** : تغطي كيس المح أو الصفار، وتشمل فيما تشمل مبدأ ظهور الأوعية الجنينية الخارجية .

ثالثاً: الغشاء الساقط :

وهو ثالث الأغشية التي تحيط بالجنين من جميع جوانبه..وهومكوّن من الغشاء المخاطي المبطن للرحم، وهو رقيق، وينمو هذا الغشاء نمواً هائلاً وسمّي بالساقط لأنه يسقط ويخرج مع دم الحيض أو مع دم النفاس إذا كان هناك حمل ويقسّم الغشاء الساقط إلى ثلاثة أجزاء حسب موقعه من الرحم، فالغشاء الساقط الموجود بقاعدة الرحم بين الجنين والرحم يسمى:

أ- بالغشاء الساقط القاعدي، بينما يسمى الغشاء المحيط بالجنين مغلفاً إياه .

ب- بالغشاء المحفظي لأنّه كالمحفظة أو الكبسولة التي تغطي الجنين.

جـ- وثالث الأغشية يسمى الغشاء الساقط الجداري وهو يغطي بقيّة جدار الرحم ماعدا الفرجة التي يندغم فيها الجنين.[١]

إنّ من أعجب الأمور عملية تغذية الجنين في بطن أمه وعملية تنفّسه وكيف يقضي حاجاته وكيف تفرز أجهزته أو كيف تعلّق في الرحم وكيف أنّ الحبل السّري الذي يربطه بأمه ليتغذّى به منها قد روعي عند تكوينه مايحقّق الغرض الذي تكوّن من أجله دون إطالة قد تسبّب تخمّر الغذاء فيه، أو قصر يؤدي إلى اندفاع الغذاء إليه بما قد يؤذيه.. إذا مافكرنا في ذلك فلا نملك إلاّ أن نعترف بوجود الله وقدرته ولطفه بخلقه.[٢]

الوضع والولادة :

ومن الأحكام المتعلقة بالجنين عملية الوضع والولادة، بل هي مرحلة من آخر مراحل حياته في بطن أمه، وفيها من الأدلة العلمية التي تقر وتشهد بوجود الله سبحانه وعظيم إحسانه على الناس، وكمال رحمته بهم، وخاصة رحمته بهذه الأم الحامل في عملية وضعها التي تشاهد فيها ألواناً من الآلام المتعبة، إنّ القرآن الكريم يذمّ هذا الإنسان الذي يكفر بخالقه الذي خلقه من تلك النطفة فقدّره منها ثم يسر سبيله وخروجه من بطن أمّه كما قال تعالى ﴿قتل الإنسان ماأكفره. من أي شيء خلقه. من نطفة خلقه فقدّره. ثم السبيل يسّره.﴾[٣] قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والضحاك وقتادة والسّدي أن اليسر

---

(١) انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن - د. محمد البار ٤٢٣-٤٢٧، الطب محراب للإيمان -د. خالص جلبي ١/ ٨٠، النشأة الأولى، بحث في نشأة الإنسان وتكوينه -د. أحمد كنعان ومحمد شوشره ١/ ١٩١-١٩٦، رحلة الإيمان في جسم الإنسان - د. حامد أحمد حامد ٥٤ وما بعدها، الإعجاز الإلهي في مراحل خلق الجنين - كمال محمد درويش ٦٨-٧٢.

(٢) الله والعلم الحديث - عبد الرازق نوفل ٤١-٤٢.

(٣) سورة عبس/ الآية ١٧-٢٠.

هـو: خـروج الجنين من بطن أمّه"[1] فعندما يأذن للجنين بالخروج ينقلب ويصير رأسه إلى أسفل، فيتقدّم رأسه سائر بدنه وهذا من تمام العناية الإلهيّة بالجنين وأمّه، لأنّ رأسه إذا خرج أولاً كان خروج سائر بدنه أسهل من غير أن يحتاج شيء منها إلى أن ينثني فإنّ الجنين لو خرجت رجلاه أولا لم يؤمن أن ينشب في الرحم عند يديه، وإن خرجت رجله الواحدة لم يؤمن أن يتعلّق وينشب في الرحم عند إدراكه، وإن خرجت اليدان لم يؤمن أن ينشب عند رأسه، إمّا أن يلتوي إلى خلف، وإمّا لأن السرّة تلتوي إلى عنقه أو على كتفه لأنّ الجنين إذا انحدر فصار إلى موضع فيه السرّة ممتدة إلتوت هناك على عنقه وكتفه، فيعرض من ذلك إمّا أن يجاذب السرّة فتألم الأمّ غاية الألم، ثمّ إنّ الجنين إمّا يموت وإمّا أن يصعب خروجه ويخرج وهو عليل متورّم، فاقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن ينقلب في البطن، فيخرج رأسه أولاً ثم يتبع الرأس باقي البدن"[2].

والنظر إلى ساعة الخلاص لهذا الجنين وهو يعيش محنة الولادة، حينما ينزل من حياة الرحم إلى الحيـاة الدنيا يجعلنا نتذكّر آيات الله العظيـمات على هذا الجنين، ففي تلك اللحظات ينطلق هورمون[3] مستعجل من الغدة النخامية إلى الرحم الذي يحوي الجنين في آخر الشهر التاسع بعد أن ازداد حجم الرحم (٢٥٠٠) ضعفاً من (٢.٥سم٣ إلى ٥٠٠٠سم٣) وازداد وزنه (٢٠) عشرون ضعفاً من (٥٠ غراماً إلى ١٠٠٠غرام) وعند هذا يفرغ الرحم محتواه الثمين لأن هذا الإنسان أصبح صالحاً للحياة، وهكذا تبدأ التقلصات الخفيفة في البدء ثم تشتد متقاربة وتبدأ الأمّ بالشعور بآلام المخاض، فلو أن الرحم انقبض

---

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٤/٤٧٢.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود - ابن القيم ، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري ٢٤٤، ط٢، دار الريان للتراث، القاهرة: ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

(٣) الهورمون: هو المادة التي تفرز من الغدّة الداخليّة ويقوم بدور منشط.

دفعة واحدة لإخراج الجنين، لكان معناه موت الجنين المحتم بانقباض الرحم عليه وعدم خروجه بحال، كما أنّ نفس تقلّصه الرحم يحدث نقصاً في ورود الدم إلى الجنين عبر المشيمة المتصلة مع رحم الأم بآلاف من الثقوب، وهكذا تتوالى التقلّصات المنتظمة لكي تدفع بالجنين إلى الحياة بشكل فنّي وسليم.

وبعد خروج الجنين من الرحم وانسلاخ المشيمة عن مقر الرحم يحدث أمرٌ مروّع، لولا تدخل إرادة الله الباهرة من خلال سننه الحكيمة التي وضعها لخلقه، لأن قعر الرحم في هذه الحالة هو « فوّهة مرعبة » لنزف الدم فينقبض الرحم وتشكل كرة الأمان، وهو عكس الحالةالسابقة هنا لأنّه ينقبض دفعة واحدة لمنع أي نزف، لأن مكان الإنسلاخ يحوي آلاف الثقوب الدمويّة، ولو بقيت مفتوحة بدون إغلاق لكان معناه موت الأم في مدى دقائق معدودة... وإنّ انقباض الرحم في هذه اللحظة وبواسطة طبقة عضليّة شبكيّة، يعني قطع أي نزف.

إنّ هذه العمليّة السريعة والدقيقة لتدلّ على عظيم قدرة الله تعالى فضلاً عن وجوده، فإنّ انقباض الرحم قبل قليل كان معناه موت الجنين، وانقباض الرحم الآن معناه حياة الأم، أي نفس العمليّة ولكن في مرحلتين متتاليتين نتائج عكسيّة، ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[1].

وتيسير السبيل في الولادة أمرٌ عجيب لأنّه حيّر القدماء إذ كيف يمرّ الجنين في ذلك الممر الضيق .. وعنق الرحم لايسمح في العادة لأكثر من إبرة لدخوله.. فيتّسع ذلك العنق ويرتفع تدريجياً في مرحلة المخاض حتى ليسع أصبعاً ثم أصبعين ثمّ ثلاثة فأربعة فإذا وصل الاتساع إلى خمسة أصابع فالجنين على وشك الخروج. ليس ذلك فحسب ولكن الزوايا تنفرج

---

(١) سورة المؤمنون / الآية ١٤ انظر : الطب محراب للإيمان - د.خالص جلبي ٢/ ٦٤-٦٦.

لتجعل مابين الرحم وعنقه طريقاً واحداً وسبيلاً واحداً ليس فيه اعوجاج كما هو معتاد حيث يكون الرحم مائلاً إلى الأمام . وفي الحمل يكون وضع الرحم مع عنقه في خط واحد، وخاصّة في آخر الحمل بدون زوايا، ثم يأتي دور الإفرازات والهرمونات التي تسهّل عمليّة الولادة.. وتجعل عظام الحوض وعضلاته ترتخي وخاصة بتأثير مفعول هرمون الإرتخاء. وتتضافر هذه العوامل جميعاً لتيسّر لهذا المخلوق سبيل خروجه إلى الدنيا"[1]

الرضاع :

عندما يبلغ الحمل نهايته تفرز غدد الأنثى إفرازات كثيرة متعددة الأغراض، فمنها مايساعد على انقباضات الرحم وتقلصاته، ومنها: مايسهّل عمليّة انزلاق الجنين، ومنها مايعمل على مساعدة المولود في أن يكون نزوله بالوضع الطبيعي وباعتبار أنّ الثدي غدّة كذلك، فهو يفرز في نهاية الحمل وبدء الوضع سائلاً أبيض مائلاً إلى الاصفرار، ومن عجيب صنع الخالق أنّ هذا السائل عبارة عن مواد كيماويّة ذائبة تقي الطفل من عدوى الأمراض، وفي اليوم التالي للميلاد يبدأ اللبن في التكوّن، ومن تدبير المدبر الأعظم أن يزداد مقدار اللبن الذي يفرزه الثدي يوماً بعد يوم، حتى يصل إلى حوالي لترين ونصف لتر في اليوم بعد سنة من الميلاد، بينما لاتزيد كميته في الأيام الأولى على بضع أوقيات ولا يقف الإعجاز عند كميّة اللبن التي تزيد على حسب زيادة الطفل، بل إنّ تركيب اللبن كذلك تتغيّر نسب مكوناته وتتركز مواده، فهو يكاد يكون ماء به القليل من النشويات والسكريات في أوّل الأمر، ثم تتركز مكوّناته فتتزيد نسبته النشويّة والسكريّة والدهنيّة فترة بعد أخرى، بل يوماً بعد يوم بما يوافق أنسجة وأجهزة الطفل المستمر النمو، وعمليّة استخلاص اللبن في الثدي عمليّة عجيبة تثبت وجود الخالق وتدلّل على قدرته"[2].

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن - د.محمد البار ٤٦٠.

(٢) الله والعلم الحديث - عبد الرازق نوفل ٤٢-٤٣.

والمعجزة الأولى التي نشاهدها بعد ولادة الطفل وخروجه إلى الحياة هي نظام المخابرة والتخاطب بينه وبين الأم فالأم توفر للجنين الرضيع المضادات للأمراض من خلال حليبها له، وثدي الأم كأنه يقوم بعمله على نظام "كمبيوتري" يعمل كمعمل كيماوي يعلم مسبقاً حاجات الطفل للمواد المختلفة بأجمعها"[1].

أسرار وأسرار يحتار الطبّ والعلم في تفسيرها، ومنها: كيف سيتغذّى هذا الوليد بعد أن جاء إلى هذا العالم الجديد، وهو غريب عليه ولم تعد معه تلك المشيمة التي كانت تقدّم له الطعام مهضوماً جاهزاً، إنّ الله سبحانه بقدرته الحكيمة، وبإرادته العظيمة قد هيأ له الثدي كأحسن مايكون، فإنه خلال الحمل تكون الأوامر المرسلة للثدي هي بالإستعداد فقط وهي تكاثر الغدد، ومتى حان الوضع ترسل النخامة أوامرها لغدد الثدي بالإفراز، ويبدأ الإفراز، وهنا نتساءل كيف تحول الدم الذي يغذي الثدى إلى لبن مفيد للطفل؟ حقاً إنّه سرٌ من الأسرار العجيبة المدهشة، فلقد وجد أنّ طريقة وصول المواد الدسمة وغيرهاعن طريق اللبن هو عن طريق الإفراز العائد للخليّة، ومعنى هذا أنّ الخليّة الغديّة تمتلئ بكرات الدسم، فلا تستطيع عبور الغشاء الخلوي فينجرف مقدّمة الخليّة مع كرات الدسم ثمّ تعود الخليّة مرّة أخرى فتجدّد الغشاء الخلوي وما ذهب منها، وهكذا ولقد وجد أنّ اللبن يحتوي على كافة المواد التي يحتاجها الجسم، وأن تركيزالمواد فيه يختلف مع تطوّر عمر الطفل كما أنّ اللبن معقّم فلا يحتوي على الجراثيم بالإضافة إلى أن أجسام المناعة تمرّ من خلاله مما تعطي الطفل مناعة مهمّة ضدّ الأمراض، وذلك من دم والدته. فمن رحمة الله سبحانه بهذا المولود الضعيف أن أمّن له كل ذلك وبشكل متناسق فتغذية الطفل تخلق حناناً وعطفاً ورحمة من

(١) الانسان ومعجزة الحياة - د. خلوق نورباقي، ترجمة: أورخان محمد علي ٦٠-٦١.

الأم على ولدها وتشدّ الناحية الروحية العاطفيّة بينهما"[1]. إنّ المتدبّر في وضع هذا الجنين في بطن أمّه فإنّه في موضع لاتناله يد ولا يدركه بصر، ولا حيلة له في التماس الغذاء ولا في دفع الضرر، فمن الذي أجرى إليه من دم الأم ما يغذيه كما يغذّى النبات؟ وقلب ذلك الدم لبناً؟ حتى إذا كمل خلق هذا الجنين واستحكم وقوي أديمه على مباشرة الهواء وبصره على ملاقاة الضياء وصلب عظمه على مباشرة الأيدي، والتقلّب على الغبراء هاج الطلق بالأم فركض الرحم هذا الجنين ركضة من مكانه كأنه لم يضمّه قط، ولم يشتمل عليه، فيابعد مابين ذلك القبول والاشتمال حين وضع هذا الجنين نطفة وبين هذا الدفع والطرد والإخراج، وكان الرحم مبتهجاً بهذا الحمل فصار يستغيث ويعج إلى الله من ثقله، فمن ذا الذي فتح لهذا الجنين باب الولوج حتى ولج منه ثم ضمّ عليه حتى حُفظ وكُملت أيّامه ومراحله، ثم فتح لهذا الجنين باب الخروج ووسعه له حتى خرج منه كلمح البصر لم يخنقه ضيقه ولم يحبسه صعوبة، فمن ذا الذي أوحى إليه أن يتضايق على هذا الجنين وهو نطفة حتى لايفسد هناك، وأوحى إليه أن يتسع وينفسخ حتى يخرج منه سليماً، إلى أن خرج وحيداً فريداً ضعيفا لاقشرة ولالباس ولامتاع ولامال، فصرف ذلك اللبن ليتغذّى به الجنين إلى خزانتين معلقتين على صدر الأم فهي بئر لاتنقطع مادّتها ولا تنسدّ طرقها، يساق إلى هذا الجنين في طرق لايهتدي إليها الطواف ولا يسلكها الرجال، فمن رقّقه لهذا الجنين وصفّاه وأطاب طعمه وحسّن لونه وأحكم طبخه أعدل إحكام لابالحار المؤذي ولا بالبارد الردى ولاالمرّ ولا المالح ولا الكريه الرائحة بل قلّبه إلى ضرب آخر من التغذية والمنفعة، كل هذه آيات تترى وعلامات تشهد وآثار تنطق بوجود هذا الإله العظيم الذي يستحق كل عبادة وتقدير "[2].

---

(١) الطب محراب للإيمان - د. خالص جلبي ١/٨٧-٨٨.

وللإستزادة انظر: خلق الإنســان بين الطب والقــرآن - د. محمد البار ٤٦٩-٤٧٤.

(٢) انظر : مفتاح دار السعادة - ابن القيّم ١/٢٥٥-٢٥٦، بتصرف.

المبحث الثالث

(الأدلة العلمية على مناسبة أحكام الشريعة للبشر)

إمتازت شريعة الإسلام عن غيرها من الشرائع السماوية والمذاهب البشريّة الوضعيّة أنّها تطلب من أتباعها ضرورة تطبيق تعاليمها وآدابها والتحاكم إليها وأنّ ذلك دين، وبيّنت في كثير من نصوصها علة أحكامه وحكمة تشريعها ليزداد المؤمن إيماناً، ويقتنع من كان في قلبه مرض أو شك أو شبهة.

إنّ شريعة الإسلام لا تجبر أحداً على الدخول فيها وإغماض عينيه عن تدبّر أحكام هذا الدين ومعانيه بل إنّها لتمنح أصحابها حريّة التفكّر والنظر والبحث في الحكمة والعلّة والمعلول، وامتازت شريعة الإسلام بأمور منها :

١- أنّ تكاليفها في حدود المقدور والمستطاع :

قال تعالى: ﴿ لايكلّف الله نفساً إلا وسعها ﴾[1] فلا تكلف شريعة الإسلام مايشق على الإنسان، سواء كان ذلك التكليف من أعمال القلب أو الجوارح إلاّ في حدود الوسع، أي الطاقة والجدة وفي مقتضى ادراك هذا الإنسان وبنيته.

وفي معنى هذه الآية الكريمة ماحكاه أبو هريرة رضي الله عنه قال: ماوددت أنّ أحداً ولدتني أمّه إلاّ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فإنّي تبعته يوماً وأنا جائع فلمّا بلغ منزله لم يجد فيه سوى نِحْي سمْن قد بقي فيه أثارة فشقّه بين أيدينا، فجعلنا نلعق مافيه من السمن والرُّبّ[2] وهو يقول

ماكلف الله نفساً فوق طاقتها ∴ ولا تجود يدٌ إلا بما تجد[3]

(١) سورة البقرة / الآية ٢٨٦.

(٢) الرُّب : دبس التمر إذا طبخ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٣/ ٤٢٩ - ٤٣٠.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لمانزلت على رسول الله ﷺ ﴿ لله مافي السماوات وما في الأرض وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾[1] قال : فاشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كلّفنا من الأعمال مانطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولانطيقها، قال رسول الله ﷺ : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلمّا اقترأها القوم ذلّت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير ﴾[2]

فلمّا فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل : ﴿ لايكلّف الله نفساً إلاّ وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا «قال : نعم» ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا « قال: نعم » ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به « قال: نعم » واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾[3] «قال : نعم»[4].

---

(١) سورة البقرة / الآية ٢٨٤.

(٢) سورة البقرة / الآية ٢٨٥.

(٣) سورة البقرة / الآية ٢٨٦.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: ا لإيمان، باب: بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلاّ مايطاق ١/١١٥-١١٦ رقم ١٢٥.

بل إنّ شريعة الاسلام رفع عن أصحابها الحرج لقوله تعالى : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾[١]، أي من ضيق، وممّا خصّ الله به هذه الأمة ماقاله قتادة: أُعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم يُعطها إلاّ نبيّ: كان يقال للنبي : إذهب فلا حرج عليك، وقيل لهذه الأمة: ﴿وماجعل عليكم في الدين من حرج ... ﴾[٢]، والنبي شهيد على أمته وقيل لهذه الأمة : ﴿تكونوا شهداء على الناس ... ﴾[٣]ويقال للنبي سلْ تُعطه، وقيل لهذه الأمة : ﴿ أدعوني أستجب لكم ... ﴾[٤]

ورفع الحرج هو لمن استقام على منهاج الشرع، وأمّا السرّاق وأصحاب الحدود فعليهم الحرج، وهم جاعلوه على أنفسهم بمفارقتهم الدين[٥]

٢- أنّها لاتؤاخذ بالنسيان ولا بالخطأ:

لقول الله :﴿ ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾[٦] فدائرة الخطأ والنسيان هي التي تحكم تصرّف المسلم حين ينتابه الضعف البشري الذي لاحيلة له فيه. وفي مجالها يتوجّه إلى ربّه يطلب العفو والسماح، وليس هو التبجّح إذا بالخطيئة أو الإعراض ابتداءً عن الأمر أوالتعالي عن الطاعة والتسليم، أو الزيغ عن عمل وقصد، ليس في شيء من هذا

---

(١) سورة الحج / الآية ٧٨.

(٢) الآية السابقة.

(٣) سورة البقرة / الآية ١٤٣.

(٤) سورة غافر / الآية ٦٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٢/٩٩-١٠١.

(٦) سورة البقرة / الآية ٢٨٦.

يكون حال المؤمن مع ربه وإنّما حال المؤمن أنه يعود إلى ربّه وينيب[١]

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال : (إنّ الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[٢] والخطأ: هو أن يقصد بفعله شيئاً فيصادف فعله غير ماقصده، والنسيان: هو أن يكون ذاكراً الشيء فينساه عند الفعل وكلاهما معفو عنه فلا إثم فيه وقد صرح القرآن الكريم بالتجاوز عن المخطيء والناسي ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدّت قلوبكم ...﴾[٣]

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)[٤] بل إنّ هذه الشريعة تتجاوز عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تصدقها الأعمال.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول اللهﷺ (إنّ الله تجاوز لأمّتي ماحدّثت به أنفسها ملم يتكلّموا أو يعملوا به)[٥]

---

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب ١/٣٤٥.

(٢) وأخرجه ابن ماجة في كتاب: الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي، صحيح سنن ابن ماجة - الألباني ١/٣٤٨ رقم ١٦٦٤.

(٣) سورة الأحزاب / الآية ٥ ، انظر: جامع العلوم والحكم - ابن رجب الحنبلي ٣٢٧.

(٤) أخرجه الترمذي في أبواب: صفة القيامة، صحيح سنن الترمذي ٢/٣٠٥ رقم ٢٠٢٩.
وأخرجه وابن ماجة في كتاب: الزهد، باب: ذكر التوبة صحيح سنن ابن ماجة - الألباني ٢/٤١٨ رقم ٣٤٢٨.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب: العتق، باب: الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه ٥/١٦٠ رقم ٢٥٢٨، وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: الإيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر ١/١١٦ رقم ١٢٧.

٣ - أنّها شريعة سهلة ميسورة :

فإنّ شريعة الإسلام سهلة ميسورة من حيث الأخذ بآدابها وتعاليمها وأحكامها، يأخذ بها الأغنياء والفقراء، الساسة وعامّة الناس، وكلّهم أمامها في درجة واحدة لايتفاضلون إلاّ بزيادة التحصيل من الخير والبعد عن الشر وذلك هو صريح التقوى الذي تأمر به. عن طلحة بن عبيد الله قال: (جاء إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، فسمع دويّ صوته ولا نفقه مايقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ وإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله: خمس صلوات في اليوم والليلة. فقال هل عليّ غيرهنّ؟ قال لاإلاّ أن تطوّع. وصيام شهر رمضان. قال هل عليّ غيره؟ فقال: لا إلا أن تطوّع. وذكر له رسول الله الزكاة فقال هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلاّ أن تطوّع، قال فأدبر الرجل وهو يقول: والله لاأزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق)(١).

وتؤكد شريعة الإسلام على ضرورة الإبتعاد عن المنهيات لخطورتها على النفس، والأخذ بالمأمورات لأنّها تسعد هذه النفس، والأخذ بالمأمورات أمرٌ مقدور ومستطاع، ولو حدث للنفس كسل في هذا الطريق، فلا أقلّ من الأخذ ببعضها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مانهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه مااستطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم)(٢)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ١/ ٤٠-٤١ رقم ١١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ١٣/ ٢٥١ رقم ٧٢٨٨ وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عمالا ضرورة إليه، أولا يتعلق به تكليف ٤/ ١٨٣٠ رقم ١٣٣٧.

ففي شريعة الإسلام هذا اليسر وتلك السهولة ولذا نرى أحكامه غير صعبة معقّدة فهذه الصلوات لم تفرض أكثر من خمس مرات في اليوم والليلة وكذا الصيام شهر واحد على مدار العام وكذا الحج مرة واحدة في العمر كلّه وهذه الزكاة فرضت على الأغنياء إذا ملكوا النصاب ودار على مالهم حولاً كاملاً، وهذه الشريعة تتحقّق بدرجة أكبر عند العجز فإذا فقد الماء لمن يريد الصلاة نابه التراب وإذا أصيب الإنسان بمرض صلى قاعداً وإذا شارف على الهلكة أبيح له بعض المحظورات كأكل لحم الميتة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إنّ هذا الدين يسر ولن يشادّ الدين أحدٌ إلاّ غلبه، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا...)[1].

وأشار إلى هذا قوله تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .. ﴾[2]
وقوله: ﴿ فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه ... ﴾[3]

٤ - أنّها شريعة خير ، تناسب أحوال الإنسان :

فهي هدى وشفاء ونور وبرهان وتبيان وبصائر ورحمة وموعظة وبشرى قال تعالى: ﴿ هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾[4] وقوله : ﴿ قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾[5] وقوله ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب : الجهاد والسير، باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير ١٣٥٨/٣ رقم ١٧٣٢.

(٢) سورة البقرة / الآية ١٨٥.

(٣) سورة البقرة / الآية ١٧٣.

(٤) سورة الأعراف /الآية ٢٠٣.

(٥) سورة يونس / الآية ٥٧.

لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾[1] وقوله ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾[2] وقوله : ﴿ ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ... ﴾[3] وفيما يأتي سأتحدث بمشيئة الله عن بعض الأحكام الشرعية ومناسبتها للبشر من حيث استدلالاتها العلمية، وماأثبته العلم الحديث على مناسبة ذلك الحكم الشرعي السماوي إلى هؤلاء البشر ومن ذلك مايلي:

أولاً: الصيام :

أوجبت شريعة الإسلام صيام شهر رمضان على كل مسلم عاقل بالغ، قال تعالى ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه .. ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[5]

رُبَّ متسائل يسأل : إن كانت حكمة الصيام هي إحساس الغني بجوع الفقير، فلماذا يصوم الفقير؟ وإذا كان الغنيّ يحسّ بجوع الفقير ويعطف عليه دون صوم فلماذا يصوم؟

إنّ الصيام يحوي من الفضائل مايزيد على هذه الحكمة، لاسيّما ما وضح منها في العصر الحديث. فالصيام أحد دعامات الصحة الوقائية شرع لخير الصائم نفسه، فهو صحة

(١) سورة النحل / الآية ٨٩.

(٢) سورة المائدة / الآية ١٥.

(٣) سورة النساء / الآية ١٧٤.

(٤) سورة البقرة / الآية ١٨٥.

(٥) سورة البقرة / الآية ١٨٣.

البدن في الدنيا ، وتزكية للروح في الآخرة. وقدبدأت الهيئات الطبيّة العالمية تعرف ماللصوم من فضائل.[١]

إنّ ضبط النفس لاغنى للبشريّة عنه، فما من إنسان فيه عقل إلاّ ويدرك أنّه لو أطلق كل إنسان لأهوائه العنان في كل مجال، واستطاع أن يحققها فإنّ البشرية تنتهي في لحظات، أو في أيام، أو أنّ الحياة تصبح لاتطاق، والواقع الحالي للبشر يرينا كم يعاني البشر من تعاسة نتيجة لعدم تقيدهم بالحدود التي ينبغي أن يتقيّدوا بها ، والتي هي الحدود التي حدّدها الله للبشر في علاقاتهم بعضهم ببعض، إذ لله وحده حقّ الإلزام، لأنّه وحده صاحب الأمر والنهي والحكم، لأنّه وحده الأعلم والأحكم والأرحم. ودين الله هو الصيغة الوحيدة للإنسان التي ينبغي أن تصاغ عليها نفسه، وأن تضبط بها شهواته وأهواؤه، وبها حياة الناس وهي الطريق المستقيم المنير الوحيد الذي لهم، وعليهم أن يسلكوه ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ...﴾[٢]

وللوقاية من أمراض كثيرة شرع الصيام ويعتبر حالياً العلاج المستعمل للأمراض الآتية:

١- اضطرابات الأمعاء المزمنة المصحوبة بتخمر في المواد الزلالية والنشوية، وهنا ينجح الصيام وخصوصاً عند عدم شرب الماء بين الأكلتين، وأن تكون بين الأكلة والأخرى مدة طويلة كما في صيام رمضان.

٢- زيادة الوزن الناشئ عن كثرة الغذاء وقلة الحركة، فالصيام هنا أنجح من كل علاج من

---

(١) الله والعلم الحديث - عبد الرازق نوفل ١٨٥.

(٢) سورة الأنعام / الآية ١٢٢، انظر : الإسلام - سعيد حوى ١/١٦٥.

الاعتدال في الطعام وقت الإفطار، والسحور.

٣- زيادة الضغط الذاتي، وهو آخذ في الانتشار بازدياد الترف والانفعالات النفسية، ففي هذه الحالة يكون شهر رمضان نعمة وبركة وخصوصاً إذا كان وزن الشخص أكثر من الوزن الطبيعي لمثله.

٤- البول السكري، وهو منتشر انتشار الضغط، ويكون في مدّته الأولى وقبل ظهوره مصحوباً غالباً بزيادة في الوزن، فهنا يكون الصيام علاجاً نافعاً إذ أنّ السكّر يهبط من قلّة السمن، ويهبط السكر في الدم بعد الأكل بخمس ساعات إلى أقلّ من الحدّ الطبيعي في حالات البول السكري الخفيف وبعد عشر ساعات إلى أقلّ من الحدّ الطبيعي بكثير. ولا يزال الصيام مع بعض ملاحظات في الغذاء أهمّ علاج في هذا المرض حتى بعد ظهور الأنسولين خصوصاً إذا كان الشخص يزيد عن الوزن الطبيعي، ولم يكن هناك علاج لهذا المرض قبل الأنسولين غير الصيام.

٥- التهاب الكُلى الحاد والمزمن المصحوب بارتشاح وتورّم.

٦- أمراض القلب المصحوبة بتورّم.

٧- التهاب المفاصل المزمنة، خصوصاً إذا كانت مصحوبة بسمن، كما يحصل عند النساء غالباً بعد سن الأربعين.

وربّ سائل يقول: ولكنّ الصيام في كل هذه الحالات يحتاج إلى إرشاد طبيب في كل مرض على حدته، والصيام الذي كُتب على المسلمين إنّما كتب على الأصحّاء، وهذا صحيح، ولكن فائدة الصيام للأصحاء هي الوقاية من هذه الأمراض وخصوصاً الأمراض التي مرّ ذكرها .. وهذه الأمراض كلّها تبتدئ في الإنسان تدريجيًا بحيث لايمكن الجزم بأوّل

المرض.. ومن المؤكد طبّياً أن الوقاية من كل هذه الأمراض هي في الصيام، بل إنّ الوقاية فعّالة جداً قبل ظهور أعراض المرض بوضوح. وقد ظهرت إحصاءات لاتقبل الشك أنّ زيادة السمن يصحبها استعداد للبول السكري، وزيادة ضغط الدم الذاتي والتهاب المفاصل المزمن وغير ذلك. ومع قلة الوزن يقلّ الاستعداد لهذه الأمراض بالنسبة نفسها[1] ومن فوائد الصيام: علاج العديد من الأمراض المزمنة، والمستعصية مثل :

الروماتزم، والربو، والتهابات الرحم وحوض النساء، والسّعال التحسسي، والتهاب القصبات المزمن، والداء السكري عند الكبار، وبعض حالات الصمم والعمى، والتخلّص من التدخين والمخدرات، وبعض حالات العقم، وعرق النساء (مالم يكن هناك فتق في الغضروف)، وحبّ الشباب،وأمراض الحساسيّة، والقرحة المعديّة، والصرع، والمراحل الأولية في مرض السرطان[2]

وقد تحدّث الأطباء طويلاً عن أثر الصوم في الصحة البدنية وأثبتوا أنّ من حكم الصوم الأساسيّة: إعطاء الأجهزة الجسميّة كلها فرصة للراحة والاستجمام.. وبخاصة الجهاز الهضمي الذي يظل طيلة العام يطحن دون راحة.. وهي فرصة تتيح للجسم خلالها أن يتخلّص من البدانة والسمنة والترهّل، وتتيح للمعدة أن تستجمّ وتهدأ.. وما أشبه المعدة بالآلة الميكانيكيّة، إن لم يسهر عليها صاحبها وينظفها وينظّم عملها ويعطيها فرصة للراحة، فإن العطب يتسرّب إليها، وإذا كان ذلك بالنسبة لآلة صمّاء من حديد أو معدن.

---

(١) انظر : روح الدين الإسلامي- عفيف طبارة ٤٤١، صوموا تصحوا « دراسة علميّة لفوائد الصيام الصحيّة، سعيد الأحمري ٣١ وما بعدها ط١ مكتبة المعارف، الرياض: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

(٢) البطنة تذهب الفطنة - د. سمير اسماعيل الحلو - والمذكور طبيب، ص٣٣-٣٤.

فكيف بالمعدة وهي من لحم ودم؟!

ويتيح الصوم الفرصة لكل أجهزة الجسم وأنسجته وخلاياه للتخلّص ممّا تراكم فيها من نفايات وما ترسّب من أملاح، وما أصابها من إرهاق وعناء، فالصوم فرصة لتجديد هذه الأنسجة وبعثٌ لنشاط الجسم كلّه"[1].

فالصوم وسيلة لتطهير الجسم بإزالة مايمكن أن يكون به من زيادات في السموم الضارة أوغذاء لالزوم له، فإن الجسم البشري ليس مجرد مستودع للغذاء وإنّما هو مجموعة متّزنة متوافقة من المواد والعمليات الكيمائية، وهذه المجموعة تتعرض للإختلال ليس بنقص المواد الغذائية فقط بل بزيادتها أيضاً وإلى جانب هذا التنظيف والتطهير إراحة أعضاء الهضم والامتصاص وإراحة أعضاء الإفراز حيث يعطيها فرصة لأن تعوّض أيّ تقصير سابق في عملها، وفي الصوم عامل من عوامل تجديد الشباب وذلك بإعطاء الخلايا حياة ونشاطاً مجدّدين وتلك حقيقة من حقائق علم الحياة"[2].

يقول الدكتور : «روبرت بارتولو» لاشك في أنّ الصوم من الوسائل الفعّالة في التخلّص من الميكروبات وبينها ميكروب الزهري، لما يتضمنه من إتلاف للخلايا، ثم إعادة بنائها من جديد.

ويقول الدكتور «محمد الظواهري» إنّ كرم رمضان يشمل مرضى الأمراض الكليّة، إذ تتحسن بعض الأمراض الجلديّة بالصوم، وعلاقة التغذية بالأمراض الجلدية علاقة متينة. إذ

---

(١) هكذا نصوم - توفيق محمد سبع ١٩٠-١٩١، ط٢، دار أمية للنشر والتوزيع بالرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٢) حكمة التشريع وفلسفته - علي أحمد الجرجاوي ١/٢٢٨-٢٢٩، ط دار الفكر.

أنّ الامتناع عن الغذاء والشراب مدّة ما تقلّل من الماء في الجسم والدم، وهذا بدوره يدعو إلى قلّته في الجلد، وحينئذ تزداد مقاومة الجلد للأمراض الجلديّة المعدية والميكروبية. ومقاومة الجسم في علاج الأمراض المعدية هي العامل الأوّل الذي يعتمد عليه في سرعة الشفاء، وإن الجسم الذي لايقاوم الميكروب ويدافعه ينهار أمامه. ويضعف تأثير الدواء المبيد للميكروبات مع الجسم القليل المقاومة، وقلّة الماء من الجلد تقلّل أيضاً من حدّة الأمراض الجلديّة الالتهابية والحادّة والمنتشرة بمساحات كبيرة في الجسم وأفضل علاج لهذه الحالات من وجهة الغذاء هي الامتناع عن الطعام والشراب لفترة ما، ولا يسمح إلاّ بقليل من السوائل البسيطة، وقلّة الطعام تؤدّي إلى نقص الكميّة التي تصل منه إلى الأمعاء، وهذا بدوره يريحها من تكاثر الميكروبات الكامنة بها وما أكثرها، وعندئذ يقلّ نشاط تلك الميكروبات المعويّة ويقلّ إفرازها للسموم وبالتالي يقلّل امتصاص تلك السموم من الأمعاء، وهذه السموم تسبب العدد الكثير من الأمراض الجلدية، وأن الأمعاء لبؤرة خطرة من البؤر العفنة التي تشعّ سمومها عند كثير من الناس وتؤذي الجسم والجلد وتسببّ لهما أمراضاً لاحصر لها، وشهر الصيام هو شهر هدنة للراحة من تلك السموم وأضرارها، والصيام كذلك علاج لأمراض زيادة الحساسية، وأمراض البشرة الدهنيّة[1] وقد صدقت شريعة الإسلام في تعاليمها حيث كانت مناسبة لأحوال البشر، قال تعالى: ﴿وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون﴾[2]

---

(١) الله والعلم الحديث - عبد الرازق نوفل ١٨٥ - ١٨٧.

(٢) سورة البقرة / الآية ١٨٤.

يشعر بعض المسلمين في آخر شهر رمضان المبارك بشعور جميل، تتمثل مظاهره في عدّة نواحٍ منها :

١- ذوبان عدة كيلو جرامات من الشحم.

٢- ازدياد قوة التحمّل والصبر على الجوع.

٣- التخلّص من بعض العادات مثل التدخين (لمن كانت عنده النيّة للتخلص منه).

٤- شفاء بعض الأمراض، مثل اضطرابات الهضم، وأوجاع الأسنان، وحساسيّة الجلد وغيرها.[١]

وحينما أوجبت شريعة الإسلام صيام شهر رمضان أبانت أنّ القيام بهذا الركن الأساسي من أركان الإسلام خيرٌ كلّه وأنّ من هذا الخير أنه صحة للبدن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (سافروا تربحوا وصوموا تصحّوا واغزوا تغنموا)[٢].

ولقد أمرت شريعة الإسلام بضرورة العناية بالجسد من حيث الغذاء بشرط أن يكون متوازناً لازيادة في ولا سرف، قال تعالى : ﴿.. وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنّه لايحبّ المسرفين ﴾.[٣]

قال ابن عباس رضي الله عنهما أحلّ الله في هذه الآية الأكل والشرب مالم يكن سرفاً أو مخيلة، فأمّا ماتدعو الحاجة إليه وهو ماسدّ الجوعة وسكّن الظمأ، فمندوب إليه عقلاً

---

(١) البطنة تذهب الفطنة - د. سمير اسماعيل الحلو ٣٩.

(٢) أخرجه ابن السنّي، وأبو نعيم في الطب بسند ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة - الألباني ٢٧٧/١ رقم ٢٥٣، ضعيف الجامع الصغير - الألباني ٢٧٣/٤ رقم ٣٥٠٦.

(٣) سورة الأعراف / الآية ٣١.

وشرعاً لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس، ولقلّة الأكل منافع كثيرة، منها: كظّ المعدة ونتن التخمة ويتولّد منه الأمراض المختلفة، فيحتاج من العلاج أكثر مما يحتاج إليه القليل من الأكل، ولذا قيل: «أكبر الدواء تقدير الغذاء» وقد بيّنت شريعة الإسلام هذا المعنى بياناً شافياً يغني عن كلام الأطباء فعن المقدام بن معْد كرب قال: سمعت رسول اللـهﷺ يقول: (ماملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)[1]

ولعلّ من أبرز الأمراض الماديّة التي تصيب البدن ماكان بسبب إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، وتناول الأغذية القليلة النفع، البطيئة الهضم، فإذا ملأ الآدمي بطنه من هذه الأغذية، واعتاد ذلك: أورثته أمراضاً متنوعة، منها بطيء الزوال أو سريعة، فإذا توسّط في الغذاء، وتناول منه قدرالحاجة، وكان معتدلاً في كميته وكيفيته: كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير، ومراتب الغذاء ثلاثة:

أ - مرتبة الحاجة. ب- مرتبة الكفاية. جـ- مرتبة الفضلة، فأخبر النبي ﷺ.

أنّه يكفي لقيمات يقمن صلبه، فلا تسقط قوّته ولا تضعف معها، فإنّ تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه، ويدع الثلث الآخر للماء والثالث للنفس، وهذا أنفع، للبدن والقلب، فإنّ البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٣٢/٤ رقم ١٧٢٢٥. وأخرجه الترمذي في أبواب: الزهد، باب: ماجاء في كراهية الأكل، صحيح سنن الترمذي-الألباني ٢/ ٢٨١ رقم ١٩٣٩ وأخرجه ابن ماجة في كتاب: الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع، صحيح سنن ابن ماجة - الألباني ٢/ ٢٣٧ رقم ٢٧٠٤.

وعرض له الكرب والتعب، وصار محمله بمنزلة حامل الثقيل، هذا إلى مايلزم ذلك من فساد القلب وكسل الجوارح عن الطاعات وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبـــع[١]

ويذكر أنّ الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين رحمه الله: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان، فقال لي عليّ: قد جمع الله الطبّ كلّه في نصف آية من كتابنا فقال له: ماهي؟ قال قوله عز وجل: ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ... ﴾[٢]

فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكمشيء من الطبّ. فقال عليّ: جمع رسول الله ﷺ الطبّ في ألفاظ يسيرة، قال : ماهي؟ قال: « المعدة بيت الأدواء، والحمية رأس كل دواء، وأعط كل جسد ماعوّدته »[٣] فقال النصراني : ما ترك كتابكم ولا نبيّكم لجالينوس طبّاً.[٤]

وقال الحارث كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء.

---

(١) الطب النبوي - ابن القيم ، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ١٧-١٨، ط١٧ مؤسسة الرسالة ، بيروت: ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٢) سورة الأعراف / الآية ٣١.

(٣) قال ابن القيم رحمه الله : ليس هذا بحديث إنّما هو من كلام الحارث بن كلدة، طبيب العرب، ولا يصحّ رفعه إلى النبيﷺ ، قاله غير واحد من أئمة الحديث.أ.هـ.

انظر: الطب النبوي - ابن القيم، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ١٠٤، الطب من الكتاب والسنة - موفق الدين عبد القادر البغدادي، تحقيق:د. عبد المعطي أمين قلعجي ١٨٦ ط دار المعرفة بيروت: ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، كشف الخفاء ومزيل الألباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس - اسماعيل العجلوني ٢/ ٢١٤ رقم ٢٣٢ ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت : سنة ١٣٥٢هـ.

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٧/ ١٩٢

وقال أيضاً : الذي قتل الربيّة وأهلك السباع في البريّة إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام. وقال ثابت البناني: بلغنا أنّ إبليس لعنه الله ظهر ليحي بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يحيى: ياإبليس ماهذه المعاليق التي أرى عليك؟ قال: هذه الشهوات التي أصيب من بني آدم. قال : فهل لي فيها شيء؟ قال ربما شبعت فثقّلناك عن الصلاة وعن الذكر، قال: فهل عليَّ غير هذا؟ قال : لا قال: لله عليَّ أن لاأملأ بطني من طعام أبداً، قال فقال إبليس : لله عليَّ أن لاأنصح مسلماً أبداً.

وقال أبو سليمان الداراني: إنّ النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورقّ، وإذا شبعت ورويت عمي القلب.

وقال أيضاً : مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع، وأصل كل خير، في الدنيا والآخرة: الخوف من الله عز وجل، وإنّ الله ليعطي الدنيا من يحبّ ومن لايحبّ، وإنّ الخالق عنده في خزائن مدّخرة فلا يعطي إلاّ من أحبّ خاصّة) [1].

ثانياً: النهي عن جماع الحائض :

نهت الشريعة عن جماع الحائض لما فيه من الأضرار البدنية والصحيّة على المتجامعين، قال تعالى ﴿ ويسألونك عن المحيض؟ قل: هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهنّ حتى يطهرن ... ﴾[2]. وقد نبّهت الشريعة قبل أكثر من أربعة عشر قرناً وأبانت أنّ جماع الحائض أذى ولذا يجب الابتعاد عنه صيانة لصلاح هذه النفس وصيانتها ووقايتها

---

(١) انظر : جامع العلوم والحكم - ابن رجب الحنبلي ٣٧١ - ٣٧٢، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض: بدون سنة طبع.

(٢) سورة البقرة / الآية ٢٢٢.

عن الأمراض، وهذا ماأبانه الطبّ الحديث، وسبب اعتزال جماع النساء في المحيض لأن الأعضاء التناسلية تكون في حالة احتقانات، والأعصاب تكون في حالة اضطراب بسبب إفراز الغدد الداخليّة، فالاختلاط الجنسي يضرّها وربّما منع نزول الحيض كما يحصل كثيراً من الاضطراب العصبي وقد يكون سبباً في التهاب الأعضاء التناسلية[1] وتحريم جماع الحائض من باب الوقاية من الأمراض لأنّ إفرازات الجسم على نوعين: نوع له فائدة في الجسم مثل الافرازات التي تساعد الهضم أو التناسل، أو إفرازات داخليّة تنظّم أجهزة الجسم وأنسجته، وهذا النوع ضروري للحياة وليس فيه ضرر.

ونوع ليس له فائدة، بل هو بالعكس يجب طرده من الجسم إلى الخارج وهو مكوّن من مواد سامّة إذا بقيت في الجسم أضرّت به، وذلك مثل البول والبراز والعرق والحيض، وتحريم الشريعة لوط الحائض معجزة علميّة لأنها علّمت الانسان قبل أن يعرف شيئاً من أنواع الإفرازات، والجماع على هذا الشكل ضارٌ بالزوج والزوجة كليهما، فهذا الدم الفاسد يحوي ميكروبات عديدة وجراثيم متنوعة لاتلبث أن تصيب الرجل فتحدث له الالتهابات، كما أنّه في زمن الحيض تحتقن أغشية المرأة الداخليّة وفي المخالطة قد يحدث لها التمزيق فتنتشر العدوى من الميكروبات الموجودة، وتنتقل من مكان الرحم إلى أمكنة أبعد مما يؤثر في صحة المرأة ويضرّها، كما أنّ الاختلاط ربّما منع نزول الحيض، كما يسبّب كثيراً من الاضطراب العصبي[2].

---

(١) حكمة التشريع وفلسفته - علي الجرجاوي ٢/٣٩-٤٠.

(٢) روح الدين الإسلامي - عفيف طبّارة ٤٤٤.

يُقذف الغشاء المبطن للرحم بأكمله أثناء الحيض .. وبفحص دم المحيض تحت المجهر نجد بالإضافة إلى كرات الدم الحمراء والبيضاء قطعاً من الغشاء المبطن للرحم.. ويكون الرحم متقرّحاً نتيجة لذلك.. تماماً كما يكون الجلد مسلوخاً، فهو معرض بسهولة لعدوان البكتيريا الكاسح، ومن المعلوم طبياً أنّ الدم هو خير بيئة لتكاثر الميكروبات ونموّها، وتقل مقاومة الرحم للميكروبات الغازية نتيجة لذلك ويصبح دخول الميكروبات الموجودة على سطح القضيب يشكل خطراً داهماً على الرحم، ومما يزيد الطين بلّة أن مقاومة المهبل لغزو البكتيريا تكون في أدنى مستواها أثناء الحيض إذ يقلّ إفراز المهبل الحامض الذي يقتل الميكروبات، ويصبح الإفراز أقلّ حموضة إن لم يكن قلوي التفاعل، كما تقل المواد المطهّرة الموجودة بالمهبل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى لها، ليس ذلك فحسب ولكن جدار المهبل المكوّن من عدة طبقات من الخلايا يرقّ أثناء الحيض ويصبح جداره رقيقاً ومكوناً من طبقة رقيقة من الخلايا بدلاً من الطبقات العديدة التي نراها في أوقات الطهر، وخاصة في وسط الدورة الشهريّة حيث يستعدّ الجسم بأكمله للقاء الزوج، ولهذا فإن إدخال القضيب في الفرج والمهبل في أثناء الحيض ليس إلاّ إدخال للميكروبات في وقت لاتستطيع فيه أجهزة الدفاع أن تقاوم، كما أن وجود الدم في المهبل والرحم لمما يساعد في نمو تلك الميكروبات وتكاثرها.

ومن المعلوم أنّ على جلد القضيب ميكروبات عديدة، ولكن الموادّ المطهّرة والإفراز الحامض للمهبل تقتلها أثناء الطهر، أمّا أثناء الحيض فأجهزة الدفاع مشلولة والبيئة الصالحة لتكاثر الميكروبات متوفّرة، ولا يقتصر الأذى على ماذكرناه من نموّ الميكروبات في الرحم والمهبل مّما يسبب التهاب الرحم والمهبل والذي كثيراً مايصعب علاجه ولكن يتعداه

إلى أشياء أخرى نوجزها فيما يلي:

١- تمتد التهابات إلى قناتي الرحم فتسدّها أو تؤثر على شعيراتها الداخليّة التي لها دور كبير في دفع البويضة من المبيض إلى الرحم، وذلك يؤدي إلى العقم أو إلى الحمل خارج الرحم، وهو أخطر أنواع الحمل على الإطلاق، ويكون الحمل عندئذ في قناة الرحم الضيقة ذاتها، وسرعان ماينمو الجنين وينهش في جدار القناة الرقيق حتى تنفجر القناة الرحميّة فتنفجر الدماء أنهاراً إلى أقتاب البطن، وإن لم تتدارك الأم في الحال بإجراء عمليّة جراحيّة سريعة فإنّها لاشكّ تلاقي حتفها.

٢- يمتد الإلتهاب إلى قناة مجرى البول، فالمثانة فالحالبين، فالكلى، وأمراض الجهاز البولي خطيرة ومزمنة .

٣- تقلّ الرغبة الجنسيّة لدى المرأة وخاصة عند بداية الحيض وهو أمرٌ فسيولوجي وطبيعي إذ أن فترة الحيض هي فترة نزيف دموي من قعر الرحم وتكون الأجهزة التناسليّة بأكملها في حالة شبه مرضيّة، فالجماع في هذه الآونة ليس طبيعياً ولا يؤدي أي وظيفة بل على العكس يؤدي إلى كثير من الأذى.

٤- رغم أنّ الحيض عملية فسيولوجية (طبيعية) بحتة فإن استمرار فقدان الدم كل شهر يسبب نوعاً من فقر الدم لدى المرأة، وخاصة إذا كان الحيض شديداً غزيراً في كميّته.

٥- تزداد شراسة الميكروبات في دم الحيض وخاصة ميكروب السيلان.

٦- تصاب الغدد الصماء بالتغيّر أثناء الحيض فتقلّ إفرازاتها الحيويّة الهامّة للجسم إلى أدنى مستوى لها أثناء الحيض.

٧- الوطء في الحيض لايمكن مطلقاً أن ينتج حملاً، ذلك لأن خروج البويضة لايمكن أن يتمّ أثناء الحيض بل يكون خروج البويضة قبل الحيض بأسبوعين كاملين تقريباً، ففترة التلقيح والأخصاب بعيدة كلّ البعد عن الحيض، ولذا فلا يمكن أن يؤدي الجماع في الحيض إلى الوظيفة المطلوبة منه، ولا يمكن انتظار الولد من وطء الحيض مطلقاً.

٨- لايقتصر الأذى على الحائض في وطئها وإنّما ينتقل الأذى إلى الرجل الذي وطئها أيضاً.

فإدخال القضيب إلى المهبل المليء بالدماء يؤدي إلى تكاثر الميكروبات والتهاب قناة مجرى البول لدى الرجل، وتنمو الميكروبات السبحيّة والعنقوديّة على وجه الخصوص في مثل هذه البيئة الدمويّة.[١]".

(١) للاستزادة انظر : خلق الإنسان بين الطب والقرآن - د. محمد علي البار ١٠١-١٠٧.

ثالثاً: الأمر بغمس الذباب إذا وقع في إناء الطعام أو الشراب:

جاءت شريعة الإسلام بالأمر بغمس الذباب إذا وقع في الإناء، لأنّ في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء، وصدّق العلم الحديث هذه الحقيقة التي أمر بها الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمن، ونادى بصوابها. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: ﴿ إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كلّه ، ثمّ ليطرحه ، فإنّ في إحدى جناحيه داء وفي الآخر شفاء ﴾[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله سمّى الذباب ذباباً لكثرة حركته واضطرابه، ويتوالد الذباب من العفونة بل منها خلقه وتوالده ثم تكاثره بعد ذلك ، وهو من أكثر الطيور سفاداً،

---

(١) أخرجه الأمام أحمد في المسند ٢/٢٢٩ - ٢٣٠ رقم ٧١٤١، وقال أحمد شاكر: اسناده صحيح ١٢/١٢٣ رقم ٧١٤١ ط٣ دار المعارف للطباعة النشر بمصر ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م.
وأخرجه في ٢/٢٤٦٢ رقم ٧٣٥٣، وقال أحمد شاكر: اسناده صحيح ١٣/٨٨ رقم ٧٣٥٣
وأخرجه في ٢/٢٦٣ رقم ٧٥٦٢، وقال أحمد شاكر: اسناده ضعيف لأنقطاعه ١٤/٨ رقم ٧٥٦٢.
وأخرجه في ٢/٣٤٠ رقم ٨٤٦٦، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ١٦/٢٠٣ رقم ٨٤٦٦.
وأخرجه في ٢/٣٥٥ رقم ٨٦٤٢، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ١٦/٢٦٩ رقم ٨٦٤٢.
وأخرجه في ٢/٣٨٨ رقم ٩٠٢٤، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ١٧/١١٥ رقم ٩٠٢٤.
وأخرجه في ٢/٣٩٨ رقم ٩١٥٧، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح ١٨/٧ رقم ٩١٥٧.
وأخرجه في ٢/٤٤٣ رقم ٩٧١٩، وقال أحمد شاكر: إسناده ضعيف ١٩/١٣ رقم ٩٧١٩.
وأخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه فإنّ في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء ٦/٣٥٩ رقم ٣٣٢٠ وأخرجه في كتاب: الطب، باب: إذا وقع الذباب في الإناء ١٠/٢٥٠ رقم ٥٧٨٢. وأخرجه ابوداود في كتاب: الاطعمة، باب: في الذباب يقع في الطعام، صحيح سنن أبي داود - الألباني ٢/٧٢٨-٧٢٩ رقم ٣٢٥٥، وأخرجه النسائي في كتاب: الفرع والعتيرة، باب: الذباب يقع في الإناء، صحيح سنن النسائي - الألباني ٣/٨٩٢ رقم ٣٩٧٤، وأخرجه ابن ماجة في كتاب الطب، باب الذباب يقع في الإناء، صحيح سنن ابن ماجة - الألباني ٢/٢٦٤ رقم ٢٨٢٤ وأخرجه الدارمي في كتاب: الأطعمة، باب: الذباب يقع في الطعام ٢/٩٨-٩٩.

وربّما بقي عامة اليوم على الأنثى، ويحكى أنّ بعض الخلفاء سأل الشافعي: لأيّ علّة خلق الذباب؟ فقال مذلّة للملوك. وكانت ألحّت عليه ذبابة، فقال الشافعي: سألني ولم يكن عندي جواب فاستنبطته من الهيئة الحاصلة. وقال أبو محمد المالقي: ذباب الناس يتولدّ من الزبل.

وفي الحديث إرشاد من النبي ﷺ. لمقابلة الداء بالدواء. ولم يعيّن في الحديث الجناح الذي فيه الشفاء لكن ذكر بعض العلماء أنه تأمّله فوجده: يتقي بجناحه الأيسر فعرف أنّ الأيمن هو الذي فيه الشفاء، والمناسبة في ذلك ظاهرة.

وقال الخطّابي: تكلّم على هذا الحديث من لاخلاق له فقال: كيف يجتمع الشفاء والداء في جناحي ذباب. وهذا سؤال جاهل أو يتجاهل، فإنّ كثيراً من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة ، وقد ألّف الله بينها وقهرها على الإجتماع وجعل منها قوى الحيوان، وإنّ الذي ألهم النحلة على إتخاذ البيت العجيب الصنعة للتعسيل فيه، وألهم النملة أن تدّخر قوتها أوان حاجتها ، وأن تكسر الحبة نصفين لئلا تستنبت لقادر على إلهام الذبابة أن تقدّم جناحاً وتؤخّر آخر.

وقال ابن الجوزي: إنّ النحلة تعسل من أعلاها وتلقي السمّ من أسفلها ، والحيّة القاتل سمّها تدخل لحومها في الترياق الذي يعالج به السمّ. والذبابة تسحق مع الأثمد لجلاء البصر[1] وهل الذباب في ذلك إلاّ بمنزلة الحيّة. فإنّ الأطباء يذكرون أنّ لحمها شفاء من سمّها ، إذا عمل منه الترياق الأكبر، ونافع من لدغ العقارب وعضّ الكلاب الكَلِبة، والأطباء القدماء يزعمون أنّ الذباب إذا ألقي في الإثمد وسحق معه ثمّ اكتحل به زاد ذلك في نور البصر، وشدّ مراكز الشعر من الأجفان في حافات الجفون[2] وفي الذباب قوّة سُميّة يدلّ عليها

---

(١) فتح الباري - ابن حجر ١٠/ ٢٥٠ - ٢٥٢ بتصرف.

(٢) تأويل مختلف الحديث - عبد الله بن مسلم بن قتيبة - صححه وضبطه: محمد زهدي النجار ص ٢٣٠ ط دار الجيل، بيروت ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

الورم والحكّة العارضة عن لسعة وهي بمنزلة السلاح. فإذا سقط فيما يؤذيه به: اتقاه بسلاحه. فأمر النبي ﷺ أن يقابل تلك السميّة بما أودعه الله سبحانه في جناحه الآخر من الشفاء، فيغمس كلّه في الماء والطعام، فيقابل المادّة النافعة، فيزول ضررها وهذا طبٌّ لايهتدي إليه إلاّ كبار الأطباء وأئمتهم، بل هو خارج من مشكاة النبّوة، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفّق، يخضع لهذا العلاج، ويقرٌّ لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنّه مؤيّدٌ بوحي إلهي خارج عن القوى البشريّة.

وقد ذكر غير واحد من الأطباء: أنّ لسع الزّنبور والعقرب إذا دُلّك موضعه بالذباب: نفع منه نفعاً بيّناً وسكنّه. وماذاك إلاّ للمادّة التي فيه من الشفاء. وإذا دلك به الورم الذي يخرج في شعر العين، المسمّى شعرة-بعد قطع رؤوس الذباب-أبرأه والذباب ينقل أمراضاً عديدة من أبرزها:

١- ينقل التيفود، والباراتيفود، والكوليرا، الديزنتري بنوعيها، التراخوما، السل، شلل الأطفال، الكزاز.

٢- ينقل داء الليشمانيات وهي: القرحة الشرقيّة، الكالازار، والأسندية، وهو عامل في نقل داء المذنبات الملتحية.

٣- مرض النوم المنتشر في أفريقيا. ٤- مرض التدوير الذي يصيب أيّ جزء من الجسم[1].

وحديث الذبابة المتقدمّ ذكر قضيتين كلتاها لم تكن معروفة قديماً.

أولاهما: أنّ الذباب ناقل داء، وهذا شيء أصبح الأن معروفاً لدى الجميع أنّ الذباب ناقلُ جراثيم ممتاز.

---

(١) انظر: الطب النبوي- ابن القيم، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ١١١-١١٢ ط١٧ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩١م، الطب من الكتاب والسنة – موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي ١٠٥-١٠٧ ط١ دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

والثانية: وهي التي يجهلها الكثير أنّ الذباب يحمل مضادات للجراثيم من النوع الممتاز كذلك ، وهذا تحقيق كتبه الدكتور، عزّ الدين جوالة حول هذا الموضوع ننقل منه مايلزمنا هنا. يقول: قبل الخوض في هذا الموضوع لنتذكّر مايلي:

١- من المعروف منذ القديم أنّ بعض المؤذيات يكون في سمّها نفع ودواء، فقد يجتمع الضدّان في حيوان واحد، فالعقرب في إبرتها سمّ نافع، وقد يداوى سمها بجزء منها، وفي ذلك يقول العلماء: «وقد وجدنا لكون أحد جناحي الذباب داء والآخر شفاء ودواء فيما أقامه الله من عجائب خلقه وبدائع فطرته شواهد ونظائر، منها النحلة يخرج من بطنها شراب نافع ويكمن في إبرتها السمّ الناقع، والعقرب تهيج الداء بإبرتها ويتداوى من ذلك بجرمها».

٢- وفي الطبّ: يُحضّر لقاح من ذبيب الأفاعي والحشرات السامّة، يُحقن به لديغ العقرب أو لديغ الأفعى، بل وينفع في تخفيف الآم السرطان أيضاً.

٣- إنّ الطبّ الحديث استخدم من مواد مستقذرة أدوية حيويّة قلبت فنّ المعالجة رأساً على عقب. فالبنسلين استخرج من العفن، والستربتومايسين من تراب المقابر ... الخ. أو بمعنى أدقّ من طفيليات العفن وجراثيم تراب المقابر، أما والحالة كذلك ، فهل يمنع عقلاً ونظرياً أن يكون في الذباب هذه الحشرة القذرة والتي تنقل القذر طفيليّ أو جرثوم يخرج أو يحمل دواء يقتل هذا الداء الذي تحمله.

٤- من المعروف في فنّ الجراثيم، أنّ للجرثوم ذيفان (مادة منفصلة عن الجرثوم) وأنّ هذا الذيفان إذا دخل بدن الحيوان كوّن البدن أجساماً ضدّ الذيفان، لها قدرة على تخريب الذيفان والتهام الجراثيم تسمى مبيدات الجراثيم. فهل يستبعد القول بأنّ الذباب تلتهم الجراثيم فيما تلتهم، فيكون في جسم الذباب الأجسام الضديّة المبيدة للجراثيم والتي مرّ ذكرها، ولها القدرة على الفتك بالجراثيم الممرضة التي ينقل الذباب

إلى الطعام والشراب، فإذا وقعت في الطعام فما علينا إلاّ أن نغمس الذبابة فيه فتخرج تلك الأجسام الضديّة فتبيد الجراثيم، التي تنقلها وتقضي على الأمراض التي تحملها"[1]. وقد قام بعض الأطباء المسلمين بإجراء تحقيق علمي للحقيقة العلميّة التي أشار إليها الحديث المتقدمّ وهما: الدكتور/محمود كمال والدكتور/محمد عبد المنعم حسين، ومما ذكرا مايلي:

١- جاء في المراجع العلمية أن الأستاذ الألماني «بريفيلد» من جامعة هال بألمانيا الشرقيّة وجد في عام ١٨٧١م أنّ الذبابة المنزليّة مصابة بطفيلي من جنس الفطريات، ويقضي هذا الفطر حياته في الطبقة الدهنيّة، داخل بطن الذبابة على شكل خلايا خميرة مستديرة ثمّ يستطيل، ويخرج على نطاق البطن بواسطة الفتحات التنفسية، أو من بين المفاصل البطنيّة وفي هذه الحالة يصبح خارج جسم الذبابة، وهذا الشكل يمثل الدور التناسلي لهذا الفطر. وتتجمّع بذور الفطر في داخل الخليّة إلى قوّة معينّة، تمكن الخليّة من الإنفجار، وإطلاق البذور خارجها، وهذا سيكون من الخليّة بواسطة انفجار الخليّة، واندفاع السائل على هيئة رشاش.

ويوجد دائماً حول الذبابة الميتة والمتروكة على الزجاج مجال من البذور لهذا الفطر، ورؤوس الخلية المستطيلة التي يخرج منها البذور موجودة حول القسم الثالث والأخير من الذبابة، على بطنها وظهرها، وهذا القسم الثالث والأخير من الذبابة يكون دائماً مرتفعاً، عندما تقف الذبابة على أي مسند، لتحفظ توازنها واستعدادها للطيران.

٢- وفي وقت الإنفجار يخرج من السائل والبذور، جزءٌ من «السيتوبلازم» من الفطر كما ذكر الأستاذ: «لانجيرون» أكبر الأساتذة في علم الفطريات في عام ١٩٤٥م أنّ هذه الفطريات - كما ذكرنا-لتعيش في شكل خميرة مستديرة، داخل أنسجة الذبابة، وهي

---

(١) انظر: كتاب الرسول ﷺ - سعيد حوى ٣٦/١-٣٧.

تفرز «أنزيمات» قويّة، تحللّ وتذيب أجزاء الحشرة الحاملة للمرض.

٣- ومن جهة أخرى تم في سنة ١٩٤٧م عزل مادة مضادة للحيويّة بواسطة «آرنشتين، وكوك» من أنكلترا و«روليوس» من سويسرا في سنة ١٩٥٠م تسمى «جافاسين» من فطر من نفس الفصيلة التي ذكرناها والتي تعيش في الذبابة. وهذه المادة المضادة للحيويّة، تقتل جراثيم مختلفة من بينها «جراثيم السالبة والموجبة» لصبغة جرام وجراثيم «الدوسنتاريا والتيفوئيد».

٤- وفي سنة ١٩٤٧م عزل «موفتيش» مواد مضادة للحيويّة من مزرعة النظريات الموجودة على جسم الذبابة، ووجد أنّها ذات مفعول قويّ في بعض الجراثيم السالبة لصبغة جرام، مثل جراثيم التيفوئيد والدوسنتاريا ومايشبها. وبالبحث عن فائدة هذه الفطريات لمقاومة الجراثيم التي تسببّ أمراض الحميات التي يلزمها وقت قصير للحضانة وجد أنّ (واحد جرام) من هذه المواد المضادة للحيويّة، يمكن أن يحفظ أكثر من (١٠٠٠) لتر من لبن من التلّوث من الجراثيم المرضية المذكورة. وهذا أكبر دليل على القوّة الشديدة لمفعول هذه المواد.

٥- وفي سنة ١٩٤٨م عزل «بريان وكورتيس، وهيمنج، وجيفيريس، وما كجوان» من بريطانيا مادة مضادة للحيويّة تسمى: «كلوتينزين» من فطريات من نفس فصيلة الفطر الذي يعيش في الذبابة، وتؤثر عليه جراثيم السالبة لصبغة جرام، من بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفوئيد.

٦- وفي سنة ١٩٤٩م عزل «كوكس، وفارمر» من انكلترا و «جرمان، وروت، واتلنجر، ويلاتز» من سويسرا مادّة مضادة للحيويّة تسمى أنياتين من فطريات من نفس الفطر الذي يعيش في الذبابة تؤثر بقوة شديدة على جراثيم جرام موجب وجرام سالب وعلى بعض فطريات أخرى، ومن بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفوئيد والكلوليرا. ويتابع الدكتوران محمود كمال ومحمد عبد المنعم حسين فيقولان: أمّا بخصوص تلوّث الذباب

بالجراثيم المرضيّة كجراثيم الكوليرا والدوسنتاريا وغيرها، والتي ينقلها الذباب من المجاري والفضلات أو البراز من المرضى وهي الأماكن التي يرتادها الذباب بكثرة، فمكان هذه الجراثيم يكون على أطراف أرجل الذبابة أو في برازها، فإذا وقعت الذبابة على الأكل أو الشرب فإنّها ستلمس الغذاء أو الشراب بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضيّة: التيفوئيد أو الكوليرا أو الدوسنتاريا أو غيرها وإذا تبرزّت على الغذاء سيلوّث الغذاء أيضاً، أمّا الفطريات التي تفرز المواد المضادّة للحيويّة، والتي تقتل الجراثيم المرضيّة الموجودة في براز الذبابة أو في أرجلها، فتوجد على بطن الذبابة ولاتطلق مع سائل الخليّة المستطيلة من الفطريات، والمحتوي على المواد المضادّة للحيويّة إلاّ بعد أن يلمسها السائل الذي يزيد الضغط الداخلي لسائل الخليّة، ويسبب إنفجار الخليّة المستطيلة، واندفاع البذور والسائل، وبذلك يحقّق العلماء بإبحاثهم تفسير الحديث النبوي المتقدّم الذي يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلّها في السائل أو الغذاء، إذا وقعت عليه لإفساد الجراثيم المرضيّة التي نقلتها بأرجلها أو ببرازها"[1]. إنّ شريعة الإسلام لم تأمر بأمر إلاّ وفي الأخذ به سعادة الإنسان، ولم تنه عن أمر إلاّ وفي تركه حياة للإنسان، ففي الحديث المتقدم، أبان الرسول ﷺ تلك الحقيقة العلميّة والتي هي في صالح هذا الإنسان ولم يكشف عنها العلم الحديث إلاّ بعد قرون متباعدة ﴿ومانيطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى ﴾[2].

فإنّ محمداً ﷺ لاينطق إلاّ بالوحي، ومادام الأمر كذلك فإنه لن ينطق إلاّ بما فيه الخير والسعادة للبشر، يوجّه حياتهم لفعل الخير واجتناب الشرّ، بل إنّ المصطفى ﷺ

---

(١) أنظر: الأصحابة في صحة حيث الذبابة - د. خليل ابراهيم ملاّ خاطر ١٥٣ - ١٥٧ ط١ دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة ١٤٠٥هـ رحلة الإيمان في جسم الإنسان - د. حامد أحمد حامد ٢٢٠. قضايا وحقائق علمية في إثبات نبوة سيد البشرية محمد ﷺ - رياض مصطفى عبد الله ص٥٣ ومابعدها ط١ المكتبه التجارية مكة المكرمه ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

(٢) سورة النجم / الآية ٣-٤.

كان يتولى تعليم أصحابه كل شيء هم بحاجة إليه فعلاً أو تركاً، ومن ذلك مارواه سلمان الفارسي رضي الله عنه قال له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخِراءة، قال أجل)[1].

رابعاً: الأمر بغسل الإناء وتطهيره إذا ولغ الكلب فيه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنّ رسول الله ﷺ: (إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً).[2]

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب: الإستطابة ١/٢٢٣ رقم ٢٦٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٤٦٠ رقم ٩٩٣١، وقال: أحمد شاكر: إسناده صحيح ١٩/٧٨ رقم ٣٩٣١.

وأخرجه البخاري في كتاب: الوضوء، باب: الماء الذي يغسل به شعر الإنسان ١/ ٢٧٤ رقم ١٧٢.

وأخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب: حكم ولوغ الكلب ١/ ٢٣٤ رقم ٢٧٩.

وأخرجه النسائي في كتاب: الطهارة، باب: سؤر الكلب، صحيح سنن النسائي - الألباني ١/ ١٥ رقم ٦٢.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول ﷺ: (إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثمّ ليغسله سبع مرار)[١]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهنّ بالتراب).[٢]

---

(١) أخرجة الإمام أحمد في المسند ٢/٢٥٣ رقم ٧٤٤٠، وقال أحمد شاكر: إسنادة صحيح ١٣/١٨٤ رقم ٧٤٤٠.
وأخرجه أيضاً في ٢/٢٦٥ رقم ٧٥٩٣، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ١٤/٣٦ رقم ٧٥٩٣.
وأخرجه ايضاً في ٢/٢٧١ رقم ٧٦٥٩، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ١٤/٨٩ رقم ٧٦٥٩.
وأخرجه أيضاً في ٢/٣٦٠ رقم ٨٧١٠، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ١٦/٢٩٥ رقم ٨٧١٠.
فأخرجه أيضاً في ٢/٣٩٨ رقم ٩١٥٨، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ١٨/٧ رقم ٩١٥٨.
وأخرجه أيضاً في ٢/٤٢٤ رقم ٩٤٧٩، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح ١٨/١٣٤ رقم ٩٤٧٩
وأخرجة أيضاً في ٢/٤٨٠ رقم ١٠٢٢٥، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ٢٠/٢٢ رقم ١٠٢٢٥.
وأخرجه أيضاً في ٢/٤٨٢ رقم ١٠٢٥٧، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ٢٠/٣٤ رقم ١٠٢٥٧.
وأخرجه أيضاً في ٢/٥٠٨ رقم ١٠٦٠٣، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ٢٠/ ١٥٤ رقم ١٠٦٠٣.
وأخرجه مسلم في كتاب: الطهارة ، باب: حكم ولوغ الكلب ١/٢٣٤ رقم ٢٧٩.
وأخرجه النسائي في كتاب المياه، باب سؤر الكلب، صحيح سنن النسائي - الألباني ١/٧٢ رقم ٣٢٤
وفي باب تعفير الإناء بالتراب من ولوغ الكلب فيه ١/٧٢ رقم ٣٢٧، ١/٧٣ رقم ٣٢٨
وللإستزادة انظر إرواء الغليل في تخرج أحاديث منار السبيل - محمد ناصر الدين الألباني١/٦٠، ١/١٨٨ ط١ المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٣١٤ رقم ٨١٣٣، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح ١٦/٤٩ رقم ٨١٣٣ وأخرجه أيضاً في ٢/٤٢٧ رقم ٩٥٠٧، وقال أحمد شاكر أسناده صحيح ١٨/١٤٥ رقم ٩٥٠٧ وأخرجه مسلم في كتاب : الطهارة ، باب: حكم ولوغ الكلب ١/٢٣٤ رقم ٢٧٩. وأخرجه أبوداود في كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بسؤر الكلب، صحيح سنن أبي داود - الألباني ١/١٦-١٧ رقم ٦٤.

وعن عبد الله بن مغفّل رضي الله عنه قال أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، ثمّ قال: (مالهم ولها. فرخّص في كلب الصيد، وفي كلب الغنم وقال: إذا ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرات وعفرّوه الثامنة بالتراب).[١]

ولوغ الكلب: أي شربه بطرف لسانه.[٢]

وفي هذا الحديث النبوي إشارة إلى مايحمله لسان الكلب من الجراثيم والميكروبات الضارّة والتي سيخلفها في الإناء عند ولوغه أو شربه فيه أومنه، ولذا كان الأمر بإراقته دليلٌ على نجاسته، فلوكان طاهراً لم يأمر النبي ﷺ بإراقته للنهي عن إضاعة المال، ثمّ كان الأمر بغسله لإزالة نجاسته[٣] ومعنى الغسل بالتراب أن يخلط التراب في الماء حتى يتكدّر، ولافرق بين أن يطرح الماء على التراب، أو التراب على الماء، أو يأخذ الماء الكدر فيغسل به، ويستحب أن يكون التراب في غير الغسلة الأخيرة ليأتي عليه ماينظفه، والأفضل أن يكون في الأولى[٤]

وسمّية الكلب تسري في لعابه، فإذا ولغ في الإناء سرى فيه من تلك اللعابيّة ولذا أمر ﷺ بغسيل الإناء من ولوغ الكلب، والمراد: كل كلب، سداً لذريعة وشفقة منه على أمّته[٥]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/٨٦ رقم ١٦٨٣٨، وأخرجه أيضاً في ٥/٥٦ رقم ٢٠٥٨٥ وأخرجه ابوداود في كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بسؤر الكلب، صحيح سنن أبي داود - الألباني ١/١٧ رقم ٦٧ وأخرجه النسائي في كتاب: المياه، باب: تعفير الإناء بالتراب من ولوغ الكلب فيه، صحيح سنن النسائي - الألباني ١/٧٢ رقم ٣٢٥.

(٢) مختار الصحاح - الرازي ٧٣٤.

(٣) انظر: فتح الباري -ابن حجر ١/٢٧٥ ومابعدها.

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٣/١٨٦.

(٥) الطب من الكتاب والسنة - موفق الدين عبد اللطيف البغدادي - تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ٢١٣.

وقد أثبت الطب الحديث مانطق به المعصوم ﷺ فإنّ الكلب له دور كبير في نقل بعض الإمراض إلى الإنسان، وقد أصبح معروفاً أنّ الكلب ينقل حوالي (١٣) مرضاً للإنسان أشهرها على الإطلاق: الكيسة العداريّة التي تتسبّب فيها دودة صغيرة لايزيد طولها عن (٤-٥) مليمتراً وتسكن أمعاء الكلب بإعداد كبيرة تصل إلى (٥٠٠٠٠) وعندما تخترق الأجنّة جدران الأمعاء بالإنسان المصاب فإنّها تأخذ طريقها في اتجاه الكبد والرئة والمخ وغيرها من أعضاء الجسم، ثمّ تتحوصل داخل هذه الأعضاء وتتكوّن الأكياس العداريّة التي تحتوي داخلها على سائل خاص يؤدي تسرّبه تلقائيًا، أو نتيجة حادث تصادم، أو أثناء الاستئصال الجراحي إلى صدمة دورانيّة حادّة مهدّدة حياة المريض.[1]

وقد نشر الدكتور «جرادفنتسر» في مجلة «كوسموس» الألمانيّة مقالاً تحت عنوان: الأخطار التي تنشأ عن اقتناء الكلاب والاقتراب منها. جاء فيه:

«إنّ ازدياد شغف الناس بالكلاب في هذا العهد الأخير، يضطرنا إلى لفت الأنظار للأخطار التي تنجم عن ذلك وخاصة إذا دفع اقتناؤها إلى مداعبتها وتقبيلها، والسماح لها بلحس الأيدي وتركها تلعق فضلات الطعام من أوانيها[2] فكل ماذكر مع بعده عن الذوق السليم، ومنافاته للآداب، لايتفق وقوانين الصحّة العامّة. فإن الأخطار التي تهدّد صحة الإنسان وحياته بسبب هذا التسامح لايستهان بها، فإنّ الكلاب تصاب بدودة شريطيّة تتعداها إلى الإنسان وتصيبه بأمراض عضالة قد تصل إلى حدّ العدوان على حياته. وقد ثبت علميًا أنّ جميع أجناس الكلاب حتى أصغرها حجماً لاتسلم من الإصابة بهذه الديدان الشريطيّة. وقد رؤي في إقليم «فريز لنده بهولندة» حيث تستخدم الكلاب في الجرّ، أنّ في

---

(١) رحلة الإيمان في جسم الإنسان- د. حامد أحمد حامد ٣٥٠ .

(٢) هذه حياة الكثيرين في الدول الغربيّة مع الطلاب بل هناك صور عجيبة تستخدم مع الكلاب في المجتمع الأوربي وعلى رأسها إقامة نوع من العلاقة الجنسيّة مع الكلاب وخاصة مع العجائز من النساء.

كل (مائة) منها (١٢) إصابة. ووجد في «إسلانده» (شخص) مصاب بهذه الآفة في كل (٤٣) شخصاً من أهاليها.

وشواهد أنّ هذه النسبة تزيد في «استراليا» إذ ثبت وجود (شخص) في كل (٣٩) شخصاً من سكانها مصاباً بها. وثبت كذلك أنّها كانت سبباً مباشراً للكثير من الأمراض في الأقطار الأخرى.

وإنّ من كشوفات عصرنا استخراج كثير من مبيدات الجراثيم من التراب وخاصة تراب المقابر، لأنّه أكثر من غيره تلوثاً، فمثلاً: الستربتومايسين، والتتراسكلين ، والنيوماسين، وكلهّا من مبيدات الجراثيم استفيد من التراب في استخراجها لوجود: ذيفان في جراثيمه يقضي على أنواع من الجراثيم الأخرى.[1]

ومن أمراض الكلاب التي تحدثها: مرض الجرب، ومنها داء الكلب، وهو داء خطير، ينتقل إلى الإنسان والحيوان ومنها المرض الشديد الخطورة المسمى [كيست ايداتيك] هذا المرض يتولد بدخول بيوض الدودة المسامة: [تينيا اكيناكوكس] وتوجد هذه الدودة بكثرة في أمعاء، يوزعها في كل ناحية بواسطة برازه في البيوت، والأزقّة، وفي الحقول على الخضار. وينتقل هذا المرض إلى الإنسان بلحس الكلب وعاء الطعام أو بشربه من إناء الماء، وهذه البيوض التي تنتقل من فم الكلب وأنفه إلى الإنسان صغيرة جدّاً لاترى بالعين المجردة، وهي تشكل في كبد الإنسان، أورثتيه أكياساً صغيرة تستقّر البيوض فيها. وإنّ استئصال هذه الأكياس يحتاج إلى إجراء عمليّة جراحيّة خطيرة جداً، ولقد أثبت العالم «نوكارد» بأنّ مرض السلّ ينتقل من الكلب إلى الإنسان وبالعكس، ويكون السلّ على الأغلب في كلاب المدن، ولكن يعظم الخطر بصورة مباشرة إذا لحس الأشياء الملوثّة بمكروب هذا المرض الخبيث[2]

---

(١) أنظر كتاب الرسول ﷺ - سعيد حوى ١/٤٥-٤٦.

(٢) معالم القرآن في عوالم الأكوان - أحمد محي الدين العجوز ٢٩٧.

ولذا جاءت شريعة الإسلام بالدعوة إلى ضرورة تطهير الإناء إذا ولغ الكلب فيه وتعقيمه بالتراب ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ﴾ [1]

خامساً: الأمر بالختان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال الفطرة خمس (أوخمس من الفطرة) الختان والإستحداد وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقصّ الشارب)[2]

وقد وافقت شريعة الإسلام الشرائع السماوية السابقة في الأمر بالختان فعن أبي أيوب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (أربع من سنن المرسلين الحياء والتعطر والسواك والنكاح)[3] واختلف في ضبطه، فقال بعضهم: الحياء بالياء والمد، وقال بعضه: الحناء بالنون. قال ابن القيم رحمه الله: سمعت شيخنا أبا الحجاج الحافظ المزيّ يقول : وكلاهما غلط، وإنّما هو الختان فوقعت النون في الهامش، فذهبت ، فاختلف في اللفظة، قال وكذلك رواه المحاملي عن الشيخ الذي روى عنه الترمذي بعينه، فقال : الختان، قال هذا أولى من الحياءوالحناء، فإنّ الحياء خلق ، والحناء ليست من السنن ولاذكره النبي ﷺ في خصال الفطرة، ولاندب إليه بخلاف الختان[4]

---

(١) سورة الحشر آية ٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: اللباس، باب: قص الشارب ٣٣٤/١٠ رقم ٥٨٨٩ وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: الطهارة، باب: خصال الفطرة ٢٢١/١ رقم ٢٥٧ وأخرجه الترمذي في أبواب: الأستئذان، باب: ماجاء في تقليم الأظفار صحيح سنن الترمذي - الألباني ٣٥٧/٢ رقم ٢٢١٣، قال النووي: ذهب أكثر العلماء على أنّ المراد بالفطرة هي السنّة وقيل هي الدين، والإستحداد: حلق العانة انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٨/٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٢١/٥ رقم ٢٣٦٢٨، وأخرجه الترمزي في ابواب النكاح باب ماجاء في فضل التزويج والحث عليه، ضعيف سنن الترمذي - الألباني ص ١٢٢ رقم ١٨٤.

(٤) أنظر تحفة المودود في أحكام المولود - ابن القيم ، تحقيق : د. عبد الغفار البنداري ١٤٣.

وقد أختتن ابراهيم ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اختتن ابراهيم، النبيّ عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم)[1] والختان كان من الخصال التي ابتلى الله سبحانه بها ابراهيم ﷺ فأتمهن وأكملهن، فجعله إماماً للناس، وقد أستمّر الختان بعده في الرسل وأتباعهم حتى في المسيح عيسى بن مريم ﷺ فإنّه اختتن ، والنصارى تقرّ بذلك ولاتجحده كما تقرّ بأنه حرّم لحم الخنزير وحرم كسب السبت، وصلّى إلى الصخرة[2]

حكمة الختان وفوائده:

١- الختان من محاسن الشرائع التي شرعها الله سبحانه لعباده، وكمل بها محاسنهم الظاهرة والباطنة فهو مكملّ للفطرة التي فطرهم عليها ، ولهذا كان من تمام الحنيفيّة ملّة ابراهيم ﷺ ، وأصل مشروعية الختان لتكميل الحنيفيّة، فإن الله عز وجل لما عاهد ابراهيم ووعده أن يجعله للناس إماماً، وعده أن يكون أباً لشعوب كثيرة وأن تكون الأنبياء والملوك من صلبه، وأن يكثر نسله، وأخبره أنه جاعل بينه وبين نسله علامة العهد أن يختتنوا كل مولود منهم، ويكون عهدي هذا ميسماً في أجسادهم، فالختان علَم للدخول في ملّة ابراهيم ﷺ، وهذا موافق لتأويل من تأوّل قوله تعالى ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة....)[3] على الختان[4] فالختان للحنفاء بمنزلة الصبغ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإستأذان، باب: الختان بعد الكبر ونتف الإبط ١١/٨٨ رقم ٦٢٩٨.

وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: الفضائل، باب: من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ ١٨٣٩/٤ رقم ٢٣٧٠.

(٢) تحفة المودود في أحكام المولود - ابن القيم ١٤٣ ، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري ١٤٣.

(٣) سورة البقرة / الآية ١٣٨.

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن-القرطبي ١٤٤/٢ ومابعدها.

والتعميد لعبّاد الصليب، فهم يطهرون أولادهم بزعمهم حينما يصبغونهم في ماء المعموديّة، ويقولون: الآن صار نصرانيا، فشرع الله سبحانه للحنفاء صبغة الحنيفيّة وجعل ميسمها الختان

٢- ومن فوائد الختان أنه من الطهارة والنظافة والتزيين وتحسين الخلقة وتعديل الشهوة التي إذا فرطت ألحقت الإنسان بالحيوانات، وإن عدمت بالكليّة ألحقته بالجمادات، فالختان يعدّلها، ولهذا فإنّ الأقلف من الرجال والقلفاء من النساء لايشبع من الجماع[1]

٣- خشية احتباس البول في طرف الذكر عندما لم يختن الإنسان فلا يؤمن أن يسيل بدون انتظام فيصاب بأمراض كسلس البول وينجس الثوب أو البدن[2].

وحينما نادت شريعة الإسلام بهذا الأمر وهو مشروعية الختان كان هذا التشريع مناسباً لأحوال البشر جميعاً لما ذكرنا طرفاً منه، وقد نادى الأطباء في الغرب بوجوب الختان لما فيه من المصالح الكبيرة ولقد أصبح الأطباء يستخدمون في الوقت الحاضر الختان كوسيلة لعلاج كثير من الأمراض، ويبرهنون على أن من وسائل الوقاية في بعض الأمراض المعضلة ومنها:

١- عندما يدخل أحد المصابين بالسيلان إلى المستشفى يجري الطبيب له عمليّة الختان إذا لم يكن مختوناً في صغره وبهذه الواسطة لايمكن إعادة عدواه من الجراثيم التي قد تبقى بالغلفة بعد التبوّل ليسهل على الطبيب إجراء الغسل والتطهير الموضعي بخلاف الحالة عند وجود الغلفة.

٢- عند الأصابة بقروح زهريّة بالقضيب يستحسن أن يختن المريض حتى يوضع العلاج على الجراح مباشرة فيتّم التئامها بسرعة، وبما أنّه من المحتمل وجود

---

(١) انظر: تحفة المودود في أحكام المولود-ابن القيم تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري ١٦٤.

(٢) انظر: فتح الباري - ابن حجر ١١/ ٩٠.

القرحة الزهريّة تحت الغلفة، وربّما لايتألم منها المريض قد تبقى مخفيّة عن المريض حتى ينقضي الدور الأول بدون إتخاذ المركبات الزئبقية أو الحقن حتى يمنع التشويهات القطعيّة التي تصيب المريض في الدور الثالث.

٣- قد يصيب الغلفة تضيّقاً وتصلباً يؤدي إلى اختناق الحشفة. وفضلاً عن الآلام الناتجة من هذه الحالة فقد تصاب الحشفة من جراء ذلك بتشويه دائم. وأنجع طريقة لعلاج هذه العلّة أن يختن المريض. فلو كان المريض مختوناً لما تجرّع كأس الألم ولنجا من تشوّه حشفته ولما أصيب بهذه العلّة قط.

٤- قد تصاب الغلفة بالتهاب حادّة تؤدّي إلى التصاقها بالحشفة دائماً. فهذه الحالة فضلاً عن كونها تعيق الإنتشار لدرجة معينة، فلها تأثيرها سيء على المضاجعة حتى قد تصل بالرجل إلى عدم استطاعة حيواناته المنويّة على تلقيح البويضات أي إلى درجة العقم غير الطبيعي، فلو كان الرجل مختوناً لما حصل هذا الإلتصاق ولانتجت عنه هذه الأسباب.

٥- قد يصاب الأغلف - وهو الرجل غير المختون - ببعض الأمراض إذا اغتسل في بعض المياه العامة كمياه الأنهار والبرك فإنّ هذه المياه تترك فيها الديدان المؤذية (كالبهارسيا) وغيرها بويضات وربما دخل بعض أثرها في الغلفة، فتبقى هنالك في حرارة تلائم إفراخها مع رطوبة ناشئة من فضلات البول بالغلفة، فإذا ماتمّ إفراخها سعت حتى تدخل قناة مجرى البول، وهنالك تبدأ في إتلافها، أو تصل إلى الدورة الدمويّة ومن ثمّ تسببّ آثارها الضارة بالجسم.[1]

(١) للإستزادة انظر: حكمة التشريع وفلسفته - علي الجرجاوي ٢/٤٨-٤٩.

سادساً: الإبراد من الحرارة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (الحمى من فيح جهنّم، فأطفئوها بالماء)[1]

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : (الحمى من فيح جهنّم، فأبردوها بالماء)[2]

وعن أسماء رضي الله عنها أنها كانت تؤتى بالمرأة الموعوكة فتدعو بالماء فتصبّه في جيبها وتقول: إنّ رسول الله ﷺ قال: («أبردوها بالماء» وقال «إنّها من فيح جهنّم»)[3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (الحمى كيرٌ من جهنّم، فنحّوها عنكم بالماء البارد)[4] إنّ أكثر الحميّات التي تعرض للناس من نوع الحمى اليوميّة العرضيّة الحادثة عن شدة حرارة الشمس، وهذه ينفعها الماء البارد شرباً واغتسالاً. فإنّ الحمى حرارة غريبة تشتعل بالقلب وتنبثّ منه إلى جميع البدن فتشتعل فيه اشتعالاً يضرّ بالأفعال الطبيعيّة، وهي تنقسم إلى قسمين:

أ- **عرضيّة:** وهي الحادثة إمّا عن الورم أو الحركة أو إصابة حرارة الشمس أو القيظ الشديد ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الطب، باب: الحمى من فيح جهنّم ١٧٤/١٠ رقم ٥٧٢٣ .
وأخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي ١٧٣٢/٤ رقم ٢٢٠٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الطب، باب: الحمى من فيح جهنّم ١٧٤/١٠ رقم ٥٧٢٥.
وأخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي ١٧٣٢/٤ رقم ٢٢٠٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الطب، باب: الحمى من فيح جهنّم ١٧٤/١٠ رقم ٥٧٢٤.
وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب: السلام ، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي ١٧٣٢/٤ رقم ٢٢١١.

(٤) أخرجه ابن ماجة في كتاب: الطب، باب: الحمى من فيح جهنّم فأبردوها بالماء، صحيح سنن ابن ماجة -الألباني ٢٥٩/٢ رقم ٢٧٩٩.

ب- مرضيّة: وهي ماكنت في مادّة أولى ثم يسخن منها جميع البدن، وقد ينتفع بالحمى إنتفاعاً عظيماً لايبلغه الدواء وكثيراً مايكون حمى يوم ، وحمى العفن سبباً لانضاج مواد غليظة لم تكن تنضج بدونها ، وسبباً لتفتح سُدد لم يكن تصل إليها الأدوية المفتحة.

وقد ذكر بعض فضلاء الأطباء: إنّ كثيراً من الأمراض نستبشر فيها بالحمى كما يستبشر المريض بالعافية، فتكون الحمى فيه أنفع من شرب الدواء بكثير، فإنهّا تنضج من الأخلاط والمواد الفاسدة مايضرّ بالبدن، فإذا أنضجتها صادفها الدواء متهيئة للخروج بنضاجها ، فأخرجها فكانت سبباً للشفاء.

وقد اعترف فاضل الأطباء جالينوس[1] بأنّ الماء البارد ينفع في الإبراد من الحمى، حيث قال: ولو أنّ رجلاً شاباً حَسَن اللحمّ، خصبَ البدن، في وقت القيظ، وفي وقت منتهى الحمى، وليس في أحشائه ورم، استحمّ بماءٍ بارد ، أوسبح فيه، لانتفع بذلك. قال: ونحن نأمر بذلك بلاتوقّف.

وقال الرازي:[2] إذا كانت القوّة قويّة ، والحمى حادّة جداً، والنضج بيّن، ولاورم في الجوف، ولافتق، ينفع الماء البارد شرباً، وإن كان العليل خصب البدن، والزمان حارٌ، وكان معتاداً لاستعمال الماء البارد من خارج ، فليؤذن فيه.

---

(١) جالنوس : طبيب يوناني له اكتشافات رائعة في التشريح، وهو من أكبر مراجع أطباء العرب ت سنة ٢٠١م.

(٢) الرازي: هو أبو بكر محمد بن زكريّا من أشهر أطباء العرب، ولد في الريّ، ولقب بجالينوس العرب وطبيب المسلمين، له مؤلفات كثيرة، منها: الحاوي في صناعة الطب في مقدار ثلاثين مجلداً ت سنة ٣١١هـ.

أنظر: سير أعلام النبلاء - الذهبي٩/ ٢٣٢.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا حمّ أحدكم فليرشّ عليه الماء البارد ثلاث ليال من السّحر)[١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ دخل على أمّ السائب أو أمّ المسيّب فقال: مالك؟ يا أمّ السائب! أو يا أمّ المسيّب! تُزفزفين؟[٢]

قالت : الحمىّ لابارك الله فيها. فقال : لاتسبيّ الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد)[٣].

وقد أثبت العلم الحديث صحة ماأرشد إليه نبيّ الإسلام محمدﷺ من الإبراد بالماء لمن ارتفعت درجة حرارته، فدلّ ذلك على مناسبة أحكام الشريعة للبشر، فكثيراً ماترتفع درجة حرارة المريض حينما يصاب بالتهاب جرثومي أو فيروسي والأمراض الفيروسيّة - ومن أكثرها شيوعاً: الأنفلونزا والرشح - لاتنفع معها المضادات الحيويّة في حين أنّ المريض يتوهّج بالحرارة.

إنّ وضع الكمادات الباردة على رأس المريض مازالت عادة متبعة في كثير من المشافي ولدى العديد من الأطباء بالرغم من توفّر الأدوية الخافضة للحرارة من «أسبرين»

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الطب ٤/ ٢٠٠ وفي ٤/ ٤٠٢ ط دار المعرفة ، بيروت بدون سنة طبع، وللإستزادة انظر :زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن القيم، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ٤/ ٢٩ ومابعدها ط١ مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩هـ ١٨٧٩م.

(٢) تزفزفين: أي تتحركين حركة شديدة وترتعدين.

(٣) أخرجة مسلم في كتاب البرّ والصلة والآداب ، باب فضل عيادة المريض ٤/١٩٩٣ رقم ٢٥٧٥.

وللإستزادة انظر: فتح الباري - ابن حجر ١٠/١٧٥ - ١٧٨، شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/١٩٥-١٩٦، الطب النبوي - ابن القيم تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ١٨-٢٥ ط ١٧ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩١م ، زاد المعاد - تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ٤/ ٢٥-٣٢، هـ-الطب النبوي من الكتاب والسنة - موفق الدين عبد اللطيف البغدادي - تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي ٢٠٢-٢٠٥.

و«باراسيتامول» وغيرها.

ولايقتصر تبريد الحرارة على إستعمال الماء البارد موضعياً فحسب ، بل يجب أن يعطي المريض المحموم السوائل بوفرة، وفي ذلك دليل على صدق حديث رسول الله حيث قال في الحديث المتقدم (فأبردوها بالماء).

والماء إمّا أن يكون مايشربه المريض، أم مايعطي عن طريق الوريد «سيروم» أو مايضعه المريض على وجهه أو جسمه لكي يبرد تلك الحرارة، وكم شاهدنا من حالات ترتفع فيها حرارة المريض ولاتستجيب الحرارة فيها للأدوية الخافضة للحرارة، في حين أن الماء البارد يقوم بفعله الفوري في التبريد رغم أنّه آني، ولهذا فإنّ أطباء الأطفال ينصحون الأهل بأن يجردوا الطفل من ثيابه إذا ماارتفعت حرارته فوراً ويعطونه السوائل فتهبط الحرارة بإذن الله.

وحينما يصاب المريض بالحمّى تزيد درجة حرارة جسمة عن معدلها الطبيعي ٣٧ درجة مئويّة، وهناك في منطقة ماتحت المهاد (وهو منطقة تقع فوق الغدّة النخاميّة في مقدّمة الدماغ) مركز منظّم لحرارة الجسم ضمن مستوى معيّن.

وحين تدخل جرثومة إلى الجسم، فإنّ الجراثيم تبدأ بإفراز مواد تسمى «التوكسينات» والعديد من هذه الموادّ تؤثر على الناظم الحراري وهذه المواد الناتجة عن الجراثيم تدعى «المحمّات» (أي المواد المولّدة للحمى) ولاتنجم هذه المحمات عن الجراثيم فحسب بل تنتج أيضاً من الأنسجة المتنكسة في الجسم بعد إصابته بالجراثيم. وحين ترتفع درجة الحرارة في الناظم الحراري في الدماغ إلى مستوى أعلى فإنّ على الجسم أن يستجيب لذلك فإذا بالجسم يحفظ حرارته ويزيد من إنتاج هذه الحرارة لكي يلبيّ نداء ذلك الناظم الحراري ، وخلال ساعات فإنّ الجسم كلّه يشعر بالحمى، وترتفع درجة حرارة المريض، وخلال هذه المدّة يصاب المريض بالقشعريرة ويشعر بالبرودة لأن الأوعية الدموية في الجلد تنقبض، وتستمر هذه

القشعريرة حتى تصل درجة حرارة الجسم إلى المستوى الجديد الذي وضع عليه الناظم الحراري، ومتى وصلت حرارة الجسم إلى ذلك المستوى توقفّت القشعريرة ولايشعر المريض في هذه المرحلة لابالبرودة ولابالحرارة. وحين يزول السبب المؤدّي إلى ارتفاع درجة حرارة الجسم، فإنّ الناظم الحراري يخفض نقطة التنظيم من جديد إلى أن يعيدها إلى مستواها الطبيعي. وهناك تكون حرارة الجسم مازالت عالية (٤٠ درجة مئوية مثلاً) إلاّ أنّ الناظم الحراري يحاول أن يعيدها إلى درجتها الطبيعيّة وعندما يستجيب الجسم ويبدأ يتفصّد بالعرق ويسخن الجلد بسبب توسّع الأوعيّة في كل مكان لكي يطرد هذه الحرارة ."[1]

(١) أنظر : قبسات من الطب النبويّ والأدلة العلميّة الحديثة - د حسّان شمسي باشا ١٩٩ - ٢٠٤.